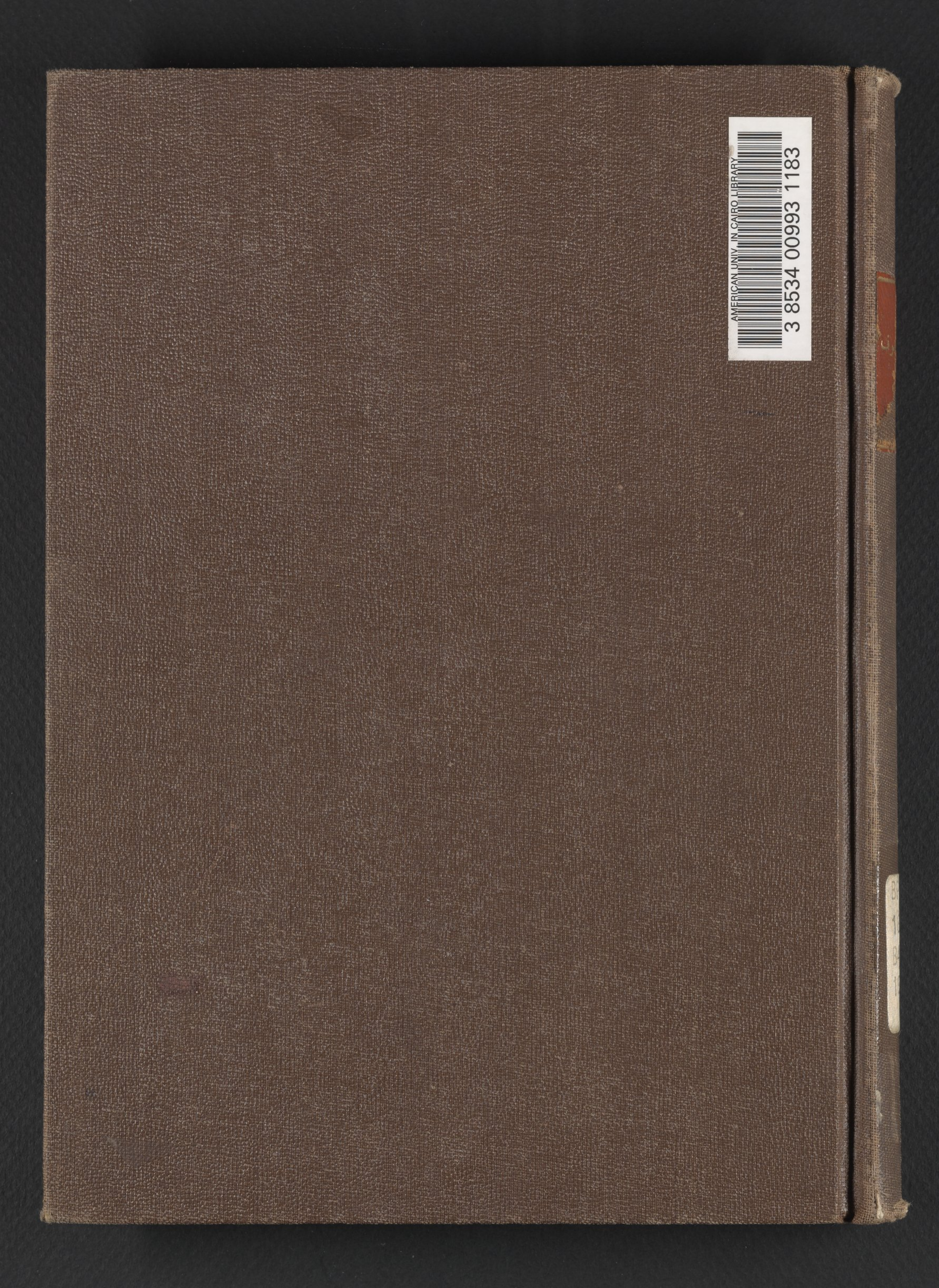
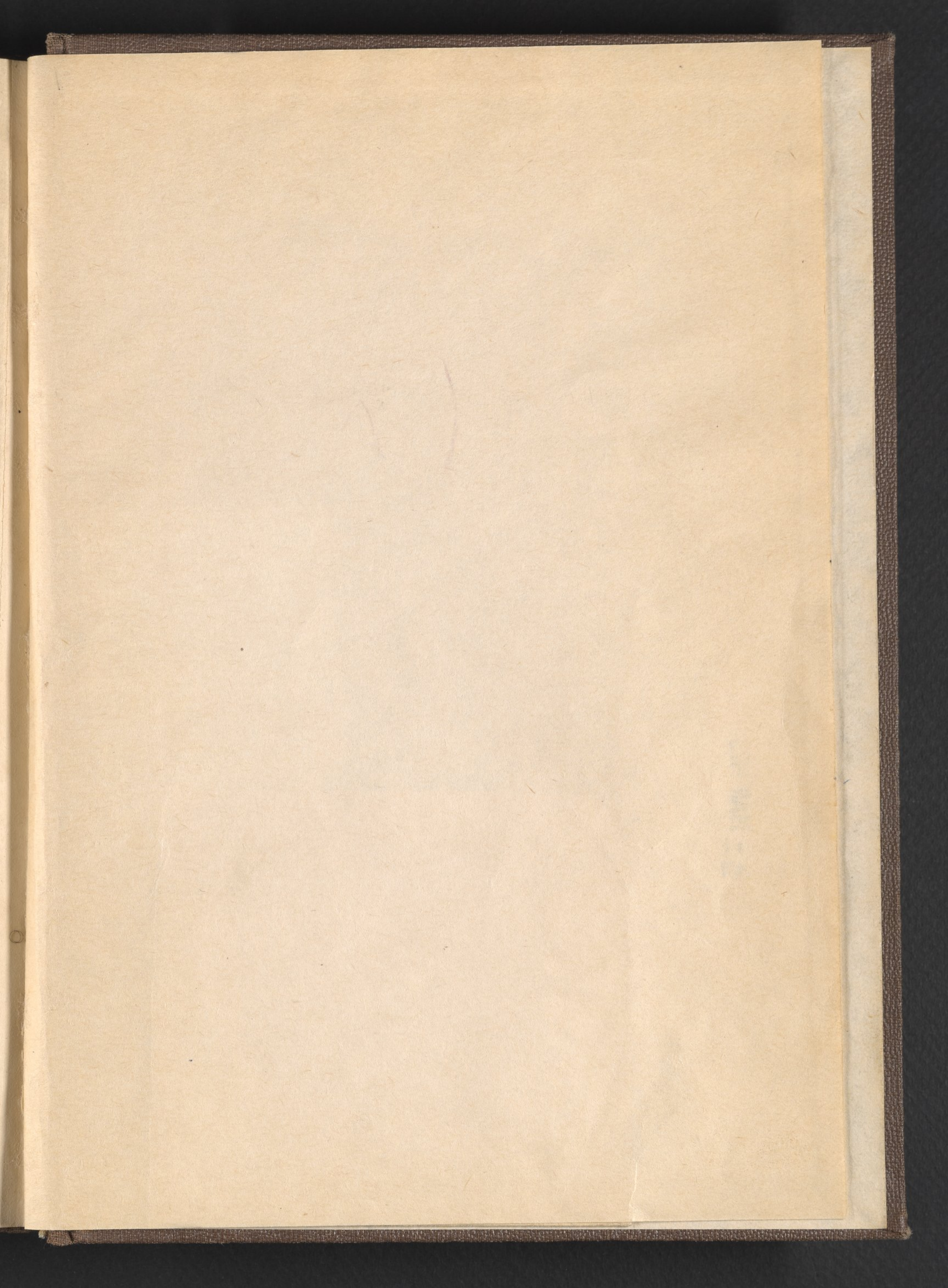




مصرع التصوف

أو

تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي

وتحذير العباد من أهل العناد

تأليف

العلامة برهان الدين البقاعي

٨٠٩ هـ - ٨٨٥ هـ

تحقيق وتعليق

عبد الرحمن الوكيل

الطبعة الأولى

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبي – القاهرة
تليفون ٧٩٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، و بعد : فإنه كانت لى بالتصوف صلة ، هى صلة العبرة بالمأساة ، فهنالك ـ حيث كان يدرج بى الصِّبا فى مدارجه السِّحْرِيَّة ، وتستقبل النفسُ كلَّ صروفِ الأقدار بالفرحة الطروب ، وتستنشِى الروح ريَّا الجمال والحب من كل معانى الحياة ـ هنالك تحت شُفُوف الأسحار الوَرْدِيَّةِ من ليالى القرية الوادعة الحالمة ، وفى هيكل عَبِقٍ بغيوم البخور ، جَثَمَ على صدره صنمٌ صغير يعبده كثير من شيوخ القرية ، هنالك فى مطاف هذه الذكريات الوَلْهَى : كان يجلس الصبى بين شيوخ تَغَضَّنتْ منهم الجباه ، وتهدَّلت الجفون ، ومشى الهرم فى أيديهم خفقات حزينة راعشة ، وفى أجسادهم الهضيمة نحولا ذابلا ، يَتَراءَوْنَ تحت وَصْوَصَة السراج الخافت أوهامَ رجاءٍ ضَيَّعَتْهُ الخيبةُ ، و بقايا آمالٍ عصف بها اليأس .

وتَتَهَدَّج ترانيمُ الشيوخ تحت السَّحَرِ ـ نوَّاحا بينها صوت الصبى ـ بالتراتيل الوثنية ، وما زال الصبى يذكر أن صلوات ابن بشيش ، ومنظومة الدردير كانتا أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت تشرق بالدموع ، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى : « اللهم انشلنى من أوحال التوحيد ! ! » ومن الثانية : « وجُدْ لِى بجمع الجمع منك تفضلا » يا للصبى الغرير التعس المسكين ! ! فما كان يدرى أنه بهذه الصلوات المجوسية يطلب أن يكون هو الله هُوِيَّة وماهية وذاتا وصفة ! ! ما كان يدرى ما التوحيد الذى يضرع إلى الله أن ينشله من أوحاله ! ! ولا ماجمع الجمع الذى يبتهل إلى الله أن يمن به عليه ! ! .

ويشب الصبي ، فيذهب إلى طنطا ليتعلم ، وليتفقه فى الدين . وثمت يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له ، ولصحابه : أن « البدوى » قطب الأقطاب ، يصرِّف من شئون الكون ، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية ! ! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفا مرتعدا : وماذا يفعل الله ؟ ! ويهدر الشيخ غضبا ، ويزمجر حنقا ، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت ، وقد استشعر من سؤاله ، وغضب الشيخ ، أنه لطَّخ لسانه بجريمة لم تُكتب لها مغفرة ! ! ولم لا ؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر ، وما كان يستطيع الشاب أبدا أن يفهم أن مثل هذا الحِبْرِ الأشيب ـ الذى يسائل عنه الموت ـ يرضى بالكفر ، أو يتهوَّك مع الضلال والكذب . فصدق الشابُّ شيخه ، وكذَّب ما كان يتلو قبلُ من آيات الله (١٠ : ٣ ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، مامن شفيع إلا من بعد إذنه) ! ! ثم يقرأ الشاب فى الكتب التى يدرسها : أن الصوفى فلانا غسلته الملائكة ، وأن فلانا كان يصلى كل أوقاته فى الكعبة ، فى حين كان يسكن جبل قاف ، أو جزائر واق الواق ! ! ! وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّيده من القبر وسلم على الرفاعى ! ! وأن فلانا عذبته الملائكة ؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة فى التوحيد ! ! ! وأن مذهبنا فى الفقه هو الحق وحده ، لأنه أحاديث حذفت أسانيدها ! ! ! ويصدق الشاب بكل هذا ، ويؤمن ، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا .

إذ قال فى نفسه : لو لم تكن هذه الكتب حقا ، مادرست فى الأزهر ، ولادرسها هؤلاء الهرمون من الأحبار ، ولا أخرجتها المطبعة ! ! وهل كان يمكن أن يسأل نفسه مثلا مثل هذا السؤال : أين من الحق البين من كتاب الله ، هذا الباطل العربيد فى هذه الكتب ؟ ! لا فلقد جىء به إلى طنطا ليتفقه فى الدين على هؤلاء الشيوخ ، وها هو فقه الدين يسمعه من الشيوخ ، ويقرؤه فى الكتب ، وحسبه هذا ! !

وتموج طنطا بالوفود ، وتعج بالآمِّين بيت الطاغوت الأكبر من كل حَدَب ، ويجلس الشاب فى حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بِخَنَّات الأنوف ، ورجَّات الأرداف ، ووثنية الدفوف ، وثمَّتَ يسمع منشد القوم يصيح راقصا : « ولى صنم فى الدير أعبد ذاته » فتتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات: « إيوَهْ كِدَه اكْفرَ ، اكْفر يامْرَبِّى » ويرى الشابُّ على وجوه القوم فرحا وثنيا راقص الإثم بما سمعوا من المنشد الكافر ، فيسأل شيخا مِمَّن وفدوا من أهل قريته : ياسيدى الشيخ ، ماذلك الصنم المعبود ؟ ! فيزم الشيخ شفتيه ، ثم يجود على الشاب الواله الحيرة بقوله : « إنْتَه لِسَّهْ صُغَيَّر » ! ! ويسكت الشاب قليلا ، ولكن الكفر يضج فى النعيق ، فيسمع المنشد يقيء « سلكت طريق الدير فى الأبدية » « وما الكلب والخنزير إلا إلهنا » ويطوى الشاب نفسه على فزع وعجب يسائل الذهول : ما الكلب؟ ما الخنزير؟ ما الدير؟ ! وأنَّى للذهول بأن يجيب ؟ ! ولقد خشى أن يسأل أحد الشيوخ مادام قد قيل له : « إنته لسه صُغَيَّر » ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحمْآت يشربون « القرفة » ويهنئون الأُبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث سيدهم السيد البدوى ! ! !

وتَكفِّن دورات الفلك من عمر الشاب سنوات ، فيصبح طالباً فى كلية أصول الدين ، فيدرس أوسع كتب التوحيد ـ هكذا تُسَمَّى ـ ، فيعى منها كل شىء إلا حقيقة التوحيد ، بل مازادته دراستها إلا قلقاً حزينا ، وحيرة مسكينة . ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صُوفِىٍّ أُمِّىٍّ . فيسألهما عن معانى بعض تهاويل ابن عطاء الله السكندرى « إرادتك التجريدَ مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب ، مع إقامة الله إياك فى التجريد ، انحطاط عن الهِمَّةِ العلية » . ويحار الطالبان ، ولا يدريان بم يجيبان هذا الأمى عن هذه الحكم المزعومة ـ وقد عرفا بعدُ أنها تهدف إلى تقرير أسطورة

رفع التكليف — فتمتلىء نفساهما بالغم المهموم ؛ إذ رسبا فى امتحان عقده لهما أمى صوفى ؟!.

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالباً فى شعبة التوحيد والفلسفة . ويدرس فيها التصوف ، ويقرأ فى كتاب صنفه أستاذ من أساتذته ، رأىَ ابن تيمية فى ابن عربى . فتسكن نفس الشاب قليلا إلى ابن تيمية ، وكان قبل يراه ضالا مُضِلاً . فبهذا البهتان الأثيم نعته الدردير !! .

وكانت عنده لابن تيمية كتب ، بيد أنه كان يرهب مطالعتها ، خشية أن يرتاب فى الأولياء ، كما قال له بعض شيوخه من قبل !! وخشية أن يضل ضلال ابن تيمية . . . ويقرأ الشاب ، ويستغرق فى القراءة ، ثم ينعم القدر على الشاب بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل ، فيقر به سراه المضنى عند جماعة أنصار السنة المحمدية ، فكأنما لقى بها الواحة الندية السلسبيل بعد دَوٍّ ملتهب الهجير . لقد دعته الجماعة على لسان منشئها فضيلة والدنا الروحى الشيخ محمد حامد الفقى إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة ، فيقرأ الشاب ويتدبر مايقرأ ، وثَمَّتَ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ترتفع الغشاوة عن عينيه ، فيبهره النور السماوى ، وعلى أشعته الهادية يرى الحقائق ، ويبصر القيم . يرى النور نوراً ، والإيمان إيمانا ، والحق حقاً ، والضلال ضلالا ، وكان قبل — بسحر التصوف — يرى فى الشىء عين نقيضه . فيؤمن بالشرك توحيدا ، وبالكفر إيمانا ، وبالمادية الصماء من الوثنية : روحانية عليا ، ويدرك الشاب — وهو لا يكاد يصدق — أن التصوف دين الوثنية والمجوسية ، دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق ، وكل مجرم ، وكل جريمة !! دين يرى فى إبليس ، وفرعون ، وعجل السامرى ، وأوثان الجاهلية ، يرى فى كل هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله ، بل لعنتهم حتى العقول ، يرى فيهم أرباباً وآلهة تهيمن على القدر فى أزله وأبده ، دين يرى فى كل شىء إلهاً يجب أن يُعْبَد ، ورباً يخلق مايشاء ويختار ، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى : هى فى الإيمان بأن الله

ـ سبحانه ـ عين كل شىء . دين لا تجد فيه فيصلا بين القِيَم ، ولا بين حقائق الأشياء ، ولا بين الضد وضده ، ولا بين النقيض ونقيضه . دين يقول عن الجيف ـ يتأذى منها النتن ، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية ـ إنها هى الإله ، وسبحان ربنا !! دين يقول عن القاتل ، عن السارق ، عن الباغى ، عن كل وغد تَسَفَّل فى دناءته ، عن كل طاغية بغى فى تجبره . يقول عن كل هؤلاء : إنهم تعيُّنَاتُ الذات الإلهية !! فأى إله هذا الذى يقتل ، ويبغى ، ويفسد فى الأرض ؟ أى إله هذا الذى يدب تحت جنح الليل تَتَلَظَّى فى عينيه ، وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية ؟ أى إله هذا الذى يلعق دم الضحايا يُبَرِّدُ به غُلَّته ، ويخضب بدماء الأعراض التى سفحها يديه الظالمتين ؟ أى إله هذا الذى مشى فى أيام التاريخ ولياليه بطشا وظلما وجبروتا يدمر ، ويخرب ، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة ؟! ومن يكون إلا إله الصوفية الذى ابتدع أسطورتَه سلف ابنُ عربى ، وابن الفارض وغيرهما !! ؟ .

أيتها البشرية التى تهاب القانون ، أو ترهب السماء !! ها هو دين التصوف يناديك مُلِحًّا ملهوف النداء : أن تنحدرى معه إلى حيث تَتَرَعين من كل خمرة مخمورة ، وتتلطخين بكل فسق ، وتتمرغين فى أوحال الإثم !! وأنتم أيها العاكفون فى المساجد : لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة ، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه ، وترجونه ، ولا إلى إله تعبدونه .

لم هذا الكدح والجهاد والنَّصَب والعبودية ؟ لم هذا وكل فرد منكم فى حقيقته هو الرب ، وهو الإله كما يزعم الصوفية !!؟ ألا فاطلقوا غرائزكم الحبيسة ، ودعوها تعيش فى الغاب والدغل وحوشاً ضارية ، وأفاعى فتاكة ! وأنتم يابنى الشرق ! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخَسْفَ والهوان ، ويُلَطِّخ شرفكم بالضعة ، وعزتكم بالذل المهين ، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغى ، وبَغْيُه الظلوم . دعوه يهتك ما تحمون من أعراضٍ ، ويدمر ماتشيدون من معالٍ ،

وينسف كل ما أسستم من أمجاد ، ثم التموا ضارعين خناجره وهى تمزق منكم الحشاشات ، واهتفوا لسياطه ، وهى تشوى منكم – أذلاء – الجلود . فما ذلك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم ، تعيّن فى صورة مستعمر .

دعوا المواخير مُفتّحةَ الأبواب ، ممهدة الفجاج . ومباءات البغاء تفتح ذراعيها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر ، وحانات الخمور تطغى على قدسية المساجد ، وأقيموا ذهبيَّ الهياكل للأصنام ، وارفعوا فوق الذُّرَى مُنْتِنَ الجِيَف ، ثم خروا ساجدين لها ، مسبحين باسم ابن عربى وأسلافه وأخلافه . فقد أباح لكم أن تعبدوا الجيفة ، وأن تتوسلوا إلى عبادتها بالجريمة ! !

ذلكم هو دين التصوف فى وسائله وغاياته ، وتلك هى روحانيته العليا ! ! ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلة ، واصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح : إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان لِيُسَخِّر معه عباد الله فى حربه لله ، ولرسله . إنه قناع المجوسى يتراءى بأنه ربانى ، بل قناع كل عدو صوفىٍّ العداوة للدين الحق . فتش فيه تجد برهمية ، وبوذية ، وزرادشتية ، ومانوية وديصانية . تجد أفلوطينية ، وغنوصية ، تجد فيه يهودية ونصرانية . ووثنية جاهلية ، تجد فيه كل ماابتدعه الشيطان من كفر ، منذ وقف فى جرأةٍ صوفية يتحدى الله ، ويقسم بعزته أنه الذى سيضل غير المخلصين من عباده . تجد فيه كل هذا الكفر الشيطانى ، وقد جعل منه الشيطان كفراً جديداً مَكْحُولَ الإثم مُتَبَرِّجَ الغواية ، مُتَقَتِّلَ الفتون ، ثم سماه للمسلمين : « تصوف » وزعم لهم – وأيده فى زعمه القُدامَى والمحدثون من الأحبار والرهبان – أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا فى الإسلام ! ! أقولها عن بينة من كتاب الله ، وسنة خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، وبعونٍ من الله ، سأظل أقولها ، لعلى أعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملثم بوشاح الدعة الحانية العطوف

ولكن سلوا الصوفية سوداً وبيضاً ، خضراً وحمرا ، سلوهم : ماردُّكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق ؟ سيقولون ماقالت وثنية عاد « إن نراك

إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » وآلهتهم هى قباب أضرحة الموتى وأعتابها !!
دمغناهم بالحق ، فراحوا يعوون عواء اللص الحذر ، وقع فجأة فى قبضة الحارس ،
وجأروا بالشكوى الذليلة إلى النيابة ، فلم تر النيابة فيمن يمسك بالبرىء إلا مجرماً ،
وشكوا إلى رئيس حكومة سابق ، وختموا الشكاة بهذه الضراعة الذليلة : « والله
نسأل لمقامكم الرفيع الخير والسؤدد فى ظل حامى الدين حضرة صاحب الجلالة
الملك المعظم صان الله عرشه ، وأيد حكومته الرشيدة ، وألهمها التوفيق »[1] ،
فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرماً . وطاح الحق ببغى إلههم
وملاذهم حامى دينهم ، كما كانوا يلقبونه .

وما زلنا — بعون من الله نستلهمه — بكتاب الله نتحداهم ، و بسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم نحاججهم ، والله على كل شىء شهيد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سيقول الناعمون — من ذوى الألسنة التى استمرأت كلمات الذل والعبودية ،
وليونة النفاق ، ومِمّن يتملقون الجماهير على حساب الحق ، و يزعمون أنهم لا يحبون
إثارة شقاق ، أو جدال ، ولا الطعن على أحد — سيقول هؤلاء : ما هكذا يكون
النقد ، ولا هكذا يكون البحث العلمى ! ! لا . أيها المدلَّلُون الخانعون للأساطير ،
فإنا لسنا أمام جماعة مسلمة ، فنخشى إثارة الشقاق بينهم ، ولو خشى الرسول مثل
هذا لما لأ قريشاً على حساب الحق ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أطاع أمر ربه
(١٥ : ٩٤ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين) ووعى قلبه — المشرق
المؤمن الطهور التقى — موعظة ربه فيما قال له العلى الكبير (٦٨ : ٩ وَدُّوا لو تُدْهِن
فيدهنون) وفيما قال له (١٧ : ٧٣ — ٧٥ وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا
إليك ؛ لتفترى علينا غيره ، و إذاً لا تخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت
تركن إليهم شيئاً قليلا ، إذاً لأذقناك ضعف الحياة ، وضعف الممات ، ثم لا تجد لك
علينا نصيرا) فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربَّه : « اللهم
أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك

(١) قدموا هذه الشكوى بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٥١

ماستطعت » فكيف بنا نحن الذين أُمِرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة ؟!

ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل ، بل تزدريه وتحقره ، ثم تهب فى قحة طاغية الجراءة لتشتم الله ، وتذود عن إبليس وفرعون وعباد العجل والوثن ، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهة ، وسيرد على القارئ عشرات النصوص من فصوص ابن عربى وتائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت ، وابن عربى وابن الفارض قطبا التصوف ، وإماما الصوفية المعاصرة . فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله ، وأنا نقول للشيطان : إنك أنت الشيطان ؟ ! ماذا نقول عن رجل - وهو ابن عربى - يفترى أدنأ البهتان على الله ، فيصوره فى صورة رجل وامرأة يقترفان الإثم ، مؤكداً لأتباعه أن الجسدين الآثمين هما فى الحقيقة ذات الله ، سبحانه ؟ ! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم .

فهل نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل ، ليبصره المخدوعون به ، ليبصروه مِسْخاً ثانيا للشيطان؟ إننا فى ميدان مستحر الأتون، يقاتلنا فيه عدو دنىء يتراءى أنه الأخ الشفيق الحُنُوّ ، النَدِىُّ الرحمة ، فلا أقل من أن نحار به بما يدفع ضره وشره ، ويحول بينه و بين القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين ، و بين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية .

هذا الكتاب : هو فى الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجرى ، هو برهان الدين البقاعى ، سمى أولهما « تنبيه الغبى ، إلى تكفير ابن عربى » وسمى الآخر « تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد[1] » نقد فيهما ابن عربى وابن الفارض بخاصة ، والتصوف المشاكل لدينهما بعامة . ومنهاج البقاعى فى النقد يقوم على أصلين .

أولاً : نقل نصوص كثيرة عن « فصوص الحكم » لابن عربى ، وعن

---

(١) لما كان الكتاب ينقد التصوف نقداً قاتلا ، فقد سميناه « مصرع التصوف » وأعتذر عن مخالفة الأصل فى التسمية لطول عنوانى الكتابين ، ولما فى أحدهما من تعريض بالقارىء .

« التائية الكبرى » لابن الفارض ، وقليلا ما يعلق البقاعى على هذه النصوص ، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآنى . معتمداً على فطنة القارئ ومعرفته بدينه ، فهما كفيلان بإدراك ما فى هذه النصوص من كفر ومجوسية ، يدركهما القارئ حتى باللمحة الفكرية الهافية .

الآخر : ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون : السابع والثامن والتاسع الهجرية ، ومما لاحظته : أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جداً بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره الكبير فى نظر المتصوفة على معتقدهم ، إذ مايستطيعون اتهام أحد ممن ذكرهم البقاعى بالخصومة ، كما كانوا يفعلون ـ مفترين ـ بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية . فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربى وابن الفارض : إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصمه ، ولكنه أدلى معه بدلوه فى فضح الصوفية ، وإما فريق لم يعرف عنه لا موالاة جلية ولا خصومة صريحة لابن تيمية ـ وإن كانوا فيما يذهبون إليه فى مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية ـ فجلهم من أئمة الأشاعرة ، وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران فى التصوف ، كعلاء الدين البخارى ، وهو أقسى هؤلاء جميعا حملة على ابن عربى وابن الفارض ، ومن دان بدينهما .

عملى فى الكتاب : أولا تحقيق نص الكتاب ، وهو إما نقول عن فصوص ابن عربى وتائية ابن الفارض ، أو عن كتب علماء نقدوا التصوف . وإما من إنشاء المؤلف . أما ما نقله عن الفصوص : فراجعته على مطبوعة الحلبي بتحقيق الدكتور عفيفى ، وجعلتها العمدة فى تحقيق نصوص الفصوص ، وقد أيقنت من هذه المراجعة أن المؤلف أمين جداً فيما نقل . بيد أنه كان يترك أحياناً ماله رحم ماسة بالكشف عن حقيقة معتقد ابن عربى ، أو ما لابد منه للربط بين نصوص الفصوص ، وأحياناً كان يسقط منه ـ أو من الناسخ ـ بعض ألفاظ ، وكل هذا أثبته عن الفصوص ، وجعلته بين قوسين هكذا [ ] ، وقد أشرت فى الهامش إلى هذا وإلى أرقام الصفحات التى وردت فيها هذه النصوص حسب ترقيم صفحات

فصوص الحكم طبع الحلبى ، حتى يسهل على القارىء مراجعة كل مانقله المؤلف عن الفصوص فى مصدره الأصيل ، أما أبيات تائية ابن الفارض ، فراجعتها على مرجعين ، أحدهما ديوان ابن الفارض طبع بيروت ، والآخر شرح تائية ابن الفارض للكاشانى المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض المطبوع سنة ١٣١٠ ﻫ فى المطبعة الخيرية . أما ما نقله عن العلماء فقدبذلت كل الجهد فى سبيل تحقيق نقوله بمراجعتها فى كتب أولئك العلماء ، وأشرت إلى أرقام الصفحات التى وردت فيها تلك النقول فى مصادرها الأصلية ، مثل ما فعلت بما نقل المؤلف عن الشفاء لعياض، والمواقف للإيجى، والملل للشهرستانى وغيرها حتى يسهل أيضاً على القارئ مراجعة آراء هؤلاء العلماء فى كتبهم هم . وقد يسر الله سبحانه ، فوجدت بعض ما نقله البقاعى من فتاوى عن العلماء فى عصره وقبل عصره مذكوراً فى كتاب «العلم الشامخ» للعلامة المقبلى بتحقيق وتعليق العلامة الشيخ رشيد رضا ، فراجعت بعض نقول البقاعى عن العلماء الذين لم أعثر على كتبهم فى العلم الشامخ ، وأثبت زيادة العلَم ، وجعلتها بين قوسين هكذا [ ] ، ويشهد الله أنى لقيت فى سبيل ذلك نصبا كبيراً ، كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعى فى النقل فوق كل مظنة ، وسيكون من آثاره اطمئنان القارئ إلى كل مانقله البقاعى عن الفصوص والتائية ، وكتب العلماء ، وما نقل عنهم من فتاوى .

أما ما كان من أسلوب المؤلف : فتركته على حاله ، فما صوبت فيه إلا ما تجزم قواعد العربية بخطئه مشيرا إلى ذلك فى الهامش .

ثانيا : ترجمت لمعظم من ذكروا فى الكتاب ترجمة مختصرة ، ولقيت فى سبيل هذا مشقة وجهدا ، سببهما : أن المؤلف كان يذكرهم إما بألقابهم أو كناهم ، فى حين تذكرهم كتب التراجم بأسمائهم أولا .

ثالثا : ترجمت لكل فرقة أو نحلة جاء ذكرها فى الكتاب ترجمة ذكرت فيها أهم الأصول لتلك الفرقة ، أو هذه النحلة ، معتمدا على أصدق المراجع .

رابعا : حققت كل ماورد فى الكتاب من أحاديث ، وخرجتها تخريجا صحيحا ، إذ كان يخطىء المؤلف أحيانا فى نسبتها إلى رواتها .

خامساً : ولما كانت بعض نصوص الفصوص غامضة تخفى معانيها ومراميها على بعض القراء ، وكذلك بعض أبيات تائية ابن الفارض ، لما كان ذلك كذلك : فقد شرحت فى الهامش تلك النصوص وهذه الأبيات ، ويشهد الله ما فهمت فى الألفاظ غير معانيها ، التى لها فى عرف الصوفية ، ولا فسرتها إلا بما هو مقرر عند شراح الفصوص والتائية من الصوفية .

سادساً : برهنت فى كثير من المواضع على مخالفة ما ذهب إليه الصوفية للنقل وللعقل ، إذ كان المؤلف يكتفى بايراد النصوص تاركا للقارئ الحكم عليها ، وهو حكم يجزم به كل من له أدنى فهم لحقيقة التوحيد .

سابعاً : فى الكتابين كثير من مصطلحات الصوفية ، كالفناء والجمع ، وجمع الجمع ، والقطب ، وقاب قوسين ، وغيرها ، وقد فسرت فى هامش الكتاب هذه المصطلحات الصوفية معتمداً على كتبهم هم ، حتى يخلص الكتاب للحق والإنصاف ، والصدق .

ثامناً : عنونت لمواضيع الكتابين ، إذ خلا كلاهما إلا من عناوين قليلة وضعها الناسخ ، أو المؤلف على هامش الكتابين ، ومعظمها ليست دلالة على ماوضع له .

تاسعاً : رقمت ماورد فى الكتاب من الآيات القرآنية ، والرقم الأول يدل على السورة ، والثانى على الآية .

ملحوظة . تشير الأرقام الواردة فى صلب متن الكتاب إلى صفحات النسخة المصورة التى اعتمدت عليها فى نشر هذا الكتاب .

الأصل المطبوع عنه : يملك النسخة التى عنها نشرنا الكتاب سَرِىُّ جدة الجليل ، الشيخ محمد نصيف . وقد تفضل — كدأبه دائما فى العمل على نشر العلم —

فأعطاها إلى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ محمد حامد الفقى ليعمل على نشرها ، فتفضل أستاذنا ، ووكل إلىّ أمر تحقيقها والتعليق عليها .

وصف النسخة : وقد عثر على النسخة الخطية الأصيلة لكتابى البقاعى ، العلامة شيخ العروبة فى وقته أحمد زكى ، عثر عليها فى خزائن القسطنطينية ، فنقلها بالتصوير الشمسى فى مجلد واحد . ثم نقل عن نسخته المصورة نسخة أخرى بالتصوير الشمسى أيضا فى مجلد واحد وأهداه إلى العالم الجليل الشيخ محمد نصيف .

وقد ورد فى الصفحة الأولى من الأصل الذى نشرنا عنه هذا الكتاب ما يأتى :

« نقلت باسم الله هذا الكتاب بالتصوير الشمسى من خزائن القسطنطينية وأضفته إلى مجموعة كتبى التى أودعتها قبة الغورى بالقاهرة باسم الخزانة الزكية وجعلتها وقفا على العلماء وطلبة العلم ، نفع الله بها » ثم يلى ذلك إمضاء « وكتبه أحمد زكى » وورد أيضاً فى الصفحة الأولى ما يأتى : « وهذه النسخة المنقولة عنها هدية إلى خادم العلم الإسلامى والعمرانى بالحرمين الشريفين الشيخ محمد نصيف ، فخر جدة أعانه الله » ثم يلى ذلك إمضاء « أحمد زكى » وتاريخ الإهداء ٥ محرم الحرام سنة ١٣٥٢ الموافق ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٣ ، وقد صورت النسخة المهداة سنة ١٩٣٣ م بمطبعة دار الكتب قسم التصوير .

والنسخة مكتوبة بخط فارسى جميل ، وناسخها سليمان بن عبد الرحيم . وقد انتهى من نسخها — كما ذكر هو فى آخر الكتاب — سنة ٩٤٧ هـ وتقع النسخة فى ٨٤ صفحة ، وقد كتبت ورقاتها من وجه واحد ومسطرتها تبلغ ٢١ سطرا ، ويقع الكتاب الأول منها ، وهو « تنبيه الغبى » فى ٥٩ صفحة ، والثانى وهو « تحذير العباد » فى ٢٣ صفحة .

وقد كتب الشيخ الجليل محمد نصيف على نسخته ما يأتى : « أقول أنا محمد نصيف بن حسين بن عمر نصيف : سألت السائح التركى ولى هاشم عند عودته من الحج فى محرم سنة ١٣٥٥ عن سبب عدم وجود ما صنفه العلماء فى الرد على

ابن عربى ، وأهل نحلته الحلولية والاتحادية من المتصوفة . فقال قد سعى الأمير السيد عبدالقادر الجزائرى بجمعها كلها بالشراء والهبة وطالعها كلها ، ثم أحرقها بالنار ، وقد ألف الأمير عبد القادر كتاباً فى التصوف على طريقة ابن عربى . صرح فيه بما كان يلوّح به ابن عربى ،خوفا من سيف الشرع الذى صرع قبله « أبو الحسين الحلاج » وقد طبع كتابه بمصر فى ثلاثة مجلدات ، وسماه المواقف فى الوعظ والإرشاد ، وطبع وقفا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »

شبهة : يقول بعض من لا يستبطنون خبيئة التصوف ، ويرسلون النظرة الكاشفة إلى أعماقه : وهل تدين الصوفية المعاصرة بما دان به ابن عربى ، وابن الفارض ، حتى تحكموا عليهم بما حُكِم به على ابن عربى وابن الفارض ، أو حتى يصلح هذا الكتاب رداً عليهم ؟ ! وأقول لهذا السائل : نعم ، تدين الصوفية المعاصرة بوحدة الوجود ، و بوحدة الأديان ، فإنما هو أمر مُبَيّتٌ للدين الحق يتوارثه الصوفية خلفا عن سلف ، ليكيدوا به لهذا الدين الحق . وفى أورادهم دليل مانقول . وفى تقديسهم لابن عربى وكتابه الفصوص ، ولابن الفارض . وتائيته حجة على أنهم يدينون بدينهما ، فالأول عندهم « الشيخ الأكبر » . والثانى : « سلطان العاشقين » و ياطالما قلنا للصوفية المعاصرة : أن تغنم رضاء الله مرة . فتبرأ إليه من ابن عربى ، وابن الفارض . بل حتى من كتبهما وأشعارهما قلنا لها ذلك ، فكان أن برئت إلى أصنامها ممن يقدم لها النصح ابتغاء وجه الله . واستغاثت بالأحياء ، و بالأموات من الطواغيت ، حتى لاينزع الناصح تاج القداسة الزائف عن الشيطان المريد !! .

وقد يقول قائل : وما بالكم تخصون الصوفية بهذا كله ؟! .

وأقول : بل هو جهادنا الأول . ونقتدى فى هذا برسولنا وأسوتنا عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ بدأ دعوته بالدعوة إلى الله وحده ، وإلى النهى عن اتخاذ شركاء أو شفعاء من دون الله رب العالمين ، بدأ بوحى من الله

بدعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، و إذا ما تمكنت عقيدة التوحيد الخالص من قلب المسلم ، جعلته إنسانا مثالياً فى دينه وخلقه وروحانيته ، ودفعت به إلى الحياة بطلا يعمل باسم الله لتحقيق المثل العليا للجماعة المسلمة ، بل للإنسانية عامة ، وجعلت منه ولياً كريما للحق والعدل والخير والصدق والسمو والكرامة ، وذلك لأنه يحمل قلباً مؤمنا لا يحب إلا الله ، ولا يرهب غير الله ، ولا يتقى غير الله ، ولا يرجو إلا ثواب الله ، ولا يطيع غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما الصوفية سواء كانت نظرية أم عملية ، فقد قامت لتصرف الناس عن عبادة الخالق ، إلى عبادة المخلوق . إنساناً كان أم حيوانا ، ملكا أم شيطانا ، حياً أم ميتا . لتجعل من المسلمين عباد هوى وشهوة وأوثان .

ناج القلب الصادق الإيمان باسم الله يَتَجَاوَبْ معك ، أَبِنْ له عن أمر الله ، تجده يتلمس كل سبيل إلى طاعة أمر ربه سبحانه ، ناشده باسم الله مايحب الله تجده طيِّعا ذلولا فى عزة ونبل وكرم و إيثار . ثم سل القلب الصوفى بعض ماسألت قلب المؤمن ، فلن يسمع لك إلا إذا ناجيته باسم طواغيته ابن عربى وابن الفارض والشعرانى وأمثالهم ، أو باسم أوثانه وأصنامه ، من قباب آلهته الموتى .

فنحن إذن نعمل ليكون لله وحده الدين خالصاً ، ولتكون قلوب عباده إيمانا به وحده ، وحبًّا له وحده ، ورجاء فيه وحده ، وتقوى له وحده ، ولتتوحد الجماعة الإسلامية بهذا الإيمان ، وهذا الحب ، وهذا الرجاء ، وهذه التقوى .

و إلى العلى القدير أضرع أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعل من المسلمين أمة واحدة تعمل بقول الله سبحانه : (وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون) .

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

القاهرة : الجمعة { ١٢ من صفر سنة ١٣٧٢
٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٢ }

البقاعی فی سطور

ملخصة عن شذرات الذهب ، والضوء اللامع

هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن على بن أبي بكر أبو الحسن برهان الدين البقاعى الشافعى المحدث المفسر العلامة المؤرخ .

ولد سنة ٨٠٩ هـ ، بقرية خربة روحاً من عمل البقاع ، ونشأ بها ، ثم دخل دمشق وفيها جود القرآن وجدد حفظه وأفرد القرءات ، واشتغل بالنحو والفقه وغيرهما من العلوم .

أخذ عن أساطين عصره ، كابن ناصر الدين وابن حجر ، وبرع ، وتميز ، وناظر وانتقد حتى على شيوخه .

وصنف تصانيف عديدة . من أجلِّها المناسبات القرآنية ، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران ، وتنبيه الغبى بتكفير عمر بن الفارض وابن عربى ، دخل بيت المقدس ، ثم القاهرة .

وتوفى بدمشق فى رجب سنة ٨٨٥ عن ست وسبعين سنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

« خطبة الكتاب »

الحمد لله المضلِّ الهـاد ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تضمن الإسعاد ، يوم يقوم الأشهاد . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعى إلى سبيل الرشاد . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قمعوا أهل العناد ، وحكموا سيوفهم فى رقاب أهل الفساد ، فلم يجسر أحد فى زمانهم على إلحاد ، بتمثيل ، أو تعطيل ، أو حلول ، أو اتحاد . أبعدنا الله من ذلك أيما إبعاد ، وحمانا منه على مر الدهور والآباد .

وبعد : فإنى لما رأيت الناس مضطربين فى ابن عربى [1] المنسوب إلى التصوف ، الموسوم عند أهل الحق : بالوحدة ، ولم أر من شفى القلب فى ترجمته [2] وكان كفره فى كتابه الفصوص أظهر منه فى غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً ، حتى يعلم حاله ، فيهجر مقاله ، ويعتقد انحلاله ، وكفره وضلاله ، وأنه إلى الهاوية مآبه ومآله ، امتثالا لما رواه مسلم عن أبى سعيد [الخدرى] رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى ،ولد بمرسية سنة ٥٦٠ ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق ، ودخل بغداد ، وارتحل إلى مكة ، وكانت وفاته سنة ٦٣٨ هـ

(٢) غمط بقوله هذا حق الإمام ابن تيمية ـ وهو شيخ شيوخ البقاعى ، وإليه تنتهى الإمامة فى نقد التصوف ، والبرهنة العقلية والنقلية على منابذته للحق من الكتاب والسنة ، وللبدهيات من العقل .

لم يستطع ، فبلسانه ، فإن [لم] يستطع ، فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان [١] »
وفى رواية [عن عبد الله بن مسعود] : « وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة
من خردل » ، وما أحضر إلى النسخة التى نقلت ماتراه منها إلا الشخص من كبار
معتقديه ، وأتباعه ومحبيه .

عقيدة ابن عربى وكيده للاسلام

وينبغى أن يعلم أولا أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة ، وهى : أنه لاشىء
سوى هذا العالم ، وأن الإله أمر كلى لاوجود له إلا فى ضمن جزئياته . ثم إنه
يسعى فى إبطال الدين من أصله ، بما يحل به عقائد أهله ؛ بأن كل أحد على
صراط مستقيم ، وأن الوعيد لايقع منه شىء ، وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب
المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة ، ونحو ذلك ! ! . وإن حصل لأهله ألم ، فهو لاينافى
السعادة والرضى ، كما لم ينافها مايحصل من الآلام فى الدنيا ، وهذا يحط عند من
له وعى على اعتقاد : أنه لا إله أصلا ، وأنه ماثم [٢] إلا أرحام تدفع ، وأرض
تبلع ، وما وراء ذلك شىء .

منهاج الصوفية فى الكيد بدعوتهم

وكل مافى كلامه من غير هذا المهيع [٣] فهو تستر وتلبيس على من ينتقدعليه ،
ولا يلقى زمام انقياده إليه ، فإنه علم أنه إن صرح بالتعطيل ابتداء بَعُد كل سامع
من قبوله فأظهر لأهل الدين أنه منهم ، ووقف لهم فى أودية اعتقادهم ، ثم استدرجهم
عند المضائق ، واستغواهم فى أماكن الاشتباه ، وهو أصنع الناس فى التلبيس ،

---

(١) مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة .

(٢) فى الأصل : مأثم .

(٣) الطريق الواضح .

فإنه يذكر أحاديث صحاحا ، ويحرفها على أوجه غريبة ، ومناحٍ عجيبة ، فإذا تدرج معه من أراد الله ـ والعياذ به ـ ضلاله ، وصل ـ ولا بد ـ إلى مراده من الانحلال من كل شرعة ، والمباعدة لكل ملة . وخواص أهل هذه النحلة يتسترون [٣] بإظهار شعائر الإسلام ، وإقامة الصلاة والصيام ، وتمويه الإلحاد بزى التنسك والتقشف ، وتزويق الزندقة بتسميتها : بعلم التصوف ، فهو ممن أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يقرءون القرآن ، لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[١] » .

وقد أصَّل لهم غويُّهم هذا كما صرح به فى الفص النوحى : أن الدعوة إلى الله مكر !! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ادعوا إلى الله . فهذا عين المكر . . . إلى آخر كلامه .

وهذا هو السر فى تنسكهم . على أنهم قد استغنوا فى هذا الزمان عن التنسك ؛ لانقياد أهله بغير ذلك ، وقد يستدرجهم الله وأمثالهم ـ ممن يريد ضلاله ـ بإظهار شىء من الخوارق على أيديهم ، كما يظهره الله على يد الدجال ، وأيدى بعض الرهبان ، ليتبين الموقن من المرتاب .

مثالهم فى زندقتهم

وقد ضربوا ـ لتصحيح زندقتهم ـ مثالا مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه فى الإسلام ، ولا خالط أنفاس النبوة ، حتى صار يدفع الشبه . حاصل ذلك المثال : أنهم يصلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع[٢] ، فتم لهم المكر ،

---

(١) من حديث رواه البخارى ـ واللفظ له ـ ومسلم وأبو داود والنسائى .

(٢) قال ابن عربى : «علماء الرسوم يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد النسب . والأولياء يأخذون عن الله ألقاه فى صدورهم » المناوى ص ٢٤٦

وتبعهم فى ذلك أكثر الرعاع ، ولم يبالوا بخرق الإجماع ، وذلك المثال : أن ملكا أقام على بابه سيافا ، وقال له : من دخل بغير إذنك فاقتله ، وقال لغيره : أذنت لك فى الدخول متى شئت ، فإذا دخل الغير ، فقد أصاب ، وإن قتله السياف فقد أصاب . وعنوا بالسياف : الشارع . فما أفادهم مثالهم مع زندقتهم به شيئا . فإنهم اعترفوا فيه بإباحة دمائهم ، وهو قصد أهل الشريعة ، ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقا إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع ، فإن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة ودعوته شاملة .

احتجاج الصوفية بقصة الخضر

ولا حجة لهم فى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، للفرق بخصوص تلك الرسالة ، مع أن الخبر بعلم الخضر جاء من الله تعالى [1] إلى موسى عليه

---

(١) يقول ابن تيمية « ولا حجة فيها ـ أى فى قصة الخضر ـ لوجهين .

أحدها : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بنى إسرائيل ، ولهذا قال الخضر لموسى : إنك على علم من علم الله علمك الله إياه ، وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت . ومحمد رسول الله إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن مبايعته ظاهراً وباطناً ، ولا عن متابعة ماجاء به من الكتاب والسنة فى دقيق ولا جليل ، لا فى العلوم ، ولا فى الأعمال . وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى . وأما موسى فلم يكن مبعوثا إلى الخضر .

الثانى : إن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة . بل الأمور التى فعلها تباح فى الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يوافقه بحال . فإن خرق السفينة مضمونه : أن المال المعصوم يجوز للانسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه ، فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية ، كما جاز للراعى على عهد النبى صلى الله عليه وسلم أن يذبح الشاة التى خاف عليها الموت . وقصة الغلام مضمونها : جواز قتل الصبى الصائل =

السلام ، فأين هى من دعاويهم [١] ؟ ! ولا شبهة عليها ، فضلا عن دليل ، بل هى مصادمة للقواطع ، ومن صادم القواطع ، انقطعت عنقه ، ولو بلغ فى الزهد والعبادة أقصى الغايات (٨٨ : ٢ ـ ٤ وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية) الآيات . ولو وقعت منهم الخوارق ، فإنها شيطانية . قال الله تعالى : (٤٣ : ٣٦ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا ، فهو له قرين) (٦ : ١٢١ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ؛ ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم ، إنكم لمشركون) .

القول فى صرف الكلام عن ظاهره

وسميت هذه الأوراق : تنبيه الغبى على تكفير ابن عربى ، وإن شئت فسمها : النصوص من كفر [٤] الفصوص ، لأنى لم أستشهد على كفره ، وقبيح أمره إلا بما لا ينفع معه التأويل من كلامه ، فإنه ليس كل كلام يقبل تأويله ، وصرفه عن ظاهره . وذلك يرجع إلى قاعدة الإقرار بشىء وتعقيبه بما يرفع شيئا ما من معناه ، ولا خلاف عند الشافعية فى أنه إن كان مفصولا لا يقبل ، وأما إذا كان موصولا ، ففيه خلاف . ومن صورة ما لا ينفع فيه الصرف عن الظاهر ،

= ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فإن كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا . وأما إقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة ، إذا كان لذرية قوم صالحين » باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٧ .
وأقول : على فرض أن فى القصة مخالفة الباطن للظاهر . فهذا بالنسبة إلى شريعتين ، شريعة الخضر وشريعة موسى . أما الأمر بالنسبة إلى الخضر ، فكان ما فعله هو الظاهر فى شريعته ، فلم يخالف ظاهر ما فعل باطن ما به أمر . فليس إذن ثم باطن خالف ظاهراً ، أما دعوى الصوفية فتفترى جواز مخالفة الباطن للظاهر فى الشريعة الواحدة .

(١) فى الأصل : دعا .

كما لو أقر ببيع ، أوهبة ، ثم قال : كان ذلك فاسدا ، فأقررت بظنى الصحة ، فإنه لا يُصَدَّق فى ذلك .

حكم من ينطق بكلمة ردَّة

ونقل الشيخ سراج الدين بن الملقن فى العمدة على المنهاج ، والزركشى فى التكملة عن إمام الحرمين ، أنه قال فى أوائل الإيمان : « قال الأصوليون : لو نطق بكلمة الردة ، وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهرا وباطنا » قال الإمام الغزَّالى [(١)] فى البسيط بعد حكايته أيضا عن الأصوليين : « لحصول التهاون منه ، وهذا المعنى — يعنى التهاون — لا يتحقق فى الطلاق ، فاحتمل قبول التأويل بإطلاقه » . وسيأتى مايشهد لذلك من نقل شيخ الإسلام الشيخ زين الدين العراقى عن العلامة علاء الدين القونوى مُحَسِّنًا له ، على أن بعض العلماء غلب جانب الحرمة لله ولرسله فمنع التأويل مطلقا . قال القاضى أبو الفضل عياض [(٢)] المالكى فى كتابه :

---

(١) لقب الغزالى فى التاريخ الذى صنعته الأهـواء بالإمام ، وغولى فيه حتى لقب بحجة الإسلام . أما هو فى التاريخ الذى يستمـد من الحق قصصه وعبره . ويشهد بصدقه كتبه . فليس من هذه الألقاب السحرية فى شىء . بما خلفه فى كتبه من تراث هو أرجاس من الباطنية ، والصوفية ، والفلاسفة ، وفيه ما يناقض أصول الدين الذى لقب هو بأنه حجته وإمامه . يقول ابن تيمية عنه — وقوله عن بينة « ولهذا صنف الكتب المضنون بها على غير أهلها . وهى فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا » ثم يقول عن كتابه المضنون به على غير أهله « وهو فلسفة محضة . قول المشركين من العرب خير منه ، دع قول اليهود والنصارى » النبوات لابن تيمية ص ٨١ — ٨٢ وقال عنه أخص أصحابه أبو بكر بن العربى الفقيه المالكى « شيخنا أبو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر » والغزالى نفسه يقر فى كتابه التأويل : بأنه رجل ردىء البضاعة فى الحديث !!

(٢) ولد بمدينة سبتة سنة ٤٧٦ هـ وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ .

الشفاء ، وهو الذى تلقته الأمة بالقبول ، وتدارسوه فى الارتحال والحلول[١] — فى القسم الرابع منه : « فصل : الوجه الرابع : أن يأتى من الكلام بمجمل ، ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبى صلى الله عليه وسلم ، أو غيره ، أو يتردد فى المراد به من سلامته من المكروه ، أو شره ، فههنا مُتَرَدَّد النظر ، وحيرة العبر ، ومظنة اختلاف المجتهدين ، ووقفة استبراء[٢] المقلدين ؛ (٨ : ٤٣ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة) فمنهم من غلب حرمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وحمى حمى عرضه ، فجسر على القتل، ومنهم من عظم حرمة الدم[٣] »

بيان ماهو من المقالات كفر

وقال فى فصل بيان ماهو من المقالات كفر : « كل مقالة صرحت بنفى الربوبية ، أو الوحدانية ، أو عبادة أحد غير الله ، أو مع الله ، فهى كفر ، كمقالة الدهرية[٤] ، وسائر فرق [أصحاب[٥]] الإثنين [من الديصانية[٦]

---

(١) ليس للشفاء هذه القيمة التى مجده بها البقاعى . قال الحافظ الذهبى عنه : إنه محشو بالأحاديث الموضوعة ، والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج إليه قدر النبوة .

(٢) فى الأصل : استبر . والتصويب من الشفاء .

(٣) ص ٢٥٥ جـ ٢ الشفاء ط الآستانة سنة ١٢٩٠ هـ

(٤) يقول عنهم الحميرى فى كتابه الحور العين ص ١٤٣ : « إنهم القائلون بقدم العالم وقدم الدهر ، وتدبيره للعالم وتأثيره فيه ، وأنه ما أبلى الدهر من شىء أحدث شيئاً آخر » ويتحدث الشهرستانى عنهم فى الملل ، فيقول عنهم : « أنكروا الخلق والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحيي ، والدهر المفنى ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد (٤٥ : ٢٤ وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر) إشارة إلى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى ، وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر » ص ٢٥٩ جـ ٢ ط توفيق .

(٥) مابين هذين [ ] ساقط من الأصل . وأثبته نقلا عن الشفاء .

(٦) هم أصحاب ديصان القائلون بأصلين : النور والظلام ، فالأول يصنع الخير =

والمنانية[١]، وأشباههم من الصابئين[٢] والنصارى والمجوس[٣]] والذين أشركوا

= قصداً واختياراً ، والثانى يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، ويزعمون أن سمع النور وبصره وسائر حواسه شىء واحد . فسمعه هو بصره ، وبصره هو حواسه » انظر جـ٢ ص ٨٩ من الملل والنحل .

(١) أصحاب مانى بن فاتك الذى ظهر فى عهد سابور بن أزدشير . وضع ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين نور وظلمة . الأول مصدر الخير ، والثانى مصدر الشر . ويدين مانى بأن الظلام امتزج بالنور امتزاجاً كلياً فى هذا الوجود ، ولا يمكن أن ينفصل النور عن الظلام إلا بعد أن يفنى هذا العالم ، ولهذا حرم الزواج على أتباعه حتى يبيد النوع الإنسانى ، فيستطيع النور الخلاص من الظلام ، ولهذا قتله الملك . ودعوة مانى ذات نزعة تشاؤمية سوداء ، شديدة الغلو فى الحث على الزهد والحرمان .

(٢) اختلف فى شأن الصابئة . فالمسعودى يرى أنهم عبدة الكواكب ، فيقول فى المروج — وهو بصدد الحديث عن أحد ملوك الفرس : « وظهر فى سنة من ملكه رجل يقال له : بوداسف أحدث مذهب الصابئة ، وقال : إن مجالى الشرف الكامل ، والصلاح الشامل . ومعدن الحياة فى هذا السقف المرفوع «يعنى السماء» وأن الكواكب هى المدبرات والواردات والصادرات» مروج الذهب جـ١ ص ٢٢٢ ويقول عنهم الحميرى فى الحور العين ص ١٤١ « وقال الصابئون : شيئان قديمان : نور وظلام ، فالنور عالم ، والظلام جاهل . وقيل : إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة . وقيل : إن الصابئين قوم يخرجون من دين إلى دين » .

ويقول الرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ : « إنهم قوم يقولون : إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب » ويقول الشهرستانى فى الملل والنحل « ذكرنا أن الصبوة فى مقابل الحنفية . وفى اللغة : صبا الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء «يعنى الصابئة» عن سنن الحق ، وزيغهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم : الصابئة ، وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين » .

ويقول فى موضع آخر « ومنهم — أى من الناس — من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ، ولا يقول بالشريعة والإسلام ، وهم الصابئة » وانظر القرطبى جـ١ ص ٣٨٠ ، وابن خلدون جـ١ ص ١١٦ .

(٣) هم الثنويون من الفرس الذين يثبتون أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير =

بعبادة الأوثان ، أو الملائكه ، أو الشياطين ، أو الشمس ، أو النجوم ، أو النار ، أو أحد غير الله[١] » . ثم قال : « وكذلك من أقر بالوحدانية ، وصحة النبوة ، ونبوة نبينا عليه السلام ، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به . ادعى فى ذلك المصلحة بزعمه ، أو لم يدعها ـ فهو كافر بإجماع ، كالمتفلسفين ، و بعض الباطنية[٢] والروافض[٣] ، وغلاة المتصوفة ، وأصحاب الإباحة[٤] ؛ فإن هؤلاء

= والشر . انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٥٩ ط صبيح ، والحور العين للحميرى ص ١٤٢ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص ٨٦ .

(١) ص ٢٦٨ جـ ٢ الشفاء .

(٢) بل كل الباطنية ، فما من باطنى إلا وهو يبطن البغضاء لله ورسوله ، وأولى الناس بهذا اللقب هم الصوفية .

(٣) يقول الأشعرى فى كتابه المقالات « وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبى صلى الله عليه وسلم ، نص على استخلاف على بن أبى طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم » ص ٨٧ . ويقول ابن تيمية « فهذا اللفظ ـ يعنى الرافضة ـ أول ما ظهر فى الإسلام ، لما خرج زيد بن على بن الحسين فى أوائل المائة الثانية فى خلافة هشام بن عبد الملك ، واتبعه الشيعة ، فسئل عن أبى بكر وعمر ، فتولاهما وترحم عليهما ، فرفضه قوم ، فقال : رفضتمونى ، رفضتمونى ، فسموا : الرافضة » ص ٢٥ ط مجموعة الرسائل الكبرى . وانظر ص ١٨٤ من الحور العين ففيه تفصيل مادار بين الرافضة وبين زيد من محاجة فى شأن أبى بكر وعمر .

(٤) هم صنفان . صنف كانوا قبل قبل دولة الإسلام كالمزدكية ، وصنف ظهروا فى الإسلام . وهم كذلك صنفان . بابكية ، ومازيارية . والأول أتباع الخرّمى الذى ظهر فى الجبال بناحية أذربيجان ، وكثروا واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين . وأما المازيارية فهم أتباع مازيار . وكانت لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر . رجالهم ونساؤهم ، فإذا طفئت السرج افتض الرجال النساء .. انتهى مختصراً عن مختصر الفرق بين الفرق ص ١٦٢ ، وانظر ص ٧٤ من الاعتقادات للرازى وص ٣١ من كشف أسرار الباطنية للحمادى . ولعله لقب عام يصدق على كل طائفة =

زعموا أن ظواهر الشريعة [٥] وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار، ليس منها شيء على مقتضى لفظها، ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة، إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم [١]؛ فمَضْمَن [٢] مقالاتهم إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به. وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن [في] [٣] كل جنس من الحيوان نذيراً ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود [ويحتج بقوله تعالى: (٣٥: ٢٤ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير [٤])] إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس

= تستبيح لنفسها ما حرمه الله سبحانه، ولعل القراء على ذكر مما نشرته الصحف عن إحدى الطرق الصوفية التي استباح شيخها لنفسه أعراض أتباعه رجالا ونساء، مما يؤكد لهم أن كل طريقة صوفية: إنما هي امتداد لفرقة سابقة ناهضت الإسلام، ونابذت شرعته.

(١) يقول ابن سينا «أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد، وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة. ثم من المعلوم الواضح، أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحداً مقدساً — ممتنع إلقاؤه إلى الجمهور. ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء، ولا أتى بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل، وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية» باختصار عن رسالة الأضحوية لابن سينا من ص ٤٤

وهكذا يدين الفلاسفة ومخانيثهم الصوفية بأن ليس في القرآن مايهدي النفس إلى التوحيد أو يبين للفكر ما يجب اعتقاده في الله، وغير هذا من الأمور التي هي قوام الدين وملاكه. يدينون بهذا الإلحاد، ويقررونه في كتبهم في جرأة بالغة السفه والقحة والجحود بآيات الله التي تقرر في جلاء وإشراق ما يجحد به الفلاسفة.

(٢) في الأصل: فمضمون، وهي كما أثبتها في الشفاء.

(٣) ساقطة من الأصل. وأثبتها عن الشفاء.

(٤) القائلون بهذا هم الحائطية أتباع أحمد بن حائط، أحد أصحاب النظام =

بصفاتهم المذمومة ، وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه ، مع إجماع المسلمين على خلافه ، وتكذيب قائله [١] » انتهى

قلت : فكيف بمن يدعى أن الإله عين كل شيء من ذلك [٢] ؟ !

« وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب ، أو خص [٣] حديثا مجمعا على نقله ، مقطوعاً به ، مجمعاً على حمله على ظاهره ، كتكفير الخوارج بإبطال الرجم ؛ ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل ، أو توقف فيهم أوشك ، أو صحح مذهبهم ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده ، واعتقد إبطال كل مذهب سواه ، فهو كافر بإظهاره [٤] ما أظهر من خلاف [٥] ذلك » . انتهى

قلت : فكيف بمن يقول : إن جميع الخلق من أهل الملل وغيرها على صراط مستقيم [٦] ، وأن فرعون مات طاهراً مطهراً [٧] بعد النص القطعى على أنه

= أنظر ص ٢٠ من كتاب الفرق الإسلامية للأستاذ محمود البشبيشى . وما بين هذين [ ] أثبته عن الشفاء .

(١) ص ٢٩٦ ، ٢٧٠ جـ ٢ من الشفاء .

(٢) أى من القردة والخنازير والدواب والدود التى كفر القاضى عياض من يزعم النبوة لشيء منها . وافتراء أن الإله عين كل شيء من هذه وغيرها ، هو دين ابن عربى وأحلاس زندقته . لإيمانه بوحدة الوجود .

(٣) كذا بالأصل . وبصلب الشفاء أيضاً ، ولكن على هامش الشفاء ط الآستانة تصويب هو « أو نص حديث مجمع على نقله مقطوع به ، مجمع على حمله على ظاهره » وهو هكذا فى الشفا . ط المطبعة الأزهرية بشرح القارى . وهذا هو الصواب . بدليل ما كفر به الخوارج ، وهو إبطالهم للرجم ، والرجم إنما نصت عليه السنة لا القرآن فتكون العلة فى تكفير القاضى لهم هى مخالفتهم لنص حديث .

(٤) فى الأصل : وما . والتصويب من الشفاء .

(٥) ص ٥١٠ جـ٤ ط المطبعة الأزهرية بشرح القارى .

(٦) هذا دين ابن عربى لإيمانه بوحدة الأديان .

(٧) سيأتى النص بلفظه .

من أهل النار؛ بقوله تعالى : (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ فى الأرض ، وإنه لمن المسرفين) وقوله تعالى : (٤ : ٤٣ وأن المسرفين هم أصحاب النار) ! !

وقال :[١] إن كل عابد شيئاً فهو عابد لله ، وحرَّف ما أخبر به عن عذاب قوم نوح وهود ، ونحوهم بما سيأتى من أن ماحَلَّ بهم أعقبهم راحة وعذوبة ، وأن الله تعالى كان ناصرهم على أنبيائه ، فإن العداوة ما كانت إلا بينهم و بينهم ؟ !

قال[٢] : « وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب ، وأنكر قاعدة من قواعد الشرع[٣] » ثم قال : « وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية ، وقاضى قضاتها أبو عمرو المالكى على قتل الحلاج[٤] وصلبه لدعواه الإلهية ، والقول بالحلول ، وقوله : أنا الحق ، مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة ، ولم يقبلوا توبته ، وكذلك حكموا فى ابن أبى الغراقيد[٥]

---

(١) أى ابن عربى .

(٢) أى القاضى عياض .

(٣) ص ٢٧٢ جـ٢ الشفاء ط الآستانة .

(٤) هو الحسين بن منصور ولد سنة ٢٤٤ هـ وهلك مصلوباً سنة ٣٠٩ . وفى عصره تم انتقال التصوف من جانبه العملى إلى جانبه النظرى. فبدأ الصوفية يتحدثون عن ماهية الإله ، وعن حقيقة العلاقة التى تربط الإنسان بالله : وقد آمن الحلاج بثنائية الطبيعة الإلهية باللاهوت والناسوت ، وآمن بحلول اللاهوت فى الناسوت . والحلاج فى هذا متأثر بالمسيحيين السريان الذين استعملوا اللاهوت والناسوت للدلالة على طبيعتى المسيح . يقول فى الطواسين ص ١٣٤ :

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى ، أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول فى ص ٥١ « أنا الحق ، وصاحبي وأستاذى إبليس وفرعون » .

(٥) هو محمد بن على أبو جعفر الشلمغانى . كان يعتقد أنه إله الآلهة ، وأن الله سبحانه يحل فى كل شىء على قدر ما يحتمل ، وأنه قد حل فى آدم ، وفى إبليس ، وأن الله تعالى إذا حل فى جسد أظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على أنه هو الله =

ـ وكان على [نحو] [١] مذهب الحلاج ـ بعد هذا أيام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبى عمر المالكى [٢] » انتهى .

قلت : فكيف بمن يقول صريحا : إن الخلق هو الحق [٣] ، والحق هو الخلق . والحق هو الإنسان الكبير ، وهو حقيقة العالم وهويته ؟ !

وقال شيخ الإسلام الشيخ محيي الدين النووى الشافعى فى كتاب الردة الروضة [٤] مختصر الرافعى . قال المتولى : « من اعتقد قدم العالم ، أو حدوث [٦] الصانع ـ إلى أن قال ـ أو أثبت له الانفصال ، أو الاتصال ، كان كافراً [٥] » انتهى .

= له كتاب اسمه الحاسة السادسة ، صرح فيه برفض الشريعة وإباحة اللواط . وزعم أنه إيلاج نور الفاضل فى المفضول ، ولذا أباح أتباعه نساءهم له ، طمعاً فى إيلاج نوره فيهن . وكان يسمى محمداً وموسى بالخائنين ، زعماً منه أن هرون أرسل موسى ، وأن علياً أرسل محمداً فخاناهما . صلب فى خلافة الراضى سنة ٣٢٢ انظر الكامل لابن الأثير جـ ٦ ص ٢٤١ ، والشذرات جـ ٢ ص ٢٩٣ ، ومختصر الفرق ص ١٦٠

(١) ساقطة من الأصل . وأثبتها عن الشفاء .

(٢) ص ٢٨٢ جـ٢ الشفاء .

(٣) يعنى الصوفية بالحق : الله تبارك وتعالى .

(٤) لعله سقط حرف «من» قبل لفظ الروضة .

(٥) فى التصريح بنفى الاتصال والانفصال معاً فى آن واحد ، وعن ذات واحدة خلل منطقى . فهما يتقابلان تقابل السلب والإيجاب ،فيلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر . وفيهما أيضاً إجمال واشتباه ، فقد يعنى بالانفصال أنه سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه ، ليس كمثله شىء . وهذا حق يؤمن به من أسلم قلبه لله ، ووحده توحيداً صادقا فى ربوبيته وآمن بأسمائه وصفاته كما هى فى القرآن والسنة .

وقد يعنى بالانفصال أنه سبحانه لايتصل بالعالم صلة خلق أو تدبير ، أو علم منه سبحانه ، أعنى نفى كونه خالقاً عليما يدبر الأمر ، أو أنه سبحانه ليس لإرادته ، أو قدرته أثر فى مقادير الوجود ، وغير ذلك مما يدين به الفلاسفة ، ومرادهم منه =

قلت فكيف بمن يصرح بأنه[1] عين كل شيء ؟! قال: « والرضى بالكفر كفر » . قلت : فكيف بمن يُصَوِّب كل كفر ، وينسب ذلك التصويب إلى نقل الله تعالى له عن نبيه هود عليه السلام ؟

ويقول : إن الضلال أهدى من الهدى ؛ لأن الضال حائر ، والحائر دائر

= نفي الخالق القادر المريد المختار . وهذا كفر يجحد بالربوبية والإلهية .

وكذلك الاتصال : فقد يراد به أنه سبحانه يدبر الكون ، ويصرف الليل والنهار ، ويسخر الشمس والقمر ، ويحيط علمه بكل شيء كليا كان أو جزئيا ، وتشمل قدرته كل شيء ، وغير هذا مما يشهد بكمال الربوبية . وهذا حق لا يتم الإيمان إلا به . وقد يعني به مفهومه الصوفي ، أي أنه سبحانه حال في كل شيء ، أو متحد بكل شيء ، أو أنه عين كل شيء ، أو أنه هو الوجود الساري في كل موجود ، ومن يدين بهذا فهو زنديق ، أو مجوسي ، أو بتعبير أدق : صوفي . فالصوفية مرادفة لكل ما يناقض الإيمان الحق ، والتوحيد الحق . لذا يجب على كل من يخبر عن الله أو صفاته أو أسمائه أن يلتزم حدود ما أخبر الله به عن نفسه ، وأخبر الرسول به عن ربه ، وإلا تزندق ، أو تمجس كالصوفية ، وألحد كالفلاسفة ، وضل كالمتكلمين ألم تر إلينا نحن البشر كيف نعيب فلانا بأنه لم يكن دقيق التعبير عن المذهب الفلسفي أو الأخلاقي ، أو الفني لفلان ، أو لم يكن مهذبا فيما تحدث به عن فلان ، أو خاطب به فلانا ، بل قد نذهب في مذمته كل مذهب ، حتى نتهمه بالعي والفهاهة والسفه ، فكيف — ولله المثل الأعلى — نطلق للقلم العنان فيما يكتب عن الله ، مما يصوره له الأفن والوهم عن ذات الله وصفاته ؟ وكيف نستبيح — سادرين — الإخبار عن الله سبحانه بما لا يحب ، ومالا يرضى ، وما لم يخبر به عن نفسه . ونصف هذه الجرأة الكافرة بأنها حرية فكرية أو تجاوب مع العقل ، أو استيحاء من الذوق ! ! ولقد كان من نتائج هذه الحرية المزعومة — والحق أنها عبودية للوهم وللشيطان — أن آمن بعض الناس برب لا يوصف إلا بالسلب ، أي بالعدم نعتوه ربا . أو برب هو عين العبد ، أو بإله يجب أن يعبد في كل شيء ، لأنه عين كل شيء ! ! . فلتمجد العبودية ربوبية الله ، بما يحب سبحانه وحده أن تمجد به .

(١) أي الله سبحانه .

حول القطب[١] والمهتدى سالك فى طريق مستطيل ، فهو بعيد عن القطب ؟ ! وسترى ذلك كله فى عباراته[٢] صريحا .

ثم نقل الشيخ محيى الدين النووى عن الحنفية ـ مرتضيا له ـ قائلا : « إن إطلاق أصحابنا يقتضى الموافقة عليه . أنه إذا سخر بوعد الله تعالى ، أو بوعيده كَفَر . ولو قال : لا أخاف القيامة ـ كَفَر » انتهى .

قلت : فكيف بمن يقول : إنه ليس لوعيد الله عين تُعاين ، وأن الآخرة موضع السعادة لكل أحد ، والمعذَّب مُنَعَّم بعذابه ؟ !

ثم نقل الشيخ عن القاضى عياض ـ مرتضيا له ـ : « أن من لم يكفر من دان بغير الإسلام ، كالنصارى ، أوشك فى تكفيرهم ، أو صحح[٣] مذهبهم ، فهو كافر ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام ، واعتقده ـ قال : وكذا نقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة ، أو تكفير الصحابة[٤] » . .

ثم قال[٥] فى الباب الثانى فى أحكام الردة : « إن حكمها إهدار دم المرتد ، فيجب قتله إن لم يتب ، سواء كان الكفر الذى ارتد إليه كفراً ظاهراً ، أو غيره ككفر الباطنية » انتهى .

---

(١) القطب عند الصوفية عبارة عن « الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل » . وستعرف مما سنذكره عن خصائص القطب أن ابن عربى يريد بالقطب هنا الله سبحانه وهو فى زعمه متعين فى صورة الحقيقة المحمدية

(٢) أى عبارة ابن عربى . فكل ما يذكره المؤلف دائما بعد قوله : قلت فكيف بمن يقول . . . هو من دين ابن عربى .

(٣) فى الأصل : صح .

(٤) انظر ص ٢٧١ جـ ٢ من الشفاء .

(٥) أى النووى .

وقال الإمام شرف الدين إسماعيل بن المقرى فى مختصر الروضة : « فمن اعتقد قدم العالم ـ إلى أن قال ـ أو شك فى تكفير اليهود والنصارى ، وطائفة ابن عربى ـ كَفَرَ ، لا إن جعل لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين »[١] » . انتهى

الباطنيــة[٢]

قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل : « وإنما لزمهم ـ يعنى الباطنية ـ هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم [قوم][٣] فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة[٤] والمزدكية ، وبخراسان : التعليمية والملحدة ، وهم يقولون : نحن إسماعيلية[٥] ، لأنا نُمَيَّز عن فرق الشيعة بهذا الاسم ، وهذا

(١) كذا بالأصل . وفى الكلام اضطراب ، فليحرر

(٢) يقول أبو المظفر الاسفرايني فى التبصير ص ٨٤ : « إن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم ، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين »

(٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الملل والنحل

(٤) طائفة سياسية دينية اتخذت الدعوة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة إلى تحقيق أغراضها السياسية والدينية ، هى قلب الدولة الإسلامية ، وبعث المجوسية الفارسية ، وقد عرفت بهذا نسبة إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط ، وكان فى أول أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة ، وقد ظهر بدعوته الملعونة أيام المأمون ، وقد نجحت هذه الفرقة فى إقامة دولة لها فى بلاد البحرين ، وجعلت الأحساء عاصمة لدولة القرامطة

(٥) فرقة من الشيعة الإمامية ، تزعم أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق ــ وهو الإمام السادس للشيعة ــ إلى ولده إسماعيل . ومنهم الفاطميون . وهم الآن فريقان : البهرة السليمانية أتباع أغا خان وهم فى الهند وزنجبار والشام ، يرون فى زعيمهم إلها مقدسا يصير كل ما مسه مقدسا . ومباذل هذا الإله وتهتكاته مشهورة =

الشخص –يعنى إسماعيل بن جعفر– ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج ، فقالوا فى البارى تعالى : إنا لا نقول: هو موجود ، ولا : لاموجود ، ولا عالم ، ولا جاهل، ولا قادر ، ولاعاجز وكذلك فى جميع الصفات ، فإن الإثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه و بين سائر الموجودات فى الجهة التى أطلقناها عليه ، وذلك تشبيه ، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق ، والنفى المطلق ، بل هو إله المتقابلين ، وخالق الخصمين ، والحاكم بين المتضادين[1] ، ونقلوا فى هذا نصا عن محمد بن على الباقر [٧] أنه قال: لما وهب العلم للعالمين قيل : هو عالِم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل : هو قادر ؛ فهو عالم قادر ؛ بمَعنى أنه وهب العلم والقدرة ، لا بمعنى أنه قائم به العلم والقدرة ، أو وُصِفَ بالعلم والقدرة ، فقيل [فيهم][2] إنهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن

= معروفة لرواد مواخير فرنسا ، وغيرها ، وأندية القمار . وأتاوته المفروضة على أتباعه تجعل منه قارون العصر الحديث . والفريق الثانى : هم البهرة الداودية . وهم أتباع طاهر سيف الدين ، وينتشرون فى بومباى وكراتشى وجبل حراز باليمن ، وبعض جهات زنجبار . ولطاهر عليهم الكلمة النافذة التى لا ترد ولا تناقش ، وكيف ، وهو الإمام المعصوم ؟ ! هذا وقد نشط دعاة الإسماعيلية فى السنين الأخيرة نشاطا عجيبا غريبا فى مصر ؛ من مظاهره اتصال زعمائهم بشيوخ الأزهر ، ونشر بعض أساتذة الجامعة بعض مخطوطاتهم التى كانوا أشد ما يكونون حرصا على إخفائها ، ولا يخالطنا شك فى أن غاية الناشر هى خدمة الحقيقة ، ونحن نرحب بهذا النشر حتى يكون المسلمون على بينة من أمر هذه الطوائف التى تعمل جاهدة فى سبيل أن تكون المجوسية دينا ودولة .

(١) قال الحميرى فى الحور ص ١٤٨ : «وقالت الإسماعيلية : إن الله لاشىء ، ولا : لا شىء لأن من قال إنه شىء فقد شبهه ، ومن قال إنه لا شىء فقد نفاه . فقالوا فيه بالنفى والإثبات جميعا » اقرأ كتاب راحة العقل للكرمانى ففيه تفصيل مذهبهم

(٢) أثبتها نقلا عن الملل والنحل

جميع الصفات . قالوا : وكذلك نقول فى القدم : إنه ليس بقديم ، ولا محدَث ، بل القديم أمره وكلمته ، والمحدَث خلقه وفطرته[(١)] » انتهى .

وقول ابن عربى فى الجمع بين التشبيه والتنزيه أشنع من هذا ، وأبشع ، وأقبح وأفظع .

من هو الزنديق ؟

قال الشيخ محيي الدين النووى : « وسواء كان ظاهر الكفر ، أو زنديقا يظهر الإسلام ويبطن الكفر » كذا فسر الزنديق فى باب الردة فى كتاب الفرائض وضعفه الأئمة . قال ابن الملقِّن فى العمدة ، وقال فى كتاب اللِّعان فى الكلام على التغليظ : « إنه الذى لا ينتحل دينا – قال : وهذا أقرب ؛ لأن الأول هو[(٢)] المنافق ، وقد غايروا بينه وبين الزنديق . قال : وقال الغزَّالى فى الأصول : الزنديق ضربان . زنديق مطلق . وهو الذى ينكر أصل المعاد حسًّا وعقلا ، وينكر الصانع . وزنديق مقيد ، وهو الذى يثبت المعاد بنوع عقل ، مع نفى الآلام واللذات الحسية الجسمية ، وإثبات الصانع مع نفى علمه ، فهذه زندقة مقيدة بنوع اعتراف بتصديق الأنبياء » . انتهى .

وسيأتى فى آخر هذا الكتاب عن العلامة علاء الدين البخارى[(٣)] تحقيق معنى الزنديق ، وغيره من أسماء الكفرة .

---

(١) ص ٣٦٦ ج ١ الملل والنحل ط توفيق

(٢) أى من قال عنه النووى قبل أنه الذى يظهر الإسلام ويبطن الكفر

(٣) هو محمد بن محمد علاء الدين البخارى العجمى الحنفى ولد سنة ٧٧٩ هـ ، ونشأ ببخارى . ثم استقر به النوى فى مصر ، وفيها علا قدره ، وعظم عند أهلها جاهه ، وقدمات بالشام سنة ٨٤١ . والبخارى صوفى كبير كانت له الكلمة النافذة فى عصره ، وإن كان هو ممن كفر ابن الفارض وابن عربى ، وتلك ظاهرة تقف بالنظر عندها ليستبطنها ، ويستخرج من أعماقها العبر ، فكبار =

على أن قتل المعتقد لمثل هذا لابد منه ، ولو توقفنا فى تسميته . قال القاضى عياض : « وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم فى القدرية : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا[١] » وقال عيسى عن أبى القسم فى أهل الأهواء من الأباضية[٢] والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى : يستتابون ، أظهروا ذلك أو أسروه ، فإن تابوا وإلا قتلوا ، وميراثهم لورثتهم . وقال مثله ابن القسم فى كتاب محمد فى أهل القدر .. وقد انتهى بنا المقال الدال على كفر من اعتقد ما قاله من الضلال ، وهذا حين الشروع فى سوق كلامه الموضح لفساد طويته ، وقبح مرامه .

= الصوفية من المشرق والمغرب كانوا يفدون إلى مصر ، فتكسوهم الأوهام طيالس الدهاقين، وتصنع لهم التهاويل صور القديسين، كالبخارى والشاذلى والبدوى وغيرهم فلم كانوا يفدون إلى مصر بالذات ، ولم كانوا يجدون حتى يستذلوا القلوب بهواهم ؟ والملحوظ أن أكثر هؤلاء الصوفية وفدوا إلى مصر بعد طرد الفاطميين منها . والمشاهد الذى يلمسه اليقين بالحقيقة أن عقائد كثير من المسلمين فى مصر تأثرت بدعوة هؤلاء الصوفية، حتى صارت ذات رحم ماسة بالمجوسية الفاطمية . قد تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا ربطت بين المقدمات والنتائج ، وإذا كنت على بينة من أن التصوف العملى يدين بعبادة مشاهد آل البيت، سواء أكانت صحيحة النسبة إليهم أم زائفتها ، وإذا كنت على بينة أيضا من أن التصوف النظرى يشابه عقيدة الفاطميين ، ويشاكلها فى التلبيس والتأويل ، والمصدر والوسيلة والغاية . بل أقول : إنه هى فى الظاهر والباطن والأهداف . تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا تبينت كل هذا ، بل ستدرك الجواب الصحيح ، وبخاصة إذا قارنت بين ما ترتب من نتائج دينية وسياسية واجتماعية على الدعوة الفاطمية ، وبين ما ترتب — وما زال — على الصوفية . قارن وتأمل وتجرد ، تجد النتائج واحدة ، تجد الجواب يدفعك دفعا إلى إدراكه ، وهو أن الصوفية دعاة الفاطمية وجواسيسها

(١) ص ٢٦١ جـ ٢ الشفاء

(٢) إحدى فرق الخوارج أتباع عبد الله بن أباض ، افترقوا فرقا كثيرة يجمعها القول بإكفار مخالفيهم من هـذه الأمة ولا يزال منهم بقايا فى عصرنا بطرابلس وزنجبار انظر ص ٦١ من الفرق بين الفرق للبغدادى

إفك وبهتان

وأعظم الأمر أنه نسب كفره إلى إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الماحى لجميع الإشراك ، المخلص لمتبعيه من حبائل سائر الأشراك ، فقال فى الخطبة[(١)] :

« أما بعد فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مُبَشِّرة [أريتها فى العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق[(٢)]] وبيده كتاب ، فقال لى : هذا كتاب فصوص الحكم . خذه ، واخرج به إلى الناس [ينتفعون به] ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله ، وأولى الأمر منا [كما أمرنا] فحققت الأمنية ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة إلى إبراز[(٣)] هذا الكتاب كما حده لى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨] من غير زيادة ولا نقصان[(٤)] .

فمن الله ، فاسمعوا ... وإلى الله[(٥)] فارجعوا ... انتهى

دفع ما افتراه على الرسول

ولا شك أن النوم والرؤيا فى حد ذاتهما فى حيز الممكن ، لكن ما أصَّله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك محالا ، وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو الله ، فإذن الكل هو الله ، لا غير ، فلا نبى ولا رسول ، ولا مرسِل ، ولا مرسَل إليه ، فلا خفاء فى امتناع النوم على الواجب ، وفى امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبى بشىء فى المنام ، فمن هنا يعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألفه أهله . نبه على ذلك الإمام علاء الدين البخارى فى كتابه « فاضحة الملحدين ، وناصحة الموحدين » .

---

(١) أى خطبة كتاب الفصوص لابن عربى

(٢) ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل أو مختصر وأثبته عن فصوص الحكم

(٣) فى الأصل : إيراد . وهى كما أثبتها فى الفصوص

(٤) اختصر المؤلف بعدها مقدار سبعة أسطر من مطبوعة الحلبى ، ولو كان فيها ما يدفع عن الصوفية شبهة لأثبتها ، حتى لا يتهم المؤلف بغير الأمانة فى النقل

(٥) فى الأصل : وإليه . والتصويب من الفصوص

إيمانه بأن الله إنسان كبير

ثم قال ابن عربي فى فص حكمة إلهية فى كلمة آدمية : « لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى [التى لا يبلغها لإحصاء] أن يرى[1] أعيانها ، وإن شئت قلت : أن يرى عينه فى كون جامع يحصر الأمر [كله] ، لكونه متصفا بالوجود ، ويظهر به سره إليه ، فإن رؤية الشىء [نفسه] بنفسه ماهى مثل رؤية نفسه فى أمر آخر يكون له كالمرآة[2] » .

ثم قال : « فكان آدم عين جلاء تلك المرآة ، وروح تلك الصورة ، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التى هى صورة العالم المعبّر عنه فى اصطلاح القوم : بالإنسان الكبير[3] » .

ثم قال : « فسمى هذا المذكور : إنسانا وخليفة . فأما إنسانيته ؛ فلعموم

---

(١) فى الأصل : ترى . وابن عربى يجعل العلة الغائية من الوجود هى تعين الله — سبحانه — فى صورة آدم . والله يقول : (٥١ : ٥٦ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . والصوفية يدينون برب كان وجودا مطلقا ، بل وجودا منزها حتى عن الإطلاق . لا يوصف بوصف ، ولا يسمى باسم ، ولا يعرف بحد ولا برسم . ويطلقون عليه فى هذه المرتبة « العماء » ويسمون هذه المرتبة : الأحدية ، ويريدون بالعماء أنه سبحانه فى مرتبته هذه كان لايعرف نفسه ، ولا يراها ، ولايدرى هو من هو . ولا يعرفه أحد ، إذ ما ثم غير حتى يعرف ويرى ، ثم اشتاق أن يعرف نفسه وأن يرى ذاته ، فتعين فى صورة الحقيقة المحمدية ، ثم راحت الذات تنتقل من مرتبة إلى مرتبة ، حتى صار المطلق مقيدا ، أو معينا ، وصارت الوحدة كثرة . بيد أنها كثرة وهمية ، فما من شىء إلا وهو عين الذات هوية وماهية وصفة ، أو ما من شىء إلا وهو اسم إلهى تعين فى مادة . والحق عند الصوفية لا يرى مجردا عن المواد أبدا ولهذا يقولون : الخلق معقول ، والحق محسوس ! ! !

(٢) ص ٤٨ فصوص

(٣) ص ٤٩ فصوص

نشأته ، وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذى به يكون النظر ، وهو المعبَّر عنه بالبصر ؛ فلهذا سمى إنسانا ، فإنه به ينظر[١] الحق إلى خلقه ، فيرحمهم[٢] ، فهو الإنسان الحادث الأزلى ، والنشء الدائم الأبدى[٣] » .

ثم قال : « ولاشك أن المحدَث قد ثبت حدوثه ، ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شىء من اسم وصفه ، ماعدا الوجوبَ[٤] الذاتى ، فإن ذلك لا يصح فى الحادث، وإن كان واجب الوجود ، ولكن وجو به بغيره ، لا بنفسه[٥] » . ثم قال : « فوصف نفسه لنا بنا ، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا ، وإذا شَهِدَنا شهد نفسه ، ولا نشك أنا كثيرون بالشخص والنوع ، وأنا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمعنا. فنعلم قطعاً أن ثم فارقا به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض، ولولا ذلك ما كانت الكثرة فى الواحد[٦] » .

آدم عند الصوفية

ثم قال : فما جمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفا ، ولهذا قال لإبليس :

(١ ، ٢) فى الأصل : نظر — رحمهم

(٣) ص ٤٨ — ٤٩ فصوص . وفى هـذا النص يذكر ابن عربى رأيه فى الإنسان ، فيقرر أنه لاهوت وناسوت ، أو هو الله سبحانه تعين فى مادة . ولذا يجمع الإنسان بين صفات الأضداد — تماما كالذات الإلهية عندهم — فهو حق أزلى أبدى ، قديم سرمدى باعتبار لاهوتيته . وهو خلق حادث فان متجدد الصور ، يتحول ، ويجرى فى تيار الصيرورة باعتبار ناسوتيته . أى باعتباره مادة ، أو باعتبار صورته البدنية العنصرية . ولذا فالإنسان عندهم : حق خلق

(٤) فى الأصل : الوجود . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٣ فصوص .

(٦) ص ٥٣ فصوص .

(٣٨ : ٣٥ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدَىَّ) وما هو إلا عين جمعه[١] بين [الصورتين] صورة العالَم وصورة الحق [وهما يدا الحق[٢]] » .

ثم قال : فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل ، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره ، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ؛ ولذلك قال فيه : كنت سمعه و بصره . ما قال كنت عينه وأذنه[٣]

زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق

ثم قال: « ولولا[٤] سريان الحق فى الموجودات بالصورة ما كان [٩] للعالم وجود ، كما أنه لولا تلك الحقائق المعقولة الكلية ، ما ظهر حكم فى الموجودات العينية ، ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العالم إلى الحق فى وجوده — شعر .

فالكل مفتقر ، ما الكل مستغنى

هذا هو الحق قد قلناه ، لا نَكْنِي[٥]

---

(١) فى الأصل : جمعت . والتصويب من الفصوص .

(٢) ص ٥ فصوص، وكل ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل، وأثبته عن الفصوص

(٣) ص ٥٥ فصوص ، وسيأتى الرد على ما افتراه ابن عربى مستدلا فى زعمه بهذا الحديث .

(٤) فى الأصل : ولو . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٨-٥٩ فصوص : وابن عربى يعنى « بالكل » الله والعالم ، وكلاهما عنده مفتقر إلى الآخر إذ يدين بأنهما وجهان لحقيقة واحدة . ويفسر افتقار الخلق إلى الحق باحتياج الخلق إلى سريان الحق فيه ، لينتقل من الثبوت — وكل شىء عند الزنديق ثابت قبل وجوده — إلى الوجود ..

ثم إن الخلق عند ابن عربى ليس إلا أسماء الحق تعينت فى صور بدنية عنصرية ، ولذا لا يضاف الوجود إلى الخلق حقيقة . بل مجازاً ، فوجوده حقيقة عين وجود الحق . فإذا تحدث الصوفى عن عجل السامرى مثلا قال عنه : إنه اسم من أسماء الله سبحانه تعين فى صورة العجل . أو هو الحق تبارك وتعالى سمى عجلا !! =

التنزيه والتشبيه(١)

ثم قال فى فص حكمته سُبُّوحِيَّة فى كلمة نُوحِيَّة : « اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق فى الجناب الإلهى عين التحديد والتقييد ، فالمُنزِّه إما جاهل، و إما صاحب سوء أدب ، ولكن إذا أطلقاه(٢) ، وقالا به . فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه ، ولم ير غير ذلك ، فقد أساء الأدب، وأ كذب الحق والرسل وهو لا يشعر ، و يتخيل أنه فى الحاصل ، وهو فى الفائت ، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ، ولا سيما وقد علم أن أَلْسِنَةَ الشرائع الإلهية ، إذا نطقت فى الحق تعالى بما نطقت به ، إنما جاءت به فى العموم على المفهوم الأول ، وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأى لسان كان فى وضع ذلك اللسان .

= وهذا تفسير آخر لافتقار الخلق إلى الحق عند الصوفية . أما افتقار الحق إلى الخلق، فيفسره ابن عربى بأنه احتياجه إلى تعين أسمائه وصفاته ، بل ماهيته فى صور خلقية . فلولا المادة عند ابن عربى ماظهر للحق وجود ، ولا تعينت له ذات ، ولذا وضع الصوفية الحديث المفترى : « كنت كنزا مخفياً ، فخلقت الخلق فبى عرفونى » وما زلت أذكر ذلك الشيخ الذى راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا ، فكان مما قاله أن المراد بـ « فبى » محمد !! وكان دليله على خرافته أن العدد الناتج من حروف « فبى » يساوى العدد الناتج من حروف « محمد » فكلاهما على طريقة حساب الجمل : أبجد هوز الخ = ٩٢ !!

وكم صفقنا وانتشينا . ويذهب الطالب الصغير إلى قريته ويحدث الناس بهذا ، فيطربون للصبى الصغير إذ جاءهم بعلم لدنى ربانى !!

(١) يريد ابن عربى بالتنزيه الإطلاق ، وبالتشبيه التقييد ، فإله الصوفية مشبه إذا نظرت إليه من حيث تعيناته فى صور خلقية . وهو منزه إذا نظرت إليه من حيث كونه وجوداً مطلقاً . والعارف الحق عندهم من يؤمن برب كان مطلقاً ، ثم تعين فصار مقيداً ، أى خلقاً . أما من يؤمن بأن الله غير خلقه ، فهو ضال مشرك ، إذ يؤمن بغير ما من الأغيار .

(٢) فى الأصل : أطلقناه .

بم يعرَّف الله عند الصوفية ؟

فإن للحق فى كل خلق ظهوراً ، فهو الظاهر فى كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم ، إلا عن فهم من قال إن العالَم صورته وهويته[١] ، وهو الإسم الظاهر ، كما أنه بالمعنى روح ما ظهر ، فهو الباطن . فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة ، فيؤخذ فى حد الإنسان مثلا باطنه وظاهره ، وكذلك كل محدود . فالحق محدود بكل حد[٢] ، وصُوَرُ العالم لا تنضبط ، ولا يحاط[٣] بها ، ولا تعلم حدود[٤] كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته[٥] ، فلذلك يُجْهَل حَدُّ الحق ، فإنه لا يعلم حَدُّه إلا بعلم حَدِّ كل صورة . وهذا محالٌ حصوله ، فحد الحقِّ محال ، وكذلك من شَبَّهه ، وما نَزَّهه ، فقد قيَّده وحَدَّده ، وماعرفه ، ومن جمع فى معرفته بين التنزيه والتشبيه ، ووصفه بالوصفين

---

(١) الهوية عند الصوفية هى كما عرفها الجيلى فى الإنسان الكامل ص ٦٧ ج ١ « هوية الحق غيبه الذى لا يمكن ظهوره ، لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات » . والجرجانى فى التعريفات « هى الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة فى الغيب المطلق » . والعالم عند الصوفية ظاهر الله وباطنه ، أو صورته وحقيقته .

(٢) الحد هو أكمل أنواع التعريف ، ولما كان كل شىء هو الله عند الصوفية كان حد كل شىء هو فى الحقيقة حداً لله سبحانه ، فإذا أراد الصوفى وضع تعريف لله سبحانه أخذ فى حده حد كل موجود ، إذ الكل تعينات الذات ، ولما كانت هذه التعينات لا تتناهى ، ولا يمكن أن يحاط بها ، امتنع تبعاً لهذا تناهى الحدود التى يمكن حد الله سبحانه بها ، وامتنعت الإحاطة بهذه الحدود . وسيأتى بعد زيادة بيان عما يريده الصوفيه بهذه الزندقة .

(٣) فى الأصل : يحاد . والتصويب من الفصوص .

(٤) فى الأصل : يعلم حد .

(٥) فى الأصل : صورة .

على الإجمال ـ لأنه يستحيل ذلك على التفصيل ، لعدم الإحاطة بما فى العالم من الصور ـ فقد عرفه [مُجْمَلاً[١]] ، لا على التفصيل ، كما عرف نفسه مجملا ، لا على التفصيل ولذلك ربط النبى صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس ، فقال : « من عرف نفسه ، فقد عرف ربه[٢] » وقال الله تعالى (٤١ : ٥٣ سنريهم آياتنا فى الآفاق) وهو ما خرج عنك (وفى أنفسهم) وهو عينك (حتى يتبين لهم) ، أى للناظر (أنه الحق[٣]) أى من حيث أنك صورته ، وهو روحك ، فأنت له كالصورة الجسمية لك ، وهو لك كالروح الْمدَبِّر لصورة جسدك ، والحد يشمل الظاهر والباطن منك ، فإن الصورة الباقية إذا زال عنها الروح الْمدَبِّر لها ، لم تبق إنساناً ، ولكن يقال فيها : إنها صورة تشبه صورة الإنسان ، فلا فرق بينها و بين صورة من خشب أو حجارة ، ولا ينطلق عليها اسم إنسان إلا بالمجاز ، لا بالحقيقة وصور العالم لا يمكن زوال [١٠] الحق عنها أصلا ، فحد الألوهية له[٤] بالحقيقة ،

---

(١) أثبتها عن الفصوص .

(٢) ليس بحديث . قال النووى : ليس بثابت ، وابن تيمية : موضوع . ويريد الصوفية به أن من عرف نفسه ، عرف أنه هو الله .

(٣) تأمل كيف يفسر آى الله ، ويضع للحق معنى الباطل ، وللايمان مدلول الكفر . وحق ما يقول جولدزيهر « إذا حملت العبارات الدينية المعانى التصوفية ، وفسرت تلك بهذه ، تكون دلالة تلك العبارات على هذه المعانى أشبه بدلالة الرموز على ما جعلت رمزاً له ، وبعبارة أخرى تكون دلالتها عليها على غير العرف العام للغة ، وعلى غير الجارى فى إطلاق ألفاظها على معانيها ، وفهم هذه من تلك ، ولكنهم فى سبيل غايتهم لا يحفلون برعاية هذا العرف العام للغة ، وربما على العكس يتجاوزونه قصداً » انظر جـ٢ من الجانب الإلهى لأستاذنا الدكتور محمد البهى .

(٤) الضمير فى «له» يعود على العالم . والحد كما سبق أتم أنواع التعريف ، ولما كان ابن عربى يدين بأن الحق عين كل شىء ، فإنه يزعم هنا أنه يجب تعريف كل شىء بأنه إله ، أو بما نعرف به الله سبحانه ، فإذا سئل الصوفى عن خنزير أو صنم ما هو ؟ عرفه بأنه هوية الله وظاهره ، ونسب إليه اسما وصفة من أسماء الله سبحانه وصفاته .

لا بالمجاز ، كما هو حد الإنسان إذا كان حيًّا ، وكما أن ظاهر صورة الإنسان تثنى بلسانها على روحها ونفسها ، والمدبِّر لها ، كذلك جعل الله تعالى صورة العالم تسبح بحمده ، ولكن لا نفقه تسبيحهم ، لأنا لا نحيط بما في العالم من الصور ، فالكل ألسنة الحق ، ناطقة بالثناء على الحق ، ولذلك قال : الحمد لله رب العالمين أى إليه ترجع عواقب الثناء ، فهو الْمُثْنِي والْمُثْنَى عليه شعر .

فإن قلتَ بالتنزيه ، كنتَ مُقيِّدا
وإن قلتَ بالتشبيه ، كنت مُحدِّدا
وإن قلت بالأمرين ، كنت مُسدّدا
وكنت إماما فى المعارف سيدا
فمن قال بالإشفاع ، كان مُشرِّكا[(١)]
ومن قال بالإفراد ، كان مُوحِّدا
فإياك والتشبيه ، إن كنتَ ثانيا
وإياك والتنزيه إن كنت مُفْرِدا
فما أنت هو[(٢)] ، بل أنت هو[(٣)] ، وتراه فى
عين[(٤)] الأمور مُسَرّحًا ومُقَيَّدا

---

(١) أى من آمن بوجود الحق ، وبوجود الخلق على أنهما وجودان متغايران أو حقيقتان منفصلتان متباينتان ـ فهو مشرك . لأنه جعل وجود الخلق ، غير وجود الحق ، وجعل الحق غير الخلق أى جعل الواحد اثنين ، وغاير بين الإله وبين نفسه وهذا شرك عند الصوفية . أما الموحد عندهم فهو من يؤمن بأن الحق عين الخلق ، وجوداً وماهية .

(٢) باعتبار الإطلاق .

(٣) باعتبار التعين . ولاحظ التناقض المتوهم بين السلب والإيجاب اللذين يجعلهما ابن عربى شيئاً واحدا .

(٤) فى الأصل : عيون .

قال الله تعالى : [(٤٢ : ١١ ليس كمثله شىء) فنزَّه (وهو السميع البصير) فَشَبَّه[1]] وقال تعالى : (ليس كمثله شىء) فشبَّه وثَنَّى (وهو السميع البصير) فنزَّه وأفرد[2]

---

(١) ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل وأثبته عن الفصوص .

(٢) يريد ابن عربى بهذا التلبيس فى فهم الآية أن يقول : إن اعتبرت الكاف زائدة فى : كمثله كان معنى الآية : ليس مثله شىء ، وبذا تنتفى المثلية . وهذا تنزيه . ولكن فى قوله « وهو السميع البصير » تشبيه . لأنه أثبت لنفسه ــ هكذا يفهم الزنديق ــ عين ما للخلق من سمع وبصر . وهذا يستلزم كون ذات الحق عين الخلق ...

وإن اعتبرت الكاف غير زائدة فى « كمثله » كان معنى الآية : ليس مثل مثله شىء . يعنى أنها تثبت المثلية . وهذا تشبيه . ولكن فى قوله « وهو » نفى للمثلية لأن الضمير للمفرد . وهذا تنزيه يفيد أنه هو وحده الذى يسمع ويبصر فى صورة كل من يتأتى منه أن يسمع وأن يبصر . أى هو عين كل سميع وبصير !!

هذا ما يفهمه الزنديق فى الآية يهدف به إلى إثبات أن لله وجهين . وجه يسمى الحق ، والآخر يسمى الخلق ، وأنه لا يمكن تسميته حقاً فحسب ، أو خلقاً فحسب ، بل يسمى حقاً خلقاً فى آن واحد . وتعقيبه للآية أولا بقوله : فنزه على اعتبار زيادة الكاف ، وتعقيبها ثانياً بقوله : فشبه وثنى على اعتبار عدم زيادة الكاف !! وإليك الحق يهتك باطله : قال صاحب المغنى ــ وهو يعدد معانى الكاف « التوكيد وهى الزائدة نحو ليس كمثله شىء . قال الأكثرون : التقدير ليس شىء مثله ، إذ لو لم تقدر زائدة صار المعنى ليس شىء مثل مثله ، فيلزم المحال ، وهو إثبات المثل ، وإنما زيدت لتوكيد نفى المثل ، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة » .

وابن عربى قرر هذا بيد أنه لبس فى تفسير « وهو السميع البصير » إذ فسرها بأنه سبحانه يسمع كما يسمع العبد ، وبنفس الأذن التى يسمع بها ، ليزعم من وراء هذا الباطل أنه سبحانه عين من يسمعون ، ومن يبصرون ، لأن جوارحهم وحواسهم هى عين جوارح الإله الصوفى وحواسه ، فتكون ذواتهم عين ذاته . والآية ناطقة بإبطال هذا الكفر الفاجر . فما فيها سميع كما تسمعون أو بما تسمعون . وإنما هى =

تـكفير الصوفية لنوح

لو أن نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه : فدعاهم جهاراً ، ثم دعاهم إسراراً ، ثم قال لهم : (٧١ : ١٠ استغفروا ربكم ، إنه كان غفارا) وقال : (٧١ : ٥ ، ٦ إنى دعوت قومى ليلا ونهارا ، فلم يزدهم دعائى إلا فرارا) وذكر عن قومه أنهم تصاموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته ، فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام فى حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم ، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ، ومن أقيم فى القرآن لا يصغى إلى الفرقان ، وإن كان فيه . فإن القرآن[1] يتضمن

= لاثبات أن الله سبحانه له صفتا السمع والبصر ، وإنه لإعجاز حكيم أن يجىء الإثبات بعد النفى ، حتى يستقر اليقين فى القلب بأنه سبحـانه لا يماثله شىء ، ولا يماثل هو شيئاً ، فإذا أثبت الله بعد هذا النفى المؤكد لنفسه صفتى السمع والبصر ، فهم فيهما المؤمن مايليق بجلال الله وكبريائه وربوبيته ، لا ما استقر فى الوعى مما يشهده الحس فى الخلق فسبق النفى تصفيـة للفهم والقلب والفـكر ، من زيغ المثلية ، وإعداد لتلقى ما يرد بعده من إثبات تلقى إيمان ويقين لا يمسه وهم من التشبيه ، أو طائف من المثلية .

أما إذا اعتبرت الـكاف غير زائدة ، فلا يفيد هذا مطلقاً إثبـات المثلية ، لأن سياق الآية ينفيها ، والضمير «هو» ينفيها كذلك . ثم إن العرب ـ والقرآن عربى ـ كانوا إذا بالغوا فى نفى المثلية قالوا : مثلك لا يفعل كذا ، ومرادهم نفى الفعل عنه ، لا عن مثله ، ولـكن إذا نفوه عمن هو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه بالأولى . وعلى فرض ، المستحيل فإن تلبيس ابن عربى يهـدم باطله ، لأن المثلية تستلزم الإثنينية ، تثبت وجود اثنين فى أحدهما غير ما فى الآخر . وهو يدين بالوحدة المطلقة

(١) يريد ابن عربى بالقرآن : الجمع بين الحق والخلق ، أى إدراك أنهما وجهان لحقيقة واحدة سميت حقا باعتبار باطنها ، وخلقا باعتبار ظاهرها . هذه الحقيقة : هى ما هية الله سبحانه ، ويريد بالفرقان : التفرقة بينهما . ولذا يبهت نوحا عليه السلام بأنه جهل حقيقة الدعوة إلى الله سبحانه ، أو بأنه مكر بقومه فى دعوته ، إذ دعاهم إلى الإيمان بالحق مجردا عن الخلق ، أى بأن الحق غير الخلق ، ففصل نوح هكذا =

الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس ، فـ (ليس كمثله شىء) يجمع الأمرين فى أمر واحد ، فلو أن نوحاً أتى بمثل هذه الآية لفظا أجابوه ، فإنه شبه ونزه فى آية واحدة بل [فى] نصف آية . ونوح دعا قومه «ليلا» من حيث عقولهم ، وروحانيتهم ، فإنها غيب ، و « نهاراً » دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وحسهم[1] ، وما جمع فى الدعوة مثل : ليس كمثله شىء ، فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان [فزادهم] فرارا ، ثم قال عن نفسه : إنه دعاهم ليغفر لهم ، لا ليكشف لهم[2] ، وفهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم ، لذلك : « جعلوا أصابعهم فى

= يفترى الزنديق ـ بجهله بين وجهى الحقيقة الواحدة ، أو جعل — بمكره — الحقيقة الواحدة شيئا آخر غير نفسها ، وفرق بين باطن الذات الإلهية ـ وهو الحق ـ وبين ظاهرها وهو الخلق . ولذا لم يستجب قومه لدعوته ، إذ كانوا على بينة من الأمر ، على علم صادق بالحقيقة ، كانوا على يقين — ويقينهم هو الحق عند الصوفية — من أن الله سبحانه حق وخلق ، مطلق ومقيد ، رب وعبد . وأنه عين كل شىء ، فعبدوه فى بعض ما تعين فيه ، وهى الأصنام . فدلوا بهذه العبادة على صدق الإيمان ، وكمال التوحيد ، لهذا يقول الزنديق : ما كان ينبغى لنوح ، أن يمكر بقومه فى دعوته ، أو أن يضلهم عن السبيل السوى ، فيدعوهم إلى الإيمان بأن الرب غير العبد وأن الحق غير الخلق ، وأن المعبود غير العابد . وإنما كان واجبا على نوح أن يؤيد الحق الذى آمن به قومه ، والهدى الذى كشف لهم عن كنه الحقيقة ، وهى أن هذه الأصنام ما هى إلا ذات الله سبحانه ، وأن عبادتهم لها عبادة حقة لله سبحانه ! ! فتأمل ! ! كيف يبهت رسولا من أولى العزم بالمكر أو بالجهل ، وكيف يفضل عليه أوباش الوثنية ، وعبد الشيطان !! ورغم هذا يظل الشيوخ يدينون لابن عربى بالعبودية .

(١) فى الأصل : جثتهم

(٢) يريد الزنديق أن نوحا دعا قومه إلى مقام الستر المطلق ، لا إلى مقام الكشف والظهور . والستر المطلق هو الحق المنزه عن التجلى فى أية صورة خلقية .

آذانهم ، واستغشوا ثيابهم » وهذه كلها صورة الستر التى دعاهم إليها ، فأجابوا دعوته بالفعل ، لا بِلَبَّيْكَ ففى (ليس كمثله شىء) إثبات المثل ونفيه [١] ، وبهذا قال عن نفسه صلى الله عليه وسلم : أنه أوتى جوامع الْكَلِمَ ، فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا فى نهار ، ونهاراً فى ليل [٢] ، فقال نوح فى حكمته لقومه : (١١:٧١ يرسل السماء عليكم مدرارا) وهى المعارف العقلية فى المعانى والنظر الاعتبارى (ويمددكم بأموال) أى بما يميل بكم إليه ، فإذا مال بكم إليه ، رأيتم [١١] صورتكم

ومقام الكشف تجلى الحق فى صورة كل موجود ، ويبهت نوحا بالخداع والمكر ، إذ غفر — أى ستر — عن قومه الحق العلوى الذى هم به مؤمنون . وهو أن أصنامهم بعض مجالى الله وظهوراته ، وتعالى الله عما يأفك الصوفية

(١) تقدم الرد على ما يفتريه هنا

(٢) يقصد بالليل باطن الذات الإلهية ، وبالنهار ظاهرها . والباطن هو وجه الذات وغيبها المسمى حقا ، والظاهر هو وجهها الآخر المسمى خلقا ، ويذم نوحا بأنه دعا قومه ليلا ونهارا أى إلى الإيمان بالحق — وهو الليل — وبالخلق ، وهو النهار ، وبأنهما غيران ، ويمجد محمدا الذى يزعمه — وحاشا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم — لأنه جمع فى دعوته بين الدعوتين ، إذ دعا قومه إلى الإيمان بأن الحق عين الخلق . وعبر الفاجر الزنديق عن هذا بقوله : ليلا فى نهار ، أى حقا فى خلق . وإلى الإيمان بأن الخلق عين الحق ، وهذا ما يعبر عنه الشيطان بقوله : نهارا فى ليل . أى خلقا فى حق . أى قال لهم : الواحد عين الكثير ، والكثير عين الواحد . وبهذا البهتان الأثيم يفضل ابن عربى محمدا المزعوم على نوح الذى جهل أو مكر ، فغاير بين الحق والخلق ! ! فتأمل ! ! تأمل الشيخ الأكبر فى عرف الزنادقة أى الصوفية إلى أى حد تبلغ القحة فى جراءة كفره ، فيصم نوحا بالشرك والكفر ، ويفترى على محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان مشركا أصم الوثنية . ولكن كيف تعجب من رجل يجعل من الخنازير والجيف والقيح بما فيه من ميكروبات فتاكة ، يجعل هذه آلهة له ، وأربابا يفزع إليهم بالرجاء والأمل والحب والخوف ! ! !

فيه ، فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف ، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه ، فهو العارف ، فلهذا انقسم الناس إلى غير عالم ، وعالم « وولده[١] » وهو ما أنتجه لهم نظرهم الفكرى ، والأمر موقوف عِلْمُه على المشاهدة ، بعيد عن نتائج الفكر « إلا خسارا » « فما ربحت تجارتهم » فزال عنهم ما كان فى أيديهم مما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم ، وهو فى المحمديين (٥٧ : ٧ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) . وفى نوح (٧١ : ٢ ألا تتخذوا من دونى وكيلا[٢]) فأثبت الملك لهم ، والوكالة لله فيهم ، فهم مستخلفون فيه ، فالملك لله ، وهو وكيلهم ، فالملك لهم ، وذلك ملك الاستخلاف ، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك ، كما قال الترمذى رحمه الله .

الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية

(ومكروا مكراً كبارا) لأن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعُوِّ[٣] ، لأنه

---

(١) فسر المدرار بالمعارف العقلية ، والمال بما يميل بالإنسان إلى الله فيرى فى الله سبحانه صورته ، وفسر الولد بالنتاج الفكرى . وهكذا يضع للغة القرآن ما شاءت زندقته من معان ، وبمثل ما يفترى ابن عربى يعجب بعض من يوصفوا بأنهم من ذوى الفكر . ولو اتخذنا أسلوب ابن عربى قاعدة لنا فى البيان ما بقيت لغة ، بل ما بقيت حقيقة واحدة يمكن أن تجتمع عليها العقول

(٢) الآية فى بنى إسرائيل ، لا فى قوم نوح

(٣) يشرح القاشانى هذا بقوله « معناه : أن الدعوة إلى الله دعوة منه إليه ، لأن الله عين الداعى والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شىء » ص ٥٨ ط ١٣٠٩ شرح القاشانى للفصوص . وأقول : يدين ابن عربى وعبد الطاغوت الصوفية أن الله سبحانه عين كل شىء ، فإذا ما جاء الرسل ، وأمروا بعبادة الله وحده ، ونهوا عن عبادة غيره ، عن عبادة العجل مثلا ، والأصنام والكواكب وغيرها . فإن الصوفية يرون هذه الدعوة فى مظهريها الإيجابى والسلبى مكرا وخداعا ، إذ توحى إلى عباد الأصنام والأوثان وغيرها أنهم يعبدون غير الله ، والرسل يعلمون ـ هكذا ـ

ما عدم من البداية ، فيدعى إلى الغاية (١٢ : ١٠٨ أدعو إلى الله) فهذا عين المكر[١] » .

قلت : فهذا ، وأشكال من قوله ـ كما يأتى فى الفص اليوسفى ـ يُدَنْدِن به على تصحيح قول الكفار : إن القرآن سحر . ولا يقدر على التصريح به ، ولقد أخبرنى من أثق به أن بعض أتباعهم قال له : القرآن أساطير الأولين[٢] ! !

ثم قال ابن عربى :[مفسراً قول رب العالمين[٣]] (١٢ : ١٠٨ على [بصيرة] فنبه على أن الأمر له كله ، فأجابوه مكراً كما دعاهم ، فجاء المحمدى ، وعلم أن الدعوة إلى الله ما هى من حيث هويته ، وإنما هى من حيث أسماؤه[٤] ، فقال : (١٩ : ٨٦ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) فجاء بحرف الغاية ، وقرنها بالإسم فعرَّفنا أن العالم كان تحت حيطة إسم إلهى ، أوجب عليهم[٥] أن يكونوا متقين،

= يفترى الصوفية ـ أنه ما ثم غير ، أو سوى ، فكل ما عبد ، أو سيعبد إنما هو الله . إذ كل معبود شىء ، والله سبحانه عند الصوفية عين كل شىء

(١) ص ٧٧٢ — ٦ فصوص الحكم

(٢) بل قال الفاجر التلمسانى : « القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد فى كلامنا نحن » ص ٧٧ جـ ١ مجموعة الرسائل والمسائل

(٣) وضعت ما بين هذين [ ] هنا من عندى حتى لا يظن بآية من القرآن أنها من كلام ابن عربى

(٤) أى ما يدعو الرسل إلى عبادة الله من حيث كونه حقا ، أو وجودا مطلقا ، بل من حيث كونه خلقا ، أو وجودا مقيدا تعين فى صور بدنية عنصرية . فما من شىء إلا وهو ـ عند الصوفية ـ اسم من أسماء الله تعالى . تعين فى صورة ذلك الشىء . لذا يدعو الرسل الصادقون ـ هكذا يكفر الصوفية ـ إلى عبادة الخنازير والقمل والضفادع ، والبغايا الأواثم ، والأجساد الفواجر ؛ لأن هذه عند الصوفية أسماء الإله الذى يزعمونه

(٥) فى الأصل : فعلمنا أن النور كان تحت حيطة اسم إلهى أوجب عليه

فقالوا[١] فى مكرهم (٢٣:٧١ لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وَدًّا ولاسُوعًا، ولا يَغُوثَ ويعُوقَ وَنَسرًا) ، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ماتركوا من هؤلاء فإن للحق فى كل معبود وجها يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله . فى المحمديين : (١٧ : ٢٣ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) أى حكم[٢] ، فالعالم يعلم[٣] من عبد ، وفى أى صورة ظهر حتى عبد ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة[٤] ، وكالقوى المعنوية فى الصورة الروحانية ، فما عبد غيرُ الله

---

(١) يعنى قوم نوح الوثنيين

(٢) بل أمر ووصى كما ستعرف

(٣) فى الأصل : يعلمه

(٤) يشبه الحق والخلق ، بالجسد وأعضائه فى أن كليهما واحد فى الحقيقة ، كثير بالاعتبار . فأنت إذا أفردت بالنظر كل عضو من أعضاء الجسم ، فهو كثير ، إذ ترى رأسا ، ووجها ، ويدين ، وقدمين ، وإذا نظرت إليه جملة وجدته واحدا . وهذه الوحدة حقيقية . أما الكثرة فاعتبارية فحسب . وكذلك ـ هكذا يفترى الزنديق ـ الله والعالم . فالعالم فى حقيقته ليس شيئا سوى الله ، أو هو تعينات أسمائه برزت فى صور مادية . كما أن أعضاء الجسم ليست شيئا آخر غير الجسم ، بل هى هو . ومدلول جميعها مدلوله . ورغم مافى المثل من تلبيس وزندقة فإنه لايصحح لابن عربى مذهبه ، فاليد مثلا ليست هى كالجسد ، وإنما هى عضو ، أو جزء منه . وابن عربى لا يقول عن شىء ما : إنه عضو الإله أو جزؤه ، بل هو عنده عينه وكله ! !

والذى يستلفت نظر المؤمن أن الغزالى سبق ابن عربى إلى استعمال هذا المثل فى نفس ما استعمله فيه ابن عربى ؛ إذ يقول ـ وهو بصدد بيان المرتبة الرابعة من التوحيد : « ألا يرى فى الوجود إلا واحدا ، وهى مشاهدة الصديقين . وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد » ثم يشرح حال الموحد فى هذه المرتبة ، فيقول : « والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث أنه كثير ، بل من حيث أنه واحد ، فإن قلت : كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض ، وسائر الأجسام المحسوسة وهى كثيرة ؟ ! » يجيب الغزالى عن هذا بمثال يقرب فى زعمه ذلك إلى الذهن ، فيقول : « إن الإنسان =

فى كل معبود[١] »

تكفير العراقى لابن عربى

وقال شيخ شيوخنا الإمام القدوة العارف شيخ الإسلام حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى فى كراسة أجاب فيها سؤال من سأله عن بعض كلام ابن عربى هذا : « وقوله فى قوم نوح : لا تذرنّ آلهتكم – إلى آخره – كلامٌ ضلالٍ وشرك واتحاد و إلحاد ، فجعل تركهم لعبادة الأوثان التى نهاهم نوح عن عبادتها جَهْلاً يفوِّت عليهم من الحق بقدر ما تركوا » انتهى .

قلت : ياليت شعرى من قال هذا القول فى هذا العدد اليسير من الأصنام ، ماذا يقول فيما روى فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما[٢] ، فجعل يطعنها بعود فى يده[٣] ، وجعل يقول : (١٧ : ١٨ جاء الحق وزهق الباطل[٤])

= كثير إن التفت إلى روحه وجسده وعروقه ، وهو باعتبار آخر ، ومشاهدة أخرى واحد ، وكذلك كل مافى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ، وباعتبارات أخر سواه كثير » انظر باب التوحيد من كتاب الإحياء

(١) ص ٧٢ فصوص

(٢) فى البخارى « نصب » . واحدة الأنصاب ، وهو ماينصب للعبادة من دون الله ، ويراد به أيضا الحجارة التى كانوا يذبحون عليها للأصنام . غير أنها ليست مرادة هنا .

(٣) فى مسلم عن أبى هريرة : « يطعن فى عينيه بسية القوس » وفى حديث ابن عمر عند الفاكهى – وصححه ابن حبان – فيسقط الصنم ولا يمسه ، وللفاكهى والطبرانى من حديث ابن عباس « فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة بالأرض »

(٤) ورد فى البخارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد هذا (جاء الحق وما يبدئ الباطل ، وما يعيد)

وفى السير : أنها كانت [١٢] مثبتة فى الأرض بالرصاص ، فما أشار بذلك العود إلى صنم منها إلا انقلب . إن أشار إلى قفاه انكب على وجهه ، و إن أشار إلى وجهه انقلب على قفاه[١] ، وكان فى جزيرة العرب من الأصنام ما يتعسر حصره ، فما أبقى لشىء منها باقية ، وما استباح قتالهم ، ونهب أموالهم ، وقتل رجالهم ، ومزق أبطالهم ، وركب من دون ذلك الأهوال العظام ، وقاطع الأخوال والأعمام إلا على ذلك ، فتَبًّا لمن أنكره ، أو رأى شيئاً أكمل منه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

كل شي عندهم رب وإله

قال ابن عربي : « فالأدنى من تخيل فيه ـ أى فى كل معبود ـ الألوهية ، فلولا[٢] هذا التخيل ، ما عُبِد الحجر ولا غيره ، ولهذا قال : (١٣ : ٣٣ [قل سموهم) ، فلو سموهم لسموهم حجارة[٣] وشجراً وكوكبا ، ولو قيل لهم : من عبدتم ؟ لقالوا : إلها . ما كانوا يقولون : الله . ولا الإله . والأعلى ما تخيل ، بل قال : هذا مجلى إلهى ينبغى تعظيمه ، فلا يقتصر[٤] ، فالأدنى صاحب التخيل يقول (٣٩ : ٣ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والأعلى العالِم يقول : (٣٢ : ٣٤ فإلهكم[٥] إله واحد

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ ج ٢ على هامش الروض الأنف

(٢) فى الأصل : ولولا .

(٣) فى الأصل : حجراً

(٤) أى لا يقصر عبادته على شىء ما بعينه ، بل يعبد كل شىء ، حتى ما يعصف بنفسه من هوى ، وما يترنح فكره من أوهام . وسيأتيك من كلام ابن عربى ما يدلك على أنه يؤمن بأن الهوى أعظم مجالى الإله

(٥) فى الأصل : إنما إلهكم . ويفسرها الزنديق بأن العارف المكمل . هو من يقول لعباد الأوثان ، ولعباد الكواكب ، إن ما تعبدونه هو الإله الواحد ، فالإله المتعين فى أوثانكم عين المتعين فى كواكبهم ، فلا يقصر أحد منكم عبادته على شىء ما بعينه ، أو يختص بها بعضا دون بعض ، فإن إلهكم هو عين كل شىء .

فله أسلموا ، و بشر المخبتين) الذين خبت نار طبيعتهم ، فقالوا : إلها ، ولم يقولوا طبيعة[1] » .

قلت : وعلى هذا يُحَوِّم ابن الفارض[2] بقوله ، فالعلماء شهدوا فيه[3] أنه من أهل الاتحاد .

الرأى فى ابن الفارض وتائيته

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير[4] : « إنه نظم التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ـ وقال : وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها[5] » وقال فى سنة سبع وسبعين وستمائة فى ترجمة محمد ابن إسرائيل[6] : « وكان أديباً ، ولكن فى كلامه ما يشير إلى الحلول والاتحاد

---

(١) ص ٧٢ فصوص .

(٢) ورد بهامش الأصل مانصه « ابن الفارض هو حجة أهل الوحدة ، وحامل لواء الشعراء ، توفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة عن ست وخمسين إلا أشهرا . ذكره الذهبى فى تاريخه » وقد ولد ابن الفارض سنة ٥٧٦ هـ ودفن بمصر .

(٣) ليس الحكم بهذا على ابن الفارض بحاجة إلى شهادة أحد ، فإنه صرح فى التائية بأنه يدين بهذه الأسطورة الملحدة ، إذ يقول : وجل فى فنون الاتحاد ،وجاء حديث فى اتحادى ثابت ، وهأنا أبدى فى اتحادى مبدئى . وسيأتيك مايجعلك تؤمن بأنه كان من المؤمنين بالوحدة ، لا بالإتحاد فحسب .

(٤) الإمام المحدث البارع كما ينعته الذهبي . ولد سنة ٧٠٠ وتوفى سنة ٧٧٤ ، من مصنفاته البداية والنهاية فى التاريخ ، والتفسير ، وجمع المسانيد العشرة ، صحب ابن تيمية وأخذ عنه ، ولازم المزى ، وتزوج بابنته ، وسمع عليه أكثر تصانيفه .

(٥) ذكر ابن كثير هذا فى البداية والنهاية .

(٦) ولد نجم الدين ابن إسرائيل سنة ٥٦٣ وتوفى سنة ٦٧٧ . ومن قوله :

وماأنت غير الكون بل أنت عينه ... ويفهم هذا السر من هو زائق

وأيضاً « إن الله ظهر فى الأشياء حقيقة . واحتجب بها مجازاً ، فمن كان =

على طريقة ابن الفارض، وابن عربى[١] » . وقال الشيخ مدين ـ وهو كان رأس الصوفية زماننا ـ « إن التائية هى الفصوص ، لا فرق بينهما » ومن قال إن السراج عمر بن إسحاق الهندى[٢] عزَّر الشهاب أحمد بن يحيى بن أبى حجلة[٣] لأجل كلامه فى ابن الفارض، وجعل ذلك دليلا على ولايته ـ أجيب بأن شيخنا حافظ العصر أحمد بن حجر ذكر فى ترجمته فى أول تاريخه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أن السراج الهندى كان يتعصب للصوفية الاتحادية ، وأنه شرح التائية ، فسقط كلامه ، والاعتبار به[٤] ، وعلى كل تقدير فتعزيره له غير واقع فى محله بوجه ، فإنه لا شىء على من كَفَّر مسلما بتأويل بلا خلاف

= من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر ومجالى ، ومن كان من أهل المجاز شهدها ستوراً وحجباً » انظر لسان الميزان ، ومجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٦١ .

(١) لا يدين ابن الفارض بالحلول ، ولا ابن عربى به أو بالاتحاد ، وإنما يدينان بالوحدة ، إذ الحلول يستلزم الإثنينية ، والاتحاد يشعر بأنه كان ثم غير أن فى وقت ما ، وهما يدينان بأنه ما ثم غير ولا سوى. ومما قرأته لابن إسرائيل تحكم بأنه على دين أهل الوحدة ، لا الحلول أو الاتحاد .

(٢) ولد سنة ٧٠٤ ، ومات سنة ٧٧٣ هـ . تولى قضاء الحنفية ، وكان يتعصب تعصباً مقيتاً للصوفية من أهل الوحدة ، ولذا شرح تائية ابن الفارض .

(٣) ولد سنة ٨٢٥ ثم قدم القاهرة ، فولى بها مشيخة الصوفية ، وكان يكثر من الحط على أهل الوحدة ، وبخاصة ابن الفارض ، ولهذا عارض جميع قصائده ، توفى سنة ٧٧٦

(٤) ولهـذا يجب دائماً ألا نجعل آراء البشر أدلة على الحق ، أو سبيلا إليه ، بل نرد فى كل ما يعرض لنا من أقضية الدين إلى الكتاب والسنة ، وفيما يحكمان به فصل الخطاب ، والعدل والحق والصواب ، ولو أن السراج الهندى أسلم وجهه لله ، وجرد قلبه من إثم هواه ، لوالى الله سبحانه ولم يوال ابن الفـارض . وثمت يدين بالحق ، وهو ابن الفارض عدو للحق .

نعلمه بين العلماء . والحجة فيه قصة عمر وحاطب [١] رضى الله عنهما ، وغير ذلك مما وقع بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فى وقائع عدة ، على أن التعزير [٢] يحتمل أموراً عدة ، لا يتعين شىء منها إلا بدليل ، فسقط الاستدلال به .

وقال العلامة علاء الدين البخارى ، وكان عين العلماء والصوفية قبل الشيخ مدين [٣] لشخص حنفى « لا فرق بين التائية والفصوص إلا بكونه نثراء وكونها نظما ، كما أنه لا فرق بين منظومة [١٣] النسفى والقدورى إلا بذلك . وقال الشافعى مثل ذلك ، ومثل بالبهجة نظم الحاوى ، وبالحاوى » . .

وقال العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل — وهو من أعيان صوفية اليمن وفقهائهم — : « واعلم أن ابن الفارض من رءوس أهل الاتحاد » واستشهد على [٤]

---

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة ، اتفقوا على شهوده بدراً ، وثبت ذلك فى الصحيحين من حديث على فى قصة كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فنزلت فيه : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية . فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ » . وقد روى حديث حاطب الجماعة كلهم إلا ابن ماجة . ومكان الحجة هنا : تأول عمر فعل حاطب بالنفاق ، وعدم مؤاخذة الرسول لعمر فى تأوله هذا . ولكن حاطباً رجل أخطأ فندم وتاب فأين من هذا إصرار ابن الفارض ، وتصريحه الجلى بأنه هو الله ؟!

(٢) يعنى : تعزير السراج الهندى لابن أبى حجلة . وقد حفل البقاعى بهذا التعزير ، كأنما السراج إله يعزر عاصيا . وماذا ينتظر الناس من السراج ؟! ألا إنما الحق غنى عن تأييد الملايين من أمثال السراج هذا .

(٣) ولد بأشمون جريس سنة ٧٨١ تقريباً . وتوفى سنة ٨٩٢ . يقول عنه السخاوى فى الضوء : « وأما فى تحقيق مذهب القوم فهو حامل رايته . والمخصوص بصريحه وإشارته » .

(٤) لعله سقط من الناسخ بعد على ، كلمة : قوله ، أو هذا .

بشراح التائية من أتباعه مثل سعيد الفرغانى وداود القيصرى ، ومحمود الأبزاوى .

شواهد من تائية ابن الفارض

وإياكَ والإعراضَ عن كل صورة
مُمَوَّهَةٍ ، أو حالة مستحيلة

فَطَيْفُ خيال الظل يبدى[١] إليكَ فى
كَرَى اللهو ، ما عنه الستائرُ شُقَّت

ترى صُوَر الأشياء تُجْلى عليكَ مِنْ
وراء حجاب اللبْس[٢] فى كل خلعة

تجمعت الأضداد فيها لحكمه[٣]
وأشكالها تبدو على كل هيئة

صَوَامِتُ تبدى النطق وهى سواكن
تَتَحَرَّكُ مَهْدى النور غير ضَوِيَّة

ثم ذكر أنواعاً من الأضداد فى نيف وعشرين بيتا ، ثم قال :

وكل الذى شاهدْتَه فعل واحد
بمفرده ، ولكن بِحَجْبِ الأَكِنَّةِ

إذا ما أزال الستر لم تر غيره
ولم يبق بالأشكال إشْكَالُ ريبة

ويجمعنا فى المظهرين تشابه
وليست لحالى حالُه[٤] بشبيهة

---

(١) فى الأصل : يهدى

(٢) فى الأصل : النفس . والتصويب من الديوان .

(٣) فى الأصل : بحكمة .

(٤) فى الأصل : حالة .

فأشكاله كانت مظاهر فعله
بستر تلاشت إذ[1] تجلى وولَّت
وكانت له بالفعل نفسى شبيهة
وحسى كالأشكال ، واللّبْسُ سترتى

تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام

وقال فى الفص النوحى أيضاً : (٧١ : ٢٣ وقد أضلوا كثيراً) أى حَيَّرُوهم فى تعداد الواحد بالوجوه والنِّسب (ولا تزد الظالمين[2]) لأنفسهم « المصطفين » الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة[3] ، فقدمه على المقتصد والسابق

(١) فى الأصل : إذا .

(٢) يعنى : من ذكروا فى قوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) وقد عرفهم الزنديق بأنهم : هم المصطفون الأخيار .

(٣) يشير إلى الثلاثة الذين ذكروا فى قوله تعالى (٣٥ : ٣٢ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) وقد سوى الزنديق بين مفهوم الظلم هنا ، وبين مفهوم الظلم فى قوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) يهدف بهذه التسوية إلى تقرير أن عباد الأصنام من قوم نوح هم من الذين اصطفاهم الله سبحانه !! ناسياً عن عمد كفور أن الظلم فى قوله سبحانه (ظالم لنفسه) مقيد ، وأنه هناك مطلق . وأن الظالم لنفسه فى الآية مذكور فى مقام ثناء ، وأن الظالمين من قوم نوح ذكروا فى مقام الذم .

ولا عجب ، فالمصطفى عند الصوفية هو الظالم ، والظالم عندهم من شاهد الواحد كثيراً ، فعدد الواحد ، وسار منه إلى الكثير . والمقتصد من يشهد الكثرة فى الواحد والواحد فى الكثرة ، جامعاً فى شهوده بين الحق والخلق . والسابق هو من يشهد الكثير واحدا ، ويسير من الكثير إلى الواحد . ويرى الصوفية فى الظالم أفضل الثلاثة إذ لا يرى الواحد إلا كثيرا بالاعتبار فقط . ويلزمهم من هذا أن يكون ربهم ناقصاً كاملا . وأن يكون مغايرا لنفسه ، إذ الثلاثة عندهم عين الحق . فيكون الحق المتعين فى الظالم غير المتعين فى المقتصد . فى حين هم يدينون بأن هوية كل شىء عين هوية الحق !!

« إلا ضلالا » إلا حيرة المحمدى « زدنى فيك تحيراً[1] » . (٢ : ٢٠ كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا) فالحائر له الدور ، والحركة الدورية[2] حول القطب[3] ، فلا يبرح منه . وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود ، طالب ما هو فيه . صاحب خيال إليه غايته ، فله « من ، وإلى[4] » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية ، لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له[5]

---

(١) يستشهد ابن عربى بهذا على أنه حديث نبوى كما يأفك الصوفية . ولكن اسمع لابن تيمية يقول عنه : « لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا هو فى شىء من كتب الحديث ، ولا فى شىء من كتب من يعلم الحديث ، بل ولا من يعرف الله ورسوله » ص ٤٥ ج٤ مجموعة الرسائل والمسائل .

(٢) فى الأصل : الدور ، والتصويب من الفصوص .

(٣) يريد به هنا : الله سبحانه : وهو متعين فى الحقيقة المحمدية !! وسبحانك عما يأفك الزنادقة .

(٤) يقول بالى أفندى فى شرحه للفصوص « أى له ابتداء ومسافة ، فابتداؤه من نفسه ، وانتهاؤه إلى خياله ، ومسافته ما بينهما . فلا يصل إلى مطلوبه بهذا الطريق ، وهو طريق العابدين من أهل الظاهر » انظر ص ٨٤ من الشرح المذكور .

واهاً للصوفية !! حتى بالى أفندى يؤمن بأن من يعبد الله بما شرعه الله ، لا ينعم بالإيمان ولا بمحبة الله !!

(٥) يقول بالى ص ٨٤ من شرحه للفصوص « ولا غاية له لمشاهدة مطلوبة فى كل مظهر ، ولا نهاية للمظاهر ، فلا غاية لصاحب هذه الحركة » يعنى : أن الصوفى الحق ، والموحد الحق ، هو من يدين بأن الحق عين الحق ، وهذا الموحد بدؤه عين غايته ، وأوله نفس آخره ، فهو أشبه بمن يديم الطواف حول دائرة . إنه ينتهى إلى حيث بدأ ، ويبدأ من حيث انتهى . والصوفى يبدأ من عبادة الظاهر أو الحق ، وينتهى إلى عبادة المظاهر أو الخلق ، ولكن : ماتلك المظاهر ؟ إنها عين الظاهر ؟ ومن أولئك الخلق ؟ إنهم عين الحق . فلا يقال عنه إنه بدأ أو انتهى ، فالبداية عين النهاية !! هذا مراد الزنديق من قوله : ولا غاية له .

فتحكم عليه « إلى » فله الوجود الأتم ، وهو المُؤْتي جوامِعَ الْكَلِمِ والْحِكَمِ « مما خطيئاتهم (١) » فهى التى خطت بهم ، فغرقوا فى بحار العلم بالله ، وهو الحيرة « فأدخلوا ناراً » فى عين الماء (٢) ، فى المحمديين (٨١ : ٦ و إذا البحار سجرت) سجرت التنور إذا أوقدته . « فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا » فكان الله عين أنصارهم (٣) فهلكوا فيه إلى الأبد ، فلو أخرجهم إلى السيف ، سيف الطبيعة لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان الكل لله ، وبالله ، . بل هو الله . « قال نوح : رب » ما قال : إلهى . فإن الرب له الثبوت ، والإله يتنوع (٤) بالأسماء ، فهو كل يوم هو فى شأن . فأراد بالرب ثبوت التكوين ؛ إذ لا يصح إلا هو .

---

(١) يقصد قوله تعالى عن قول نوح (٢٥:٧١ مما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ويمجد الفاجر خطايا الوثنيين من قوم نوح ، ويزعم أنها خطت بهم إلى قدس أقداس الحقيقة ، فعرفوا أنهم أرباب تعبد آلهة هى الأصنام ، ويفسر الإغراق بأنه إغراق فى بحار العلم بالله !

(٢) يفسر المنار بأنها هى الماء ، فأى عمه بصرى ، وغباء حسى ، وخيال فكرى أخبث من هذا ؟

(٣) فى الأصل : ناصرهم . وتأمل رعونة الزندقة ، وجرأة باطلها على الحق المبين من كتاب الله . إذ يزعم أن الله سبحانه ما نفى وجود الأنصار للوثنيين ، إلا لأن الله نفسه كان هو عين أنصار أولئك الوثنيين ، فما ثم غيره حتى يمكن نفى وجوده . ولم لا يفجر الزنديق كل هذا الفجور ، وهو يدين بهذه الأوثان هى الله سبحانه عما يأفك الزنادقة .

(٤) فى الأصل : تنوع . وابن عربى يدين بأن كل شىء هو اسم إلهى تعين فى صورة ذلك الشىء . ولذا ، فكل شىء إله يجب أن يعبد ، ولما كان لكل شىء اسمه الخاص به ، فإن الحق تعددت ، وتنوعت أسماؤه تبعاً لتنوع الأشياء وتعدد أسمائها ، فالأشياء كلها تعينات أسمائه . فيسمى الإله الصوفى إذن صنما باعتبار تعينه فى شىء سمى : الصنم . ويسمى : عجلا ، وخنزيرا ، وميكروباً ، وقملا ، وبغيا ، بنفس ذلك الاعتبار .

« لاتذر على الأرض » يدعو عليهم أن يصيروا فى بطنها المحمدى « ولو دليتم بحبل لهبط على الله[1] » (له مافى السماوات ، وما فى الأرض[2]) وإذا دفنت فيها [فأنت فيها] ، وهى ظرفك (٢٠ : ٥٥ وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى) [١٤] لاختلاف الوجوه « من الكافرين[3] » الذين « استغشوا ثيابهم ، وجعلوا أصابعهم فى آذانهم » طلباً للستر ، لأنه دعاهم ليغفر لهم . والغفر الستر . « دياراً » أحداً ، حتى نعم المنفعة كما عمت الدعوة « إنك إن تذرهم » أى تدعهم وتتركهم « يضلوا عبادك » إلى الخير ، فيخرجوهم من العبودية إلى مافيهم من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أرباباً بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيداً ، فهم العبيد الأرباب (ولا يلدوا) أى ماينتجون ولا يظهرون (إلا فاجراً) أى مظهراً ما ستر (كفاراً) أى ستاراً ما ظهر بعد ظهوره ، فيظهرون ماسُتر ، ثم يسترونه بعد ظهوره ، فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر فى فجوره ، ولا الكافر

= فلا تعجب : إذ رأيت الصوفى يعبد درويشة ، أو عاهرة ، فإنهما اسمان لإلههما تعينا فى صورتى درويشة وعاهرة !! هذا ما يريده ابن عربى ، الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر من قوله : والإله يتنوع بالأسماء .

(١) هذا حديث منقطع ، لأنه من رواية الحسن عن أبى هريرة ، والحسن لم ير أبا هريرة وبالتالى لم يسمع منه . وقد رواه الترمذى ، وقال عنه : إنه غريب . وأوقن أن هذا الحديث قد دسه إما صوفى ، وإما جهمى تأييدا لأسطورة الحلول ، أو أسطورة أن الله فى كل مكان بذاته . فهو مصادم للقواطع من كتاب الله ، فمن قول الله سبحانه (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) فكيف يتوعدهم بخسف الأرض وهو فيها ؟؟

(٢) عقب ماظنه حديثاً بالآية ، استشهاداً بها على صدق أسطورة الوحدة . والآية ما فيها إلا حق يهدم كفر الباطل . إذ تفيد أن السماء والأرض ملك لله وحده ، يفيد الأول اللام ، والثانى تقدم الجار والمجرور . يفهم هذا من له أدنى إلمام بالعربية ، ولكن ابن عربى يلبس حتى فى البدهيات .

(٣) يعنى : الذين دعا عليهم نوح عليه السلام .

فى كفره ، والشخص واحد (رب اغفرلى[١]) استرنى ، واستر من أجلى ، فيجهل مقامى وقدرى ، كما جهل قدرك فى قولك (٣٩ : ٦٧ وما قدروا الله حق قدره » « ولوالدى » من كنت نتيجة عنهما ، وهما العقل والطبيعة « ولمن دخل بيتى » أى قلبى « مؤمناً » أى مصدقاً لما يكون فيه من الإخبارات الإلهية ، وهو ماحدثت به أنفسها[٢] « وللمؤمنين » من العقول « للمؤمنات » من النفوس[٣] «ولا تزد الظالمين» من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية « إلا تبارا » أى هلاكا ، فلا يعرفون نفوسهم ، لشهودهم وجه الحق دونهم فى المحمديين (٢٨ : ٨٨ كل شىء هالك إلا وجهه) والتبار الهلاك[٤] »

الحق عين الخلق عند الصوفية

ثم قال فى فص حكمة قدوسية فى كلمة إدريسية : « ومن أسمائه الحسنى : العلى . على[٥] من ؟ وما ثم إلا هو !! فهو العلى لذاته ، أو عن ماذا ؟ وما هو

---

(١) سيبدأ فى تفسير قوله تعالى : (٧١:٢٨ – رب اغفر لى ، ولوالدى ، ولمن دخل بيتى مؤمنا ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تبارا) وسترى فى تفسيره كيف يضع للفظ الكفر معنى الإيمان الحق ، وللفظ الباطل معنى الحق .

(٢) فى الأصل : أنفسهم ، وصوبتها من الفصوص

(٣) فسر الإضلال بأنه الإخراج من الباطل والشر إلى الحق والخير ، أى من الظن بأنهم عبيد ، إلى اليقين بأنهم فى حقيقتهم أرباب ! ! وفسر الوالدين بالعقل والطبيعة ، والبيت بالقلب ، والمؤمنين والمؤمنات بالعقول والنفوس ، والهلاك بشهود الحق فى الخلق . وهكذا يعبث الصوفية عبث الجرأة الكافرة باللغة التى نزل بها القرآن ، فيضعون للشىء معنى نقيضه ، ويزعمون بهذا أنهم أهل الباطل ، أى الباطن ! !

(٤) ص ٧٢ – ٧٤ فصوص

(٥) فى الأصل : علا عن من . وهى – كما أثبت – فى الفصوص

إلا هو !! فعلوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها ، وليست إلا هو [١] . فهو العلى ، لاعلو إضافة ، لأن الأعيان التى لها العدم الثابتة فيه ، ماشمت رائحة من الوجود ، فهى على حالها مع تعداد الصور فى الموجودات والعين واحدة من المجموع فى المجموع ، فوجود الكثرة فى الأسماء ، وهى النسب ، وهى أمور عدمية ، وليس إلا العين الذى هو الذات ، فهو العلى لنفسه ، لا بالإضافة ، فما فى العالم من هذه الحيثية علو إضافة ، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة، فعلو الإضافة موجود فى العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة ، لذلك نقول فيه : هو ، لاهو . أنت ، لاأنت [٢] . قال الخراز [٣] —

(١) هذا صريح جدا فى الدلالة على أن ابن عربى يؤمن بوحدة الوجود المادية والروحية . وقد عبر عن إيمانه هذا بقوله : « فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها » ثم زاد الكفر غلوا وتوكيدا ، فقال : « وليست إلا هو » هكذا بأقوى وأوكد أسلوب من أساليب القصر . ولعل فى هذا ما يكشف لك عن علة مقت الصوفية لكلمة التقوى والتوحيد « لا إله إلا الله » وقولهم بدلا عنها : « ليس إلا الله » أو « لا هو إلاهو » وبهذا دان الغزالى ، وقرره فى مشكاة الأنوار ، أو « هو الله » أو «هو هو» مما يهولون به على المخابيل ، ويهدفون به إلى تأييد مذهبهم فى الوحدة : شهودية ، أو وجودية

(٢) هو ، وأنت : إيجاب ، ولا هو ، ولا أنت : سلب ، فهما إذن نقيضان ، لا يجتمعان ، ولا يرتفعان . وإذا حكمت بثبوت أحدهما أو نفيه استلزم هذا لزوما قطعيا الحكم بنفى الآخر أو ثبوته . بيد أن الصوفية لا يحفلون فى سبيل إثبات وجود العدم بقانون من قوانين اللغة أو الفكر ، بل لديهم الجرأة البالغة على تكذيب ما يشهد به الحس ، وما يقطع بيداهته العقل ، والبين الجلى من كتاب الله .

ومعنى قول ابن عربى : إنك تستطيع أن تقول عن كل شىء إنه هو الله باعتبار هويته وماهيته ، وتقول ليس هو الله بالنظر إلى اسمه الخاص به ، وإلى أنه أحد تعينات الذات لا كل تعيناتها ، وكذلك افهم قوله : أنت لا أنت .

(٣) هو أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز من صوفية بغداد توفى سنة ٢٧٧ هـ . وسيذكر ابن عربى صريحا أن الخراز هو الله سبحانه ! !

وهو وجه من وجوه الحق ، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه : بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد فى الحكم عليه بها ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن فى حال ظهوره ، وما ثم من يراه غيره [1] ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من [أسماء] المحدثات [2] » .

قلت : وقال ابن الفارض :

أممت إمامى فى الحقيقة ، فالورى	ورائى وكانت حيث وجهت وجهتى
يراها أمامى فى صلاتى ناظرى	ويشهد فى قلبى إمام أئمتى
ولا غَرْوَ أن صلى الأنام إلىَّ ، أن	ثوت بفؤادى وهى قبلة قبلتى
لهـا صلوات بالمقام أقيمهـا	وأشهد فيها أنهـا لىَ صلّت
كلانا مصل ساجد إلى	حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ، ولم تكن	صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة
إلى كم أواخى [3] الستر ، ها قد هتكته	وحل أواخى [4] الحجب فى عقد بيعتى
أفاد اتخاذى [5] حبها لاتحادنا	نوادر عن عادِ المحبين شذت

---

(١) إذ كل شىء عنده هو الله ، فإذا رأى الصوفى إنسانا قال : الله رأى الله ، وإذا عبد المشرك صنما قال الصوفى : الله عبد الله ، وهكذا استطرد فى كل اثنين . حتى العاهر مع العاهرة ! ! وتعالى الله عما يأفك الزنادقة

(٢) ص ٧٦ — ٧٧ فصوص . وهذا صريح جدا فى أن ابن عربى يؤمن بأن الله سبحانه عين كل شىء : مادى ، أو روحى ! !

(٣) من المواخاة بمعنى الملازمة

(٤) جمع آخية ، وهى ما يبرز — كالحلقة — من الحبل المدفون طرفاه فى الأرض وتشد إليها الدابة ، ويراد بها الحرمة والذمة

(٥) فى الأصل : اتحادى ، والتصويب من الديوان

وفى الصحو بعد المحو (١) لم أك غيرها وذاتى بذاتى إذ تحلت تجلت (٢)

[فوصفى إذ لم تدع باثنين وصفها وهيئتها ـ إذ واحد نحن ـ هيئتى (٣)]

فإن دعيت كنت المجيب، وإن أكن منادى أجابت من دعانى ولبت

وإن نطقت كنت المناجى (٤)، كذاك (٥) إن قصصت حديثاً، إنما هى قصت

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفى رفعها عن فرقة الفرق رفعتى

فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما وصفت سكوناً عن وجود سكينة

---

(١) الصحو عند الصوفية : هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه . والمحو : إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان ، ولا موجود عندهم إلا الحق سبحانه وحده ، فهو العابد باعتبار تعينه وتقيده بصور العبد التى هى شأن من شئونه الذاتية ، وهو المعبود باعتبار إطلاقه . انظر التعريفات للجرجانى ، وجامع الأصول فى الأولياء للكمشخانلى تحت مادتى الصحو والمحو . . وابن الفارض هنا يغلو فى إثبات الوحدة ، فيزعم أنه هو الله ، لا فى حال المحو فحسب ، بل فى حال الصحو أيضا . وهذا يؤكد لك أنه يعنى ما يقول ، ويؤمن بالوحدة صحوا ومحوا ، فما هى شطحات ، ولكنها عقيدة ينبت عليها قلبه ودينه ، وما هو بهذيان سكران كما يهرف الصوفية ، ليقولوا : وكلام السكران معفو عنه ، فيطوى ، ولا يروى ! !

(٢) يشرح القاشانى هذا البيت بقوله : « أى ارتفع غيريتى فى حال الصحو بعد المحو ، وحينئذ زينت ذاتى بذاتى إذ تجلت ، ولا ينتج تجليها السكر ، لأنها لا تصادف غيرها « يعنى أنها صارت هى الله » وهذا هو نهاية الاتحاد » انظر شرح القاشانى ـ وهو من عباد ابن الفارض ـ للتائية

(٣) هذا البيت ليس فى الأصل ، وقد أثبته عن ديوان ابن الفارض ، وسيأتى شرحه .

(٤) فى الأصل : المجيب . والتصويب من الديوان

(٥) فى الأصل : كذلك

فمن بعد ماجاهدت ، شاهدت مشهدى [(١)]

وهادىّ [(٢)] لى إياى ، بل بى قدوتى

فبى موقفى ، لا ، بل إلىّ توجهى كذاك صلاتى لى ، ومنى كعبتى

الوحدة المطلقة دين ابن عربى

قال الإمام زين الدين العراقى فى جواب السؤال المذكور : « وأما قوله [(٣)] فهو عين ماظهر ، وعين مابطن ، فهو كلام مسموم ، ظاهره : القول بالوحدة المطلقة ، وأن جميع مخلوقاته هى عينه ، ويدل على إرادته لذلك صريحاً قوله بعد ذلك : « وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات » وكذا قوله بعد ذلك : « والمتكلم واحد ، وهو عين السامع » وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء » .

« لايُعْتَذَر عن الصوفية بالتأويل »

ثم قال : « ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول : أردت بكلامى هذا خلاف ظاهره ، ولا نؤول له كلامه ، ولا كرامة .

ولقد أحسن بعض من عاصرناه من العلماء العارفين ، وهو الشيخ الإمام العلامة علاء الدين على بن إسماعيل القونوى حيث سئل عن شىء من هذا . فقال : « إنما نؤول كلام من ثبتت عصمته حتى نجمع بين كلاميه [(٤)] ، لعدم

---

(١) فى الأصل : مشهدتى

(٢) فى الأصل : وهادى

(٣) يعنى : ابن عربى

(٤) هذا على دين من يقول بوجوب التأويل لآى القرآن ، أو الأحاديث التى يرون — وهو — أى ضلالة — أن فى حملهـا على ظاهرها إثباتا لوجود التعارض بين العقل والنقل . وما أتى هؤلاء إلا من إيمانهم بأسطورة الفلسفة الملحدة ، وهى أن العقل حاكم على النقل ، وأنه القاعدة ، والمقياس ، فإذا رأى العقل فى كلام الله =

جواز الخطأ عليه ، وأما من لم تثبت عصمته ، فجائز عليه الخطأ والمعصية والكفر، فنؤاخذه بظاهر كلامه ، ولا يقبل منه ما أول كلامه عليه مما لا يحتمله ،أو مما يخالف الظاهر ، وهذا هو الحق » انتهى .

خطر صرف الكلام عن ظاهره

وكذا قال فى عدم التأويل لغير المعصوم الإمام نور الدين على بن يعقوب البكرى الشافعى ، وقد حقق هذه المسألة حجة الإسلام [(١)] أبو حامد الغزالى فى أول الإحياء فى كتاب العلم بما حاصله : أن الكلام إن كان ظاهرا فى الكفر بالاتحاد ، فقتل واحد ممن يقول به أفضل من إحياء عشرة أنفس ، وإن كان فهمه مشكلا ، فلا يحل ذكره . وقال : إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع ، و بغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل [(٢)] اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ . ثم قال : والباطن لاضبط

= مالا يوافق مقاييسه وقيمه ، وجب تأويله حتى لا يتعارض معه !! يجعلون المخلوق حاكما على الخالق ، والعبد محددا للقيم التى يجب أن يؤمن بها الرب ، ويوجبون على الله ألا يتكلم سبحانه إلا بما يتواءم وهوى عبيده ! ! هكذا يفعل المؤولة ، اقتداء بآلهتهم الفلاسفة ، فما صاروا فلاسفة ، وما قدروا على أن يعودوا مسلمين ! ! والقونوى هو أبو الحسن نور الدين المصرى الشافعى ، ولد سنة ٦٧٣ ، وتوفى سنة ٧٢٤ هـ وهو من خصوم ابن تيمية ، حتى لقد وثب مرة عليه ، ونال منه

(١) إنما حجة الإسلام كتاب الله وسنة رسوله ، وكيف يعتبر حجة للاسلام رجل يشهد على نفسه أنه ردىء البضاعة فى الحديث ، وأنه لم يجد الحق إلا فى التصرف؟!

(٢) لو تركنا للعقل الحرية فى صرف اللفظ عن ظاهره ، أى عن معناه الذى هو له لصارت الحقائق كلها نسبية أو اعتبارية ، بل لما بقى حق واحد يؤمن به الفكر العام ، ولعدنا إلى السفسطائية . إذ سيصبح جائزا لكل إنسان ادعاء أن هذا اللفظ ، أو ذاك يجب صرفه عن ظاهره ، لأن عقله يحكم بذلك ، ولا يمكن لامرىء ما معارضته ، ما دمنا قد وضعنا له من قبل قاعدة وجوب صرف اللفظ =

له ، بل تتعارض فيه الخواطر[١] ، ثم قال : وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة .

وسيأتى تأييد ذلك عن الشيخ زين الدين العراقى وولده الحافظ أبى زرعة [١٦] وحكاية ابن خليل السكونى الإجماع على ذلك .

صلة الخلق بالحق عند الصوفية

ثم قال ابن عربى فى الفص الإدريسى أيضا : « وما ظهر حكم العدد إلا بالمعدود : منه عدم ، ومنه وجود ، فقد يعدم الشىء من حيث الحس ، وهو موجود من حيث العقل ، فلا بد من عدد ، ومن معدود ، ولا بد من واحد ينشىء ذلك ، فينشأ بسببه ، فإن كل مرتبة[٢] من العدد حقيقة واحدة كالتسعة مثلا ، والعشرة [إلى أدنى ، وإلى أكثر ، إلى غير نهاية] ماهى مجموع ، ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد[٣] »

ثم قال : « ومن عرف ماقررناه فى الأعداد ، وأن نفيها عين إثباتها[٤]

= عن ظاهره إذا تعارض مع العقل !! والفلاسفة أنفسهم لم يجمعوا على حقيقة واحدة ، بل آمن كل بإله ليس هو إله الآخر فى ماهيته وصفا ، بل كان الفيلسوف يؤمن أو يكفر بما كفر أو آمن به من قبل ، ونظرة واحدة إلى نتاج الفكر الفلسفى تبين لك عما فيه من تناقض حاد ، وتضاد متوتر ، فأى عقل من هذه العقول نجعله قيما على الحق ، وحكما بين الخطأ والصواب ؟ !

(١) هـذا حق لا مرية فيه ، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حـين يخاطب عوام الناس فى زعمه ، أما فى كتبه المضنون به على غير أهلها فهو باطنى بجرد اللفظ من معناه فى جرأة بالغة ، وحسبك أن من أساتذة الغزالى إخوان الصفا ، وأن فى كتبه المضنون بها آثارا ظاهرة من باطنيتهم الخبيثة ، وعجيب أن يحمل الغزالى على الباطنيين ، وهم أساتذته ، وهو من رواد مشارعهم ؟ !

(٢) فى الأصل : وإن كان كل . وهو موافق لبعض نسخ الفصوص

(٣) ص ٧٧ جـ ١ فصوص

(٤) فى الأصل : ثبوتها ، والتصويب من الفصوص

علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه[1] وإن كان قد تميز الخلق من الخالق ، فالأمر الخالق المخلوق ، والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة [لا] ، بل هو

---

(١) يمثل الزنديق علاقه الحق بالخلق ، بعلاقة الواحد الحسابى بالأعداد ، فيزعم أن جميع الأعـداد صور للواحد ، وكذلك الوجودات المتعددة ما هى إلا صور للوجود الواحد ، هو الوجود المطلق . فالتسعة مثلا هى الواحد مكررا ، فلك القول بأن الواحد عين التسعة ، ولك القول بأنه غيرها ، بيد أنها غيرية مجازية ، أو إسمية فقط . وكذلك الحق سبحانه ــ هكذا يأفك الزنديق ــ والخلق ، فهذا عين الحق باعتبار الهوية والماهية ، وهو غيره باعتبار خصوصيته ، أى كونه مظاهراً للذات الواحدة ، ولـكنها غيرية ذهنية لا تحقق لها فى الخارج . ألا تراه يزعم : « إن الحق المنزه عين الخلق المشبه » ؟ ! ، وما أظن الـكفر تجرأ على الله من أحد بمثل هذه الجرأة من ابن عربى ، وما أظنه صرح عن خبيئته بما هو أبين من هذه الصراحة . والرد على تلبيس ابن عربى هين . فالأعداد فى ذاتها حقائق معقولة ، لا توجد فى الذهن ، ولا توصف بالوجود الخارجى إلا بالنسبة للمعدودات ، ثم إن معدود الأربعة مثلا ليس بلازم أن يكون عين معدود الخمسة ، بل ولا عين معدود أربعة أخرى ، فقد يكون معدود الخمسة أقلاما ، فيكون الواحد فيها قلما . وقد يكون معدود الأربعة كتبا ، فيكون الواحد منها كتابا . فيكون الواحد فى الأربعة غير الواحد فى الخمسة ، بل غيره فى أربعة أخرى ، وهكذا فى كل معدود . وهى غيرية حقيقية فى الذاتيات والعرضيات . ولـكن ابن عربى يوقن بأن الحق المتلبس بصورة الصنم عين الحق المتلبس بصورة الخنزير ، يؤمن بأن الحق المعبود فى عجل السامرى عين الحق المعبود فى البار ، وهبل . أما الأعداد فقد رأيت أن الواحد فى الأربعة يغاير الواحد فى الخمسة مثلا ، أو فى أى عدد آخر مغايرة حقيقية ، نعم معنى الواحد فى عدد ما عين معناه فى عدد آخر ، لـكنها عينية ذهنية ، أو تجريدية فحسب . أما ابن عربى فيؤمن بتحقق العينية فى الوجود الخارجى ، إذ يدين بأن مافى الخارج عين مافى الذهن . وهذا واضح البطلان ، فالمستحيل يوجد فى الذهن ، ولـكنه لا يوجد فى الخارج ، وكذلك المطلق والـكلى بشرط الإطلاق والـكلية يوجدان فى الذهن ، ولا يوجدان ألبتة فى الخارج

العين الواحدة ، والعيون الكثيرة[(١)] »

الطبيعة هى الله عند الصوفية

ثم قال : « وخلق منها زوجها [فما نكح سوى نفسه ، فمنه الصاحبة والولد ، والأمر الواحد فى العدد[(٢)]] ، فمن الطبيعة ؟ ومن الظاهر منها ؟ ومارأيناها نقصت بما ظهر منها ، ولا زادت بعدم ماظهر ! ! وما الذى ظهر غيرها ؟ وماهى عين ماظهر ، لاختلاف الصور بالحكم عليها . فهذا بارد يابس ، وهذا حار يابس ، فجمع باليبس ، وأبان بغير ذلك ، والجامع الطبيعة [لا] ، بل العين الطبيعة ، فعالم الطبيعة صور فى مرآة واحدة ، لا . بل صورة واحدة فى [مرايا] مختلفة[(٣)] ، فما ثم إلا حيرة ، لتفرق النظر ، ومن عرف ماقلناه لم يحره ، وإن كان فى مزيد علم ، فليس إلا من حكم المحل ، والمحل عين العين الثابتة ، فيها يتنوع الحق فى

---

(١) ص ٧٨ جـ ١ فصوص

(٢) كل مابين هذين [ ] ساقط من الأصل ، وأثبته عن النصوص . وأظنك قد لاحظت عرام الغريزة الدنيئة كيف وضع لابن عربى دينه فى قوله : « فما نكح سوى نفسه » ! ! ولاحظت التثليث الذى يصوره ابن عربى بصورة أدنأ من تثليث المسيحية المفلسفة . إذ يزعم أن الذات الإلهية ثلاثة أقانيم . أقنوم هو الزوج ، وثان هو الزوجة ، والأخير هو الولد » هذه الأقانيم الثلاثة هى الإله الواحد عند ابن عربى ! ! أفيستطيع الصوفية افتراء أنهم مسلمون ؟ !

(٣) يزعم ابن عربى أن مظاهر الطبيعة هى عين الذات الإلهية ، والمظاهر الطبيعية مختلفة الأحكام ، فمنها ما نحكم عليه بأنه حيوان أو جماد : رطب أو يابس ، حار أو بارد . لذا وجب أن يحكم على الذات الإلهية بكل ما يحكم به على مظاهرها وهى العالم الطبيعى . فيقال عن الذات الإلهية : إنها حيوان جماد رطب يابس حار بارد ، وغير هذا . ويزعم ابن عربى أن الله نفسه هو الذى يحكم على نفسه بهذه الأحكام ، أى يحكم على نفسه سبحانه بكل ما يحكم به على كل مظاهر الطبيعة ! ! وحسب الصوفية إيغالا فى الزندقة إيمانهم برب هو جماد بارد ! !

المجلى ، فتتنوع الأحكام عليه ، فيقبل كل حكم ، وما يحكم عليه إلا عين ماتجلى فيه ، وماثم [١] إلا هذا ـ شعر :

فالحق خلق بهذا الوجه ، فاعتبروا ۔۔۔ وليس خلقا بذاك الوجه فاذكروا
من يدر ما قال ، لم تخذل بصيرته ۔۔۔ وليس يدريه إلا من له بصر
جمع [٢] ، وفرق ، فإن العين واحدة ۔۔۔ وهى الكثيرة ، لاتبقي ولاتذر [٣]

دين ابن الفارض

قلت : وهذا مراد ابن الفارض بقوله :

وجل فى فنون الاتحاد ، ولاتحد [٤] ۔۔۔ إلى فئة فى غيره العمر أفنت
فواحده الجم الغفير ومن عـدا ۔۔۔ ه شرذمة فى غيره العمر أفنت
فمت بمعناه ، وعش فيه ، أو فمت ۔۔۔ معناه ، واتبع أمة فيه أمت
فأنت بهذا المجد أجدر من أخى اجـ ۔۔۔ تهاد مجد عن رجاء وخيفة
فألغ الكنى عنى [٥] ، ولاتلغ ألكنا ۔۔۔ بها ، فهى من آثار صيغة صنعتى

---

(١) فى الأصل : ما

(٢) فى الأصل : وجمع

(٣) ص ٧٨ – ٧٩ ج ١ فصوص

(٤) فى الأصل : تجد

(٥) لما كانت الكنى اصطلاحات وضعها الإنسان الذى هو من صنع الإله الذى تجسد فى هيكل ابن الفارض فإن هذا الإله الفارض يأمر خلقه بإلغاء الكنى عنه ، إذ لا يصح للمصنوع تعريف صانعه بكنية ما . وهدف ابن الفارض من هـذا أن يؤمن الناس بما آمن به هو من الكفر الفاجر ، وهو اعتقاد الوحدة التامة بين الحق والخلق ، وأن يدينوا بأن ابن الفارض هو المجلى الأعظم ، والمظهر الكامل للذات الإلهية ، فليضيفوا إليه صفات الربوبية والإلهية ! ! ! ولما كان ابن الفارض يعلم أن كفره هذا ينابذ الشرع . فإنه ألح فى البيت الذى قبل هذا فى تحذير أتباعه من الإصغاء إلى الشرع ، أو من الميل إلى الأئمة المجدين المجتهدين الذى يعبدون الله =

وأى بلاد الله حلت بها ، فما أراها ، وفى عينى حلت غير مكة

وأى مكان ضمها حرم ، كذا أرى كل دار أوطنت[1] دار هجرة

وما سكنته ، فهو بيت مقدس بقرة عينى ، فيه أحشاى قرت

ومسجدى الأقصى مساحب بردها وطيبى ثرى أرض عليها تمشت

وشكرى لى ، والبر منى واصل إلىّ ، ونفسى باتحادى استبدت

وثم أمور تم لى كشف سترها بصحو مفيق عن سواى تغطت

بها لم يبح من لم يبح دمه ، وفى الإشارة معنى ما العبارة حدت

وقلبى بيت فيه أسكن . دونه ظهور صفاتى عنه من حجبيتى

ومنها يمينى فىَّ ركن مقبلٌ ومن قبلتى للحكم فى فىَّ قبلتى

وحولى بالمعنى طوافى حقيقة

[١٧] وسعيى لوجهى من صفائى لمروتى[2]

وفى حرم من باطنى أمن ظاهرى ومن حوله يخشى تخطف جيرتى[3]

= وحده ، وتمتلىء قلوبهم خوفا من الله وحده ، ورجاء فيه وحده .. وهكذا كل شيطان صوفى يحذر أتباعه من الشرع وأتباعه ، ويأمرهم أن يكونوا بين يديه هو كجثة الميت بين يدى الغاسل ، ويظل يقتل فيهم الشعور ، ويميت منهم الكرامة ، ويستعبد منهم الفكر ، ويبيد فيهم كل إحساس بالذاتية ، حتى يصبحوا لهواه عبيدا صاغرين ، فينتهك حرمات الله ظانين أنه ثم مع الله ، ويلعق دم الجريمة ، وهم يحسبون أنه بذلك يقضى دين حب الله ، ويترع حميم الخمر ، ويقسمون أنها شراب من يد الله ! !

(١) فى الأصل : وطنت

(٢) يقصد : الصفا والمروة . يريد أن يقول : إنه إذا طاف فإنما يطوف حول نفسه ، وإذا سعى بين الصفا والمروة ، فإنما يسعى لوجهه . ذلك لإيمانه بأن العابد والمعبود عين واحدة . ولقد أقسم لى صوفى : أنه ليس ممن يطوفون حول الكعبة ، بل هو ممن تطوف حولهم الكعبة ! !

(٣) يريد أن يقول : إنه هو الحرم . ويشير إلى قوله تعالى (٢٩ : ٦٧ أو لم =

وشفع وجودى فى شهودى ظل فى اتحادى وترا فى تيقظ غفوتى [١]

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهرى ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتى

وقد جاءنى منى رسول . عليه ما عنتُّ ، عزيز بى ، حريص لرأفة [٢]

ومن عهد عهدى قبل عصر عناصرى إلى دار بعث قبل إنذار بعثة

إلىَّ رسولا كنت منى مرسلا [٣] وذاتى بآياتى علىَّ استدلت

يروا أنا جعلنا حرما آمنا ، ويتخطف الناس من حوله ، أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله يكفرون) يالزنديق يزعم أن باطنه الخبيث هو هذا القدس الطهور

(١) الشفع عند الصوفية وجود الرب شفع بوجود العبد ، والوتر عندهم وجود الرب فردا باقيا بعد فناء وجود العبد . ولما يستلزمه الشفع من الإثنينية راح ابن الفارض ينفيه هنا نفيا باتا ، ثم يؤكد أنه تجلى له عن شهود جلى ، ويقظة شاعرة تمام الشعور أن الوجود ـ وجود الرب ، ووجود العبد ـ واحد فى أزليته وأبديته وأنه ما ثم إلا عين واحدة سميت باعتبار الباطن حقا ، أو ربا ، وباعتبار الظاهر خلقا أو عبدا . تلك هى الذات الإلهية ، ويؤكد الزنديق كذلك أن ما كان يضيفه من سمات الوجود وصفاته لنفسه ، ويحسبه غير الوجود الإلهى ، كان وهما من الأوهام استبد بخياله الغافل المغرور . هذا لأنه أدرك تمام الإدراك أنه ماثم غير ، ولا سوى ، بل وحدة مطلقة تشمل كل مظاهر الوجود . هذا وغيره يجعلنا نوقن أن ابن الفارض ممن يؤمنون بالوحدة ، لا بالاتحاد . لأن الاتحاد افتعال يستلزم ثبوت وجودين اتحد أحدهما بالآخر . فى حين أنه هنا وفى مواضع كثيرة يقرر وحدة الوجود فى أزل وأبد وسرمد وآن ، وأنه ما كان فى حال ما ولا آن ما ثنائيا أبدا ، بل كان دائما هو الوجود الواحد

(٢) فى الأصل : برأفة

(٣) قال القاشانى فى شرحه : « فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون مرسلا ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلا إليها » وهكذا يشد كل صوفى وتر الثالوث ، فابن الفارض يزعم هنا أنه منذ القدم كان الله ، ثم تلبس بصورة النفس ، فأرسل بصفته وجودا متجردا ، رسولا إلى نفسه بصفته وجودا مقيدا بالتعين ، فهو المرسل ، والرسول ، والمرسل إليه ! ! كان كذلك حتى وهو فى غيابة الأزل

العبد عين الرب عند الصوفية

ثم قال فى فص حكمة علية فى كلمة إسماعيلية : « والعبد[١] من كان عند ربه مرضيا ، وما ثم إلا من هو مرضى عند ربه ، لأنه الذى يبقى عليه ربوبيته ، فهو عنده مرضى ، فهو سعيد » ثم قال ـ شعر :

فأنت عبد ، وأنت رَبٌّ   لمن له فيه أنت عبد

وأنت رب ، وأنت عبد   لمن له فى الخطاب عهد

فكل عقد عليه شخص   يحله من سواه عقد[٢]

فرضى الله عن عبيده ، فهم مرضيون ، ورضوا عنه ، فهو مرضى ، فتقابلت الحضرتان[٣] تقابل الأمثال ، والأمثال أضداد ، لأن المثلين حقيقة لايجتمعان ، إذ لايتميزان ، وما ثم إلا متميز ، فما ثم مثل[٤] ، فما فى الوجود مثل ، فما فى الوجود ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشىء لايضاد نفسه .

---

(١) فى الأصل : والسعيد

(٢) البيتان الأخيران ساقطان من الأصل ، وأثبتهما عن الفصوص . يقرر ابن عربى : أن الإنسان رب من حيث هويته التى هى عين هوية الحق ، وهو عبد باعتبار ما أطلقه عليه الشرع . ويعنى بالعهد : المفهوم من قوله سبحانه : (ألست بربكم ؟) مبتغيا من وراء ذلك إثبات أن ما سمى فى عرف الشرع عبدا ما هو فى الحقيقة إلا رب حق يدين بربوبيته العارفون ، ويشهد بحقها السالكون على بصيرة

(٣) هما حضرة الربوبية ، وحضرة العبودية ، ويقرر ابن عربى : أن من يغاير بينهما محجوب أعمى البصيرة ، جاهل بحقيقة الله سبحانه

(٤) فى الأصل : إلا مثل . وابن عربى ينفى المثلية لأنه يدين بأن الوجود حقيقة واحدة ، أما المثلية ، فتستلزم الإثنينية والغيرية بوجه ما . وما ثم عنده إلا حقيقة واحدة ، أو وجود واحد لا كثرة فيه ، ولا تعدد ، ولا تباين ، فالشىء الواحد لا يقال أنه يغاير نفسه ، أو يضادها ، أو يماثلها . هذا ما يريده بنفى المثلية ، وقد بناه على ما يدين به من وحدة الوجود . ويغلو ابن عربى فى جرأة الزندقة ، فيزعم أن معتقده هذا دل عليه برهان العيان ، أى شهود الحق متعددا فى مظاهر خلقية

فلم يبق إلا الحق ، لم يبق كائن فما ثَمَّ موصول ، وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان ، فما أرى بعيني إلا عينه إذ أعاين (١)

النار عين الجنة عند الصوفية

ثم قال . « الثناء بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد [والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات ، فيثني عليها بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد ، بل بالتجاوز] (١٤ : ٤٧ فلا تحسَبَنَّ الله مُخْلِفَ وعدِه رسلَه) لم يقل : ووعيده (٢) ، بل قال : (ونتجاوز عن سيئاتهم (٣)) مع أنه توعَّد على ذلك ، فأثنى على إسماعيل عليه الصلاة والسلام بأنه كان صادق الوعد .

فلم يَبْقَ إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحقِّ غيرُهُ تعايُنُ
وإن دخلوا دار الشقاء ، فإنهم على لذة فيها نعيمٌ مبايِنُ
نعيم جنان الخلد (٤) فالأمر واحد وبينهما (٥) عند التَّجَلِّي تَبَايُنُ
يُسَمَّى عذاباً من عذوبة لفظه وذاك كالقشر ، والقشر صائنُ (٦)

---

(١) ص ٩٢ – ٩٣ فصوص

(٢) فى الأصل : وعيده بدون واو العطف

(٣) يعنى قوله تعالى : (٤٦ : ١٦ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) ويحملها على الكفرة والمشركين ، ليخلص من ذلك إلى إثبات ما يقرره وهو أن لا عذاب يوم القيامة ، لأن الله وعد فى هذه الآية بالتجاوز عن السيئات . فتأمل ! !

(٤) الجنة عند الصوفية : هى عرفان المرء بنفسه ، ليدرك بهذه المعرفة أنه هو الله وهذا ما يفسرون به الحديث الموضوع : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » والجحيم عندهم : هو ما يغيم على النفس من أوهام الكثرة ، فتخدعها عن الحقيقة ، فتظن المغايرة بين الخلق والحق . وهذا الظن هو الجحيم ! !

(٥) فى الأصل : وما بينهما

(٦) ص ٩٣ – ٩٤ فصوص

« مثل من تفسير ابن عربى للقرآن »

ثم قال فى نص حكمة نورية فى كلمة يوسفية ـ بعد أن قرر أن الشىء قديرى على خلاف ماهو عليه لبعدٍ ، أو ظلام ونحوه ـ : « فما يعلم من العالم إلا قدر مايعلم من الظلال ، و يجهل من الحق على قدر مايجهل من الشخص الذى كان عنه ذلك الظل ، فما حيث هو ظل له يُعْلَم ، ومن حيث ما يُجْهَل مافى ذات ذلك الظل من صورة شخص من امتد عنه يجهل من الحق ، فلذلك نقول : إن [الحق] معلوم لنا من وجه ، مجهول لنا من وجه (٢٥ : ٤٥ ألم تر إلى ربك كيف مد الظِلَّ ، ولو شاء لجعله ساكناً) أى يكون فيه بالقوة . يقول : ما كان الحق ليتجلى للممكنات التى ماظهر لها عين فى الوجود (٢٥ : ٤٥ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) وهو إسمه النور [الذى قلنا ، و يشهد له الحس ، فإن الظلال لايكون لها عين بعدم النور] (٢٥ : ٤٦ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) . و إنما قبضه إليه ، لأنه ظله ، فمنه ظهر ، و إليه يرجع الأمر كله ، فهو هو لا غيره[١] .

« وجود الحق عين وجود الخلق عند الصوفية »

فكل ماتدركه فهو وجود الحق فى أعيان الممكنات ، فمن حيث هوية الحق

---

(١) يشبه الله سبحانه والعالم بالشىء وظله ، غير أن هذا التشبيه ـ على ما فيه ـ لا يصحح للزنديق دينه ، بل يدفعه بالتلبيس والتضليل . فما من شك فى أن الشىء وظله شيئان متمايزان ، والزعم بأنهما حقيقة واحدة مكابرة وجحود بشهود الحس اليقينى . نعم يحتاج الظل فى وجوده إلى من أو ما هو ظل له . بيد أن هذا الاحتياج شىء ، والزعم بأنهما حقيقة واحدة شىء آخر مباين كل المباينة . وابن عربى يدين بأن العالم هو الله فى الهوية والماهية ، أما ظل الشىء فليس عين الشىء لا فى ذاتى ، ولا فى عرضى، قد يقال: إن الظل أثر من آثار الشىء ، غير أن الزنديق يؤمن بأن العالم ليس أثرا لله ، بل هو هو فى الحقيقة والوجود . فلا يثبت مثال ما لبس به بهذا المثال

هو[١] وجوده ، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو[٢] أعيان الممكنات ، فكما لايزول عنه باختلاف الصور إسم الظل ، كذلك لايزول عنه [١٨] باختلاف الصور اسم العالم ، أو اسم سوى الحق ، فمن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق ، لأنه الواحد الأحد ، ومن حيث كثرة الصور هو العالم ، فتفطن ، وتحقق ما أوضحته لك ، فإذا كان الأمر على ماذكرته لك ، فالعالم مُتَوَهَّم[٣] ماله وجود حقيقى ، وهذا معنى الخيال ، أى خيل إليك أنه أمر زائد قائم بنفسه ، خارج عن الحق ، وليس كذلك فى نفس الأمر . ألا تراه فى الحس متصلا بالشخص الذى امتد عنه يستحيل [عليه] الانفكاك عن ذلك الاتصال ، لأنه يستحيل على[٤] الشىء الانفكاك عن ذاته[٥] » . . . وهذا وما شاكله من قوله — كما تقدم فى الفص النوحى — مشير إلى تصحيح قول الكفار فى القرآن : إنه سحر لاحقيقة له ، إشارة تكاد أن تكون صريحة ، وإلى مثل هذا المحال لوح ابن الفارض ، والأمر فيه أوضح مما فى الفصوص :

وها دحية وافى الأمين نبينَّا بصورته فى بدء وحى النبوة

أجبريل قل لى كان دحية إذ بدا لمَهْدِى الهدى فى هيئةٍ[٦] بشرية ؟!

وفى علمه عن حاضريه مزية بماهِيَّةِ المَرْئِيِّ من غير مِرْيَةِ

يرى ملَكا يوحِي إليه ، وغيره يرى رجلا يرعى لديه بصحبة

---

(١) ، (٢) فى الأصل : فهو فى الموضعين

(٣) هذا يستلزم وجود وهم ومتوهم ، فإن قال : إن المتوهم عين الوهم والمتوهم لزمه كون إلهه وهما ومتوهما ، أى باطلا ينتج باطلا . فكيف يسمونه : حقا ؟ ! وإن قال : إنه غيرهما لزمه القول بالغيرية والتعدد ، وهو يدين بأن لا غير ، ولا سوى . وهكذا فى كل دليل له حجة تدفعه بالإفك ، وتدينه بالبهتان .

(٤) فى الأصل : عن

(٥) ص ١٠٢ فصوص

(٦) فى الأصل : فى صورة

ولى من أتم الرؤيتين إشارة   تُنزِّه عن دعوى الحلول[1] عقيدتى
وفى الذكر ذكر اللَّبْسِ ليس بمنكر   ولم أعْدُ عن حُكْمَىْ كتاب وسنة

يعنى قوله تعالى : (٩:٦ ولو جعلناه ملكا ، لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون) هذا ما كان ظهر لى ، ثم تبين أن المراد أقبح من هذا بقول شراح التائية ، الفرغانى وغيره[2] ، وسيأتى نقله عنه آنفاً .

رد علاء الدين البخارى

قال الإمام علاء الدين البخارى « ماذكرتم فى نفى ثبوت الأشياء معارَضٌ بالمِثْل ؛ إذ لا خفاء أنه من أعيان الأكوان ، غير أنه من الأعراض ، فيكون ما ذكرتم أيضاً خيالا وسرابا ، لا حقيقة له ، فلا يمكن به إثبات مذهبكم الباطل وإذا لم يبق فى قوس المكابرة مَنزَع ، ولالما لزمهم من شنيع المحالات والضلالات مدفع ، التجأوا إلى دعوى الكشف على ماهو دأب قدماء الفلاسفة حين عجزوا عن إقامة البرهان ، وأنت خبير بأن الكشف إنما يظهر الحقائق ، لا أنه يهدم الشرائع ، و ينفى الحقائق[3] ، فإن ذلك زندقة ، وقد غلط هؤلاء كغلط

---

(١) لم يرض بكفر الحلاج دينا ،وهو الحلول ، لأنه يستلزم الإثنينية والمغايرة بوجه ما بين الحال ، وبين المحل . وابن الفارض يدين بالوحدة

(٢) قال القاشانى فى شرح ذلك البيت : « ظهور الحق فى بعض صور المخلوقات هو تلبسه بها ، كتلبس جبريل بصورة رجل » ! !

(٣) لا يستطيع البخارى هدم باطل الصوفية ما دام مؤمنا معهم بأسطورة الكشف ـ ولكن لا تنس أنه هو الآخر صوفى ـ فالصوفية لم يهولها بهذه الأسطورة إلا لينقضوا بتهاويل باطلها حقائق الدين والعقل ، ولإثبات ما يدينون به من زندقة ، بعد تشكيك الناس فى كل حقيقة عقلية أو نقلية . على أن الصوفية الذين دانوا بالكشف لم يدينوا بدين واحد ، ولم يروا فى الإلهية والربوبية ـ أيا واحدا ، ولم ينظروا إلى حقيقة الوجود نظرة واحدة . فالحلاج حلولى ، والسهروردى إشراقى ، وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين من زعماء وحدة الوجود على=

النصارى لما رأوا إشراق نور الله تعـالى ، وقد تلألأ فى عيسى عليه السلام [١] ، فقالوا : هو الإله ، وهؤلاء لما رأوا الوجود فائضاً من الحضرة الإلهية على الموجودات فلم يفرقوا بين الفيض [٢] والمفيض ، فقالوا : الوجود هو الله سبحانه وتعالى . اهـ.

رأى العضد والجرجانى

وقال الشريف الجرجانى [٣] فى شرح المواقف للعضد [٤] : « واعلم أن المخالف فى هذين الأصلين ـ يعنى عدم الاتحاد وعدم الحلول ـ طوائف ثلاث ، الأولى :

= اختلاف فى التصور والتصوير ، والقونوى والتلمسانى والجيلى. كل له مذهبه، وكل له وسيلته ، وكل له تصويره ، وكل يدعى أنه آمن بما آمن به عن كشف وشهود . فبأى كشف نأخذ ، وبأى شهود نصدق ؟ لا يمـكن أن نأخذ أو نصدق بالجميـع لأنها نفاية تناقض وتباين ، والحق واحد لايتعدد ، ولا يناقض نفسه ، ولا يمكن أن نأخذ ببعض دون بعض ، وإلا احتجنا إلى دليل نثبت به أن ما أخذنا به هو الحق وأن ما عداه باطل ، فبماذا نستدل ؟ أبكشف أم بغيره ؟ إن كان الأول لزم التسلسل وإن كان الثانى ثبت أن الـكشف محتاج إلى دليل آخر غير الـكشف يثبت به ، ثم إنا لو أخذنا ببعض دون بعض ، كان هذا معناه أن بعض أنواع الـكشف الصوفى باطل ، فى حين يدين الصوفية بأن كل كشف صوفى هو حق فى ذاته ، وبما ذكرت أو ببعضه يتجلى لك بطلان أسطورة الـكشف ، وتؤمن أن ملاذ الحق ومشرقه وقدسه كتاب الله سبحانه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) فى كلامه هذا رائحة الحلول المسيحى ، أو الإشراق السهروردى . ولـكن لعله يقصد بالنور الذى تلألأ هدى النبوة والإيمان

(٢) يقصد ما أفاضه الله من الوجود ، والواجب أن يعبر عن هـذا : بالخلق والخالق، إذ الفيض أسطورة ابتدعتها الفلسفة والصوفية، ابتغاء نفى خلق الله سبحانه للعالم ، ونفى القادر المريد ، وابتغاء إثبات قدم العالم ، وأن الأشياء ثابتة فى العدم

(٣) هو على بن محمد بن على . ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفى سنة ٨١٤

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالغفار عضو الدين الإيجى . ولد سنة ٧٠٩ تقريبا ، ومات سنة ٧٥٣هـ

النصارى » ثم ذكر مذاهبهم ، ثم قال : « الثانية : النصيرية[(١)] والإسحاقية[(٢)] من غلاة الشيعة ، قالوا : ظهور الروحانى بالجسمانى لا يُنْكَر ، ففى طرف الشرِّ ، كالشياطين ، فإنه [١٩] كثيراً ما يتصور الشيطان بصورة الإنسان ، ليعلمه الشر ويكلمه بلسانه ، وفى طرف الخير – كالملائكة – فإن جبريل عليه السلام كان يظهر بصورة دحية الكلبى [والأعرابى[(٣)]] ، فلا يمتنع [حينئذ[(٤)]] أن يظهر الله تعالى فى صورة بعض الكاملين [وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم ، وهو العترة الطاهرة ، وهو من يظهر فيه العلم التام ، والقدرة التامة من الأئمة من تلك العترة ، ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم ، وهذه ضلالة بينة[(٥)] الطائفة] الثالثة [بعض] المتصوفة ، وكل منهم مختبط[(٦)] بين الحلول والاتحاد» ثم قال العضد[(٧)] : « ورأيت من الصوفية الوجودية من ينكره ، ويقول : لا حلول ، ولا اتحاد ، إذ ذاك يشعر بالغيرية ، ونحن لا نقول بها ، بل نقول : ليس فى ذات الوجود غيره[(٨)] ، وهذا العذر أشد قبحاً وبطلانا من ذلك الجرم ؛ إذ يلزم ذلك المخالطة التى لا يجترىء على القول بها عاقل ، ولا مميز أدنى تمييز[(٩)] » .

---

(١) محدثها محمد بن نصير النميرى ، وتزعم هذه الفرقة أن الله سبحانه ظهر بصورة على وأولاده المخصوصين

(٢) أحدثها إسحاق بن زيد بن الحراث . من القائلين بالإباحة وإسقاط التكاليف ، وأن لعلى شركة مع الرسول . ثم تطورت فقالت بالحلول كالنصيرية

(٣) ، (٤) ، (٥) كل ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل ، وأثبته عن المصدر الذى نقل عنه المؤلف ، وهو شرح المواقف

(٦) فى شرح المواقف : وكلامهم مخبط

(٧) ليس قول العضد وحده ، وإنما مع شرح الجرجانى له

(٨) فى المواقف « ليس فى دار الوجود غيره ديار » وهو أدق

(٩) ص ٢٩ وما بعدها ج ٨ شرح المواقف

رأى السعد التفتازانى [١]

وهذا المعنى الأخير هو الذى أراده الشيخ سعد الدين التفتازانى ، بالمذهب الثانى ، من قوله فى شرح المقاصد : « وهٰهنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه فى شىء .

الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى فى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تطمحل ذاته فى ذاته ، وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ما سواه ، ولا يرى فى الوجود إلا الله ، وهو الذى يسمونه : الفناء فى التوحيد ، وإليه يشير الإلهى [٢] : « إن العبد لا يزال يتقرب إلى حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع ه ، وبصره الذى يبصر به [٣] » . وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول [٤] ، أو بالاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال ، وبُعد الكشف عنها بالمثال ، ونحن على ساحل التمنى نعترف [٥] من بحر التوحيد بقدر الإمكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان [٦] دون البرهان ، والله الموفق .

---

(١) مسعود بن عمر بن عبد الله ولد سنة ٧١٢ ، وتوفى سنة ٧٩٢ ﻫ

(٢) يقصد : الحديث القدسى ، وقد روى هذا مختصرا جدا

(٣) سيرد الحديث بتمامه والتعليق عليه

(٤) ما تقرب إنسان فى الوجود إلى الله بمثل ما تقرب إليـه به عبده ورسوله وخليله محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم تصدر عنه مثل تلك العبارات الطافحة بإثم الإلحاد ، والتى يأفك الصوفية أنها روحانية الأنس تفيض من خطائر القدس . بل كل ما صدر عنه توحيد لله سبحانه خالص فى ربوبيته وإلهيته ، وتسابيح عبودية تستشعر الخوف والرجاء . وتبتهل إلى الله أن يغمرها برضاه ، وأن يغفر لها كل ما تشعرها به ـ روحانية الإيمان أنه ذنب

(٥) لعلها : نغترف

(٦) يقصدون معاينة الذات تصدر عنها أفعالها ، وتصرف فى الكون أقدارها . وإبراهيم خليل الله أراه الله ملكوت السموات والأرض ، وموسى كلمه الله من وراء =

الثانى : أن الواجب هو الوجود المطلق [(١)] ، وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وإنما الكثرة بالإضافات ، والتعينات التى هى بمنزلة الخيال والسراب ، إذ الكل فى الحقيقة واحد يتكرر على مظاهر ، لا بطريق المخالطة ، ويتكرر فى النواظر ، لا بطريق الانقسام ، فلا حلول هنا ، ولا اتحاد ؛ لعدم الإثنينية والغيرية ، وكلامهم فى

= حجاب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم عرج به إلى السماء ، وشهد النور الأعظم ، فما تكلم رسول منهم بمثل هذا ، ولا حدثنا عن الفناء أو العيان الصوفى ، ولا قال واحد منهم أنه رأى الله ، ولا سمعنا عن أحد منهم أنه عبد الله بغير ما أمر الله ، أو غفل مرة عن أداء حق من حقوق الله ، أو ادعى أن الله سبحانه أسقط عنه التكاليف ، بل ما زادهم ذلك إلا إيمانا وخشية ، وجدا فى العمل ، وكدحا فى العبادة ، وحبا لله وخوفا منه ، ورجاء فيه سبحانه . ولم يعد المؤمنون تغرهم بالله تلك التهاويل السحرية الصوفية ، ولا تلك الزمزمات المجوسية

(١) يرد الإمام ابن تيمية على هؤلاء بقوله : « المطلق بشرط الإطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، ومالا حقيقة له يتميز بها فليس بشىء ، فمن قال: إن وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين ، فحقيقة قوله : إنه ليس للحق وجود أصلا ، ولا ثبوت إلا نفى الأشياء المعينة المتميزة ، والأشياء المعينة ليست إياه ، فليس شيئا أصلا . وتلخيص النكتة أنه لو عنى به المطلق بشرط الإطلاق ، فلا وجود له فى الخارج ، فلا يكون للحق وجود أصلا ، وإن عنى به المطلق بلا شرط . فإن قيل بعدم وجوده فى الخارج فلا كلام ، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معينا ، فلا يكون للحق وجود إلا وجود الأعيان ، فيلزم محذوران . أحدهما : أنه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات . والثانى التناقض ، وهو قوله : إنه الوجود المطلق دون المعين » باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢١ وهذا حق ، فإن الوجود المطلق تجريد صرف ، أو سلب خالص ، فليس ثم حقيقة تتميز ، ولا ذات تتحقق ، وكذلك العدم ، أو اللاوجود ، فكأنهم يجعلون الواجب عدما ، أو يقولون هو وجود ولا وجود . أما المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينا مخصوصا فى هذا أو ذاك ، إذ ليس فى الخارج شىء إلا وهو معين يتميز عما سواه بحده وماهيته وهم ينكرون تعين الوجود ، إذ يسمونه مطلقا .

ذلك طويل خارج عن طريق العقل والشرع أشرنا فى بحث الوجود إلى بطلانه، لكن من يضلل الله فما له من هاد » انتهى كلام الشيخ سعد الدين رحمه الله .

زعم أن الحق يتلبس بصور الخلق

وقال سعيد الفرغانى — وهو من أكابر أتباعهم — فى شرحه للتائية : وتنزه (١) تلك الإشارة عقيدتى عن رأى الحلول، فإنه لما جاز ووقع أن يكون لِمَلَكٍ مخلوق قدرةُ التَلَبُّسِ بأى صورة شاء بلا معنى الحلول فيه ، يصح أن يتلبس الحق تعالى بصورتى بفناء أنانيتى (٢) بالكلية ، وإن تعللْتُ بعدم جواز تلبسه (٣) بالصورة ، وعللت بتنزيهه عن ذلك التلبس منعناك ، ورددنا تعليلك بالكتاب والسنة » .

ثم قال فى شرح البيت (٤) الذى فيه استشهاده بالكتاب والسنة : « وفى الذكر ، آى القرآن [٢٠] ذكر اللبس ، أى تلبس الحق بالصورة ليس بمردود بل هو ثابت مذكور معروف موضعه من القرآن ، ولم أتجاوز فى تقريرى حكمَي الكتاب والسنة . أما الكتاب ، فقوله تعالى : (٨:٢٧ نودِى أن بورك من فى النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين) يعنى مِنْ أن يكون منحصر ظهوره حالتئذٍ وقبله وبعده فى ذلك التلبس ، وفى غيره من الصور ، وغيرِ ما . وقوله تعالى : (٢٨ : ٣٠ نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة)

---

(١) يعنى بيت ابن الفارض :

ولى من أتم الرؤيتين إشارة ... تنزه عن دعوى الحلول عقيدتى

(٢) أى ذاته

(٣) أى الله سبحانه

(٤) يقصد بيت ابن الفارض :

وفى الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ... ولم أغد عن حكمى كتاب وسنة

الآية ، وإذا جاز تلبسه بصورة الجماد[١] ، فبصورة الإنسان أجمع وأولى عند فنائه عن تعينه وتشخصه . وأما السنة ، فقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عنه تعالى « كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله[٢] » وقوله أيضاً : فإن الله تعالى قال

---

(١) تأمل – عونة الزندقة في التعبير ، حيث يصف الله سبحانه وتعالى بأنه تلبس بالشجرة ، أو كان هو الشجرة وهو يكلم موسى ، ويفجر في زعمه فيقرر أن القرآن يثبت هذا !

(٢) يعني ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي وليا ، فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، وإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، في يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يسعى . . الحديث » ويستدل الصوفية بهذا الحديث على أن الله سبحانه عين خلقه ، وعلى أن العبد يحور ربا . وإليك رد الشيخ ابن تيمية عليهم : « والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة ، منها قوله : من عادى لي وليا ، فقد بارزني بالمحاربة ، فأثبت معاديا محاربا ، ووليا غير المعادى ، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا . ومنها قوله : وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، فأثبت عبدا متقربا إلى ربه ، وربا افترض عليه فرائضه ، ومنها قوله : ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فأثبت متقربا ، ومتقربا إليه ، ومحبا ومحبوبا غيره ، وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد ... والحديث حق ، فإن ولي الله لكمال طاعته لله ومحبته لله يبقى إدراكه لله ، وباطنه وعمله لله وبالله ، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه ، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه ، وما يراه مما يحبه الحق أحبه ، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه ويبقى في سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل ، فولي الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه ، والمأمور والمنهى عنه ونحو ذلك ، فيبقى محبوب الحق محبوبه ، ومكروه الحق مكروهه ، ومأمور الحق مأموره ، وولي الحق وليه ، وعدو الحق عدوه » ص ٤٨ رسالة الرد الأقوم ط السنة المحمدية . هذا والحديث رواية البخاري عن خالد بن مخلد القطراني الكوفي أبي الهيثم . وقد تكلم فيه . قال العجلي عنه : ثقة فيه تشيع ، وقال ابن سعد : منكر الحديث متشيع =

على لسان عبده : سمع الله لمن حمده . ثم حديث القيامة فى الإتيان فى الصورة(١)

= مفرط ، وقال أحمد بن حنبل: له مناكير، وقال أبوداود : صدوق إلا أنه يتشيع وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقد عد هذا الحديث من مناكير خالد يقول الذهبي : « هذا حديث غريب جدا ، ولولا هيبة الجامع الصحيح لعددته فى منكرات خالد ، وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك ، وليس بالحافظ » والحديث ـ على افتراض صحته ـ حجة على الصوفية كما رأيت

(١) يعنى ما ورد فى الحديث من أن الله سبحانه يتجلى لعباده يوم القيامة ، ثم يأتيهم فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، ثم يأتيهم فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا » والحديث فى الصحيحين والترمذى ، وتوحيد ابن خزيمة ، وسنن الدارمى وغيرها . والحديث حجة تدفع الصوفية بالبهتان . أولا : يثبت الحديث أن هذا التجلى لن يكون إلا فى الآخرة ، أما الصوفية فيدينون بتلبسه بالصور فى الدنيا . ثانيا : يدين الصوفية بأن الرب يتجلى لكل أحد بحسب اعتقاده ، فالقاصر المقيد لا يعرفه إلا إذا تجلى له فى صورة معتقده ، فإذا اعتقد أن الرب صنم ، أو كوكب ، أو عجل ، تجلى له فى صورة ما اعتقده ، أما إذا تجلى له فى صورة أخرى أنكره ، أما العارف المطلق ، فإنه يعرف الله ـ فى زعم الصوفية ـ فى كل صورة يظهر بها ، لأنه يعتقد أن الرب عين كل شىء . هذا فى حين يثبت الحديث أن المؤمنين أنكروه فى صورته الأولى ، وعرفوه فى صورته الثانية ، ومن أنكروه ، ثم عرفوه هم الرسل والأنبياء والأولياء ، وهؤلاء ـ باعتراف الصوفية ـ أكمل العارفين ، وهم لم يعرفوه إلا فى صورة واحدة ، وهذا ينقض أصل دعواهم ، وهو أن العارف المكمل هو من يعرف الله فى كل صورة ، ثالثا : يثبت الحديث وجود قوم يعرفون بعد إنكار ، ووجود رب تجلى ثم تجلى . وهذا يستلزم وجود أغيار كثيرين هم غير الرب . فى حين يدين الصوفية بأنه ما ثم غير ما . رابعا : يزعم الصوفية أنه سبحانه عين كل شىء ، والحديث يثبت وجود قوم مؤمنين ، وكافرين ، ومنافقين ، فإذا أخذنا بزعم الصوفية كان ربهم هو الكافر والمنافق ، والمنكر والمنكر ، وثبت لربهم الجهل ، وحب الصوفية شرا أن يكونوا عبيد رب هذا شأنه . خامسا : يثبت الحديث أنه =

ثم قال : فالحديث أولا وآخراً معلم أنه يتلبس بأى لباس صورة شاء مما يعرف ، ومما ينكر من غير حلول ، فكان ظهوره بصورتى أيضاً جائزاً من غير حلول ، فصح بهذا دعوى اتحادى مع الحلول »

أمر ابن الفارض باتباع شريعته

« ثم قال فى شرح قوله :

مَنَحتُكَ علما إن ترد كشفه ، فَرِدْ   سبيلى ، واشرع فى اتباع شريعتى

قال : « يحتمل أن يكون إضافة الشريعة من الناظم إلى نفسه بلسان الجمع والترجمانية ، ويريد بقوله : فرد سبيلى ما أريد به فى قوله تعالى : (١٢ : ١٠٨ قل : هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة) . وبقوله : شريعتى ، شريعة النبى صلى الله عليه وسلم » ثم قال :

فمنبع صَدًّا [١] من شراب نقيعُه   لدَىَّ ، فدعنى من سراب بقيعة

= سبحانه لن يتجلى إلا فى صورة واحدة فى كل مرة ، أما هم فيدينون بتجلى ربهم فيما لا يتناهى من الصور المتباينة فى آن واحد . سادسا : لم يبين الحديث كنه الصورة الأولى ، أما صورته الثانية فعرفها بأنها هى التى رأوه فيها أول مرة . أما هم فقالوا بتجليه فى صورة يغوث ويعوق . وفى صورة عجل السامرى ، وفى صورة نار المجوس ، بل فى صورة كل مخلوق . سابعا : يثبت الحديث ربا ، ويثبت عبادا يبتليهم ربهم بتجليه ، ويثبت أنهم غير الرب ، وهم يقولون : العبد عين الرب . ويثبت الحديث مكانا . فما هذا المكان ؟ أهو الرب أم غيره ، إن قالوا بالأول . فما فى الحديث هذا . وكفاهم خزيا أن يكون ربهم مواطى أقدام . وإن قالوا بالثانى ثبت وجود غير ، وهم ينفون الغيرية . ثم ما للصوفية يستشهدون بما لا يؤمنون به ؟ إنهم يزعمون أخذهم عن الله مباشرة ، ويستنكفون العمل بشريعة الله التى جاء بها رسله ! وفى الحديث براهين أخرى ، وحسبنا هذا

(١) فى الأصل : صدى . وصوابها : صداء قال ضرار :

كأنى من وجدى بزينب هاشم   يخالس من أحواض صداء مشربا

وصداء بئر ماؤها أعذب مياه العرب ، ومن الأمثال : ماء ولا كصداء =

صدا ماء للعرب يضرب المثل به لعذو بته ، والنقيع : البئر الكثيرة الماء ، يقول مُعَلِّلاً البيت السابق الذى حاصله : أمره باتباع شريعته ، والورود فى سبيل هداه وطريقته ، ونهى عن متابعة غيره مِمَّن يدعى التحقيق فى العلم والمعرفة الحقيقية نحو علماء الظاهر من الأصوليين والفلاسفة : أن المورد العذبَ الهنىء النافع عندى ، ويختص بمشربى ، وهو المفهوم المطابِق من الكتاب والسنة ، وإرشاداتهما الغامضة بلا تأويل عقلى وتقليد ، بل على ما هو الأمر عليه ، فإن استطعت أن تخوض فيه ، وتشرب منه ، وإلا فدعنى من سراب علوم علماء الظاهر (١) ، وتأويلاتهم ومفهوماتهم التى ظاهرها لأجل الفصاحة ، وتركيب الدلائل ، تظهر وتغر السامع الْغِرَّ (٢) ، فيحسبها شيئاً نافعاً له ، فإذا فتش عن حقيقتها لم يجد شيئاً ، ولا تحقيق ، ولا معرفة فيها ، ولا طائل تحتها ، وكذلك دلائل الفلسفة فى المسائل الإلهية ، تغر ، ولا تقر . ولا تذكر عندى مذاهبهم ومقالاتهم ودلائلهم ، ولا تلتفت إلى ذلك تفز فوزاً عظيما » .

هذا كلام الفرغانى الذى يثنى ابن بنت ابن الفارض فى مقدمة [٢١] الديوان عليه ، وشهد له أنه على نفس جده (٣) ، وهكذا يفعل فى كل الأبيات مهما وجد شيئا من المتشابه فى الكتاب أو السنة أجراه على ظاهره (٤) ، وجعله حجتهم فى

= يضرب لما يحمد بعض الحمد ، ويفضل عليه غيره . انظر مجمع الأمثال ، والمضاف والمنسوب .

(١) يعنى الآخذين بأحكام الشريعة ، والمتفقهين فيها

(٢) الجاهل بالأمور الغافل عنها

(٣) لعله سقط من الكلام ، كلمة : مذهب أو طريقة قبل كلمة جده

(٤) لو أجرى الكلام على ظاهره لنعم فكرا بالحقيقة ، وقلبا باليقين ، ونفسا بالهدى ، ولكنه أجراه على هوى شيطانه . وألمح من قول البقاعى أنه يعنى بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثها ، فإن يك فقد زل به فهمه ، وقلد فى هذا الزلل غيره ، فآيات الصفات محكمات هن من أم الكتاب يجب إجراؤها على ظاهرها ، أى على =

الاتحاد ، واستحسان الأفعال القبيحة من المكلفين ، فإن عجز ـ بكون الشرع نص على قباحتها ـ يقول : إن فيها حسنا وقبحا من بعض الوجوه ، ولعل ذلك الوجه يقود أصحاب تلك المقالة إلى الخير ، ويسعى كل السعى فى إسقاط الإنكار على أحد فى فعل من الأفعال . وكذا نقل البدر بن الأهدل عن شرحها للأبزارى وغيره ، والله المستعان .

تكذيب صريح للقرآن

وقال فى فص حكمة أحدية فى كلمة هودية : (١١ : ٥٦ من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم) : فكل ماش [فعلى] صراط الرب المستقيم ، فهو غير مغضوب عليهم من هذا الوجه ، ولا ضالون ، فكما كان الضلال عارضا ، فكذلك الغضب الإلهى عارض ، والمآل إلى الرحمة التى وسعت كل شىء[(١)]

= مالها من معان فى العربية دون تمثيل أو تشبيه أو تلويث للفهم بما يشهد الحس لها من كيفيات بالنسبة إلى الخالق . هذا وإلا جعلنا للعقل — وهو من خلق الله — سلطانا على الخلاق العظيم يقوم صفاته بما شاء ، وكيف شاء ، ويرضى له بعضا ، وينكر بعضا ، ويبتدع له بالهوى العصوف صفات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان وجل جلال الله سبحانه

(١) ص ١٠٦ فصوص ، وابن عربى يكذب بهذا البهتان قوله سبحانه « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » وغيرها من الآيات . فالقرآن يقرر أن الناس بالنسبة إلى الحق ثلاثة أقسام : قوم عرفوا الحق وآمنوا به ، وهم الذين وصفهم الله بأنهم على صراط مستقيم . وقوم عرفوا الحق ، وأعرضوا عنه كفرا وجحودا ، وهم المغضوب عليهم ، وقوم لم يحاولوا معرفة الحق فلم يهتدوا ، وهم الضالون . وقد خص الله الفريق الأول برضاه ورحمته ، والآخرين بغضبه ولعنته . ولكن ابن عربى يجعل الجميع سواء ، هادفا من وراء ذلك إلى تقرير أسطورة وحدة الأديان التى تزعم أن الأديان سماويها ووضعيها واحد ، وأن الحق والهدى فيها جميعا ، لا يختص بها دين عن دين ، فالشرك عين التوحيد ، والمجوسية عين الإسلام ، فعابد العجل عندهم كعابد الله . يقول لك الصوفية : كن مشركا كن مجوسيا كن بوذيا كن يهوديا . فأنت على صراط مستقيم

إفك على الله

ثم قال : « اعلم أن العلوم[1] الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة ؛ فإن الله تعالى يقول : كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يسعى بها » فذكر أن هُوِيَّته[2] [هى] عين الجوارح التي هى عين العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة ، تختلف باختلاف الجوارح كالماء . حقيقة[3] واحدة مختلف[4] فى الطعم باختلاف البقاع[5] »

قلت : وعلى هذا الضلال عوَّل ابن الفارض ، فقال :

وجاء حديث فى اتحادى[6] ثابت	روايته فى النقل غير ضعيفة
مشيرا بحب الحق بعد تقرب	إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر	بكنت له سمعا كنور الظهيرة
فَلكلّي لِكلّى طالب متوجه	وبعضى لبعضى جاذب بالأعنة
ومنى بدالى ما عَلَىَّ لبسته	وعنى البوادى بى إلىَّ أعيدت

---

(١) فى الأصل : الأمور .

(٢) أى حقيقته ، وهدفه من هذا : إثبات أن الإحساسات ، أو المشاعر ، أو الأوهام ، أو الخيالات التى يشعر بها كل إنسان هى فى الحقيقة من مكونات علم الله سبحانه ، فعلم الله عند الصوفيه متوقف على علم عبيده ، وتعالى الله عما يأفك الزنادقة

(٣) فى الأصل : حقيقته .

(٤) فى الأصل : تختلف .

(٥) ص ١٠٧ فصوص .

(٦) فى الأصل : باتحادى .

وفىَّ شهدت الساجدين لمظهرى فحققت أنى كنت آدم سجدتى (١)

تعانقت الأطراف (٢) عنـدى وانطوى بساط السِّوى عدلا بحـكم السَّويَّة

(١) قال القاشانى فى شرح هذا البيت « أى عاينت فى نفسى الملائكة الساجدين لمظهرى ، فعلمت حقيقة أنى كنت فى سجدتى آدم تلك السجـدة ، وأن الملائكة يسجدون لى ، والملائكة صفة من صفاتى ، فالساجد صفة منى يسجد لذاتى ، فالجمع واقع لا يدفع »

وأقول فى قصة آدم ، وأمر الملائـكة بالسجود له ، وطاعتهم لهذا الأمر ، وتمرد إبليس عليه : فى كل هذا ما ينقض دعاوى الصوفية فى الحلول والوحدة والاتحاد ، لأنها ـ أى القصة ـ تثبت رباً آمرا بالسجود ، وتثبت أغياراً كثيرين هم : آدم ، والملائكة ، وإبليس . لهذا يحاول ابن الفارض تصوير القصة ، بمـا يتواءم وهوى زندقته ، أى بما يرفع فى زعمه هذا التعدد فى الوجود والذوات ، ويرفع المغايرة بين المـاهيات . فيقول : لا تحسبن الآمر بالسجود غير من أمروا به ، أو غير من وقع الملائـكة له ساجدين ، أو غير من تمرد على هذا السجود ، فإنهم جميعاً عين واحدة ، هى الذات الإلهيـة . فالآمر هو الله باعتبـار الهوية المجردة عن التعين . وآدم هو مظهر تعين الذات ، أو الهوية ، والملائـكة هم تعينات الصفات ، وكذلك إبليس ،فلا تعدد فى الوجود ، ولا غيرية فى الماهيات . فآدم هو الذات ، والملائـكة وإبليس هم الصفات ، وما كان السجود الذى وقع سجود ذات لغـيرها ، بل كان من صفـات لموصوفها . . .

ثم ينتقل ابن الفارض من هذا التصـور الصوفى إلى تقرير أنه كان عين آدم ، وكان عين الملائـكة ، أى عين الذات الإلهية . وعين صفاتها . هذا هو دين سلطان العاشقين ، أو قل : هذه زندقة رب الصوفيين !!

(٢) يزعم أنه ليس فى الوجود متناقضات ، ولا أضداد ، ولا أغيـار ، بل ولا أمثال ، إذ الوجود كله حقيقة واحدة . والحقيقة الواحدة لا يقال عنها : إنها تناقض أو تضاد ، أو تغاير ، أو تماثل نفسها ، ولهذا يؤمن الزنديق أن القدم عين الحدوث والفوق عين التحت ، والنور عين الظلمة ، والأول عين الآخر ، والأزل عين الأبد والآن عين الماضى وعين المستقبل ،وهذه هى الأطراف الوجودية والمكانية والزمانية =

وليس ألست[١] الأمس غيراً لمن غـدا | وجنحى غدا صبحى ويومى[٢] ليلتى
وسر بلى لله مرآة كشفها | وإثبات معنى الجمع نفي المعيَّة[٣]
ظهور صفاتى عن أسامى جوارحى | مجازا بها للحكم نفسى تسمت
رقوم علوم فى ستور هيا كل | على ماوراء الحس فى النفس ورت

= التى يزعم ابن الفارض أنها تعانقت عنده ، والتى يقول بعدها أنه حين رأى النقيض عين نقيضه ، والضد والغير نفس ضده وغيره ، انجلت عن بصيرته أوهام السوية ، والغيرية ، فبدت له الحقيقة التى غلفتها بالستر أوهامه . تلك هى أن الوجود حقيقة واحدة ، وأن الخالق عين الخلق ، وأنه هو الله !! هذا هو دين إله الصوفية العاشق

(١) يعنى قوله سبحانه (ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) مشيراً إلى ما فسرت به الإسرائيليات هذه الآية . وهو سبحانه أخذ العهد على ذرية آدم جميعهم وهم فى ظهره مودعاً فى إشارته تلك كفره الصوفى . ويريد بالغد فى هذا البيت : يوم القيامة فى عرف الشرع . وبيته هذا توكيد لكفره فى البيت السـابق . إذ يقرر هنا . أن الحضرة الأزلية ، أو الذات الأحدية — رغم تكثر مظاهرها ، وتعدد مجاليهـا — تنزهت عن عوارض الزمان ، واختلاف الجهـات ، وترتب الآنات ، فوقتها أحد سرمدى أبدى . يندرج فيه الأزل والأبد ، والمبدأ والأمد ، والأمس والغد ، ولذا فما ثم صباح ولا مساء ، ولا نهار ولا ليل ، ويقرر ابن الفـارض أن هذا كله له ، ليستدل به على أنه هو الذات الأحدية عينها ، فهو فيما يسميه الصوفية بالآن الدائم ، وهو عندهم امتـداد الحضرة الإلهية الذى يندرج فيه الأزل فى الأبد ، وكلاهما فى الوقت الحاضر ، لظهورها فى الأزل على أحايين الأبد ، وكون كل حين منها مجمع الأزل والأبد ، فيتحد به الأزل والأبد والوقت الحاضر .

(٢) فى الأصل : على . والتصويب من الديوان .

(٣) يشير ببلى فى قوله : وسر بلى الخ إلى قوله سبحـانه : (ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) والجواب ببلى يستلزم وجود سائل ومجيب ، أعنى يستلزم الإثنينية ، بيد أن ابن الفارض يدعى هنا أن السـائل عين المجيب ، وهذا فى قوله : وإثبات معنى الجمع نفى المعية .

وأسماء ذاتى عن صفات جوانحى جواز الأسرار بها الروح سرت

مظاهر لى بدوت فيهـا ، ولم أكن

عَلَيَّ بخاف قبل موطن برزَتى [٢٢]

ولما شَعبْتُ الصَّدْعَ ، والتأمت فطو

رُ شملٍ بفرق الوصف غير مشتَّتِ (١)

تحققت أنَّا فى الحقيقة واحد وأثبت صحوُ الجمع محوَ التَّشَتت (٢)

وإنى، وإن كُنتُ ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهدٌ بأُبوَّتى

تمجيد الصوفية للمجرمين

ثم قال فى الفص الهودى أيضا : « فنسوق المجرمين » وهم الذين استحقوا المقام الذى ساقهم إليه بريح الدبور التى أهلكهم عن نفوسهم [بها] فهو يأخذ بنواصيهم ، والريح تسوقهم — وهى عين الأهواء التى كانوا عليها — إلى جهنم ،

(٢،١) يقول : لما جمعت ما تفرق فى الوجود ، من صفات وأسماء وأفعال ، تيقنت أن كل شىء هو عين الذات الإلهية ، وأن الوجود عين وجوده ، ثم ينتقل إلى نفسه ، فيقرر أنه آمن عن بينة ، ويقظة بصيرة : أنه هو الله ذاتاً وصفة وإسما وفعلا ، ومشاعر وجوارح !.

وهكذا يؤكد ما قررته من قبل ، وهو أن ابن الفارض ممن يدينون بالوحدة ، لا بالاتحاد . ألا تراه يكرر دائما أنه آمن عن يقين أنه ما كان فى حال ما ، ولازمان ما غير ولا سوى وإنما كان ثم حقيقة واحدة هى الذات الإلهيـة تجلت فى صور خلقية ، أما الاتحاد ، فيستلزم أنه كان قبل وجودان ، ثم اتحـد أحدهما بالآخر ، وهذا ما ينكره ابن الفارض وينفيه نفياً باتاً . قد يقـال : ومالابن الفارض إذن يعبر عن معتقده : بالاتحاد ؟ أقول : مما يفصل به ابن الفارض فى التائية الكبرى نجزم بأنه يستعمل الاتحاد بمعنى الوحدة ، والعبرة بمعـانيه ، لا بألفاظه ، أو لعل لحظات العجب النفسى ، كانت تجمع بخياله الزنديق إلى محاولة إثبات أنه هو وحده الذى تعينت فيه الذات الإلهيـة ، ثم يفيق من هذا العجب ، فيقررها شاملة عامة ، هى أن مظاهر الوجود مقومات للذات الإلهية .

وهى البعد [١] الذى كانوا يتوهمونه ، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا فى عين القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم فى حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، لأنهم مجرمون ، فما أعطاهم هذا المقام الذوقى اللذيذ من جهة المنَّة ، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التى كانوا عليها ، وكانوا فى السعى فى أعمالهم على صراط الرب المستقيم [٢] ، لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة ، فما مشوا بنفوسهم ، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب [٣] (٥٦ : ٨٥ ونحن أقرب إليه منكم ، ولـكن لاتبصرون [٤])

زعمهم أن هوية الحق عين أعضاء العبد وقواه

ثم قال : « فلا قرب أقرب من أن تـكون هويته عين أعضاء العبد وقواه [٥] ، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو حق مشهود فى خلق

---

(١) فسر الريح بهوى النفس ، وجهنم بالبعد ، وهكذا يصنع فى كل ما يفسر به آى القرآن ، يفسرها بما لايقره شرع ولا لغة ولا عقل .

(٢) أرأيت كيف يصف المجرمين المشركين : بأنهم ســالكون سبيل الهداية الحق ، وصراط الله المستقيم ، لا لشىء إلا لأنهم آمنـوا بأن الله عين ما عبدوه من كوكب أو صنم ! ؟ . تستطيع من خلال هذا تبين نار الحقد التى تلتهم قلوب الصوفية على الإسلام وكتابه ورسوله .

(٣) القرب عندهم هو الفناء عن وصف العبودية ، والتحقق بمقـام الربوبية ، وترى الزنديق يزعم أن المجرمين من قوم هود كانوا من أعلم الناس بحقيقة الربوبية إذ تجلت لهم غيوب هوياتهم ، فأدركوا وآمنوا أنهـا عين هوية الله . وأن وصف العبودية لهم مجازى فحسب . وهكذا يدين الصوفية برب تجسد حيواناً ضاريا يفسق ويجترح الإثم والفاحشة ، ويلعق دم الجريمة .

(٤) ص ١٠٨ فصوص .

(٥) زاد الآثم فجوراً فى الزندقة ، فافترى على الله أنه ليس عين الخلق جميعاً فحسب ، بل هو عـين كل عضو فيهم وجارحة ، وأن قوى الله سبحانه عـين قوى الخلق المادية والروحية ، حتى مايعتمل فى الدم ، ويقبلج فى الخواطر من شهوات =

متوهم ، فالخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين ، وأهل الكشف والوجود[1] وما عدا هذين الصنفين ، فالحق عندهم معقول ، والخلق مشهود ، فهم بمنزلة الملح الأجاج ، والطائفة الأولى بمنزلة الماء العذب الفرات السائغ لشاربه ، فالناس على قسمين : من الناس من يمشى على طريق يعرفها ، ويعرف غايتها ، فهى فى حقه على صراط مستقيم ، ومن الناس من يمشى على طريق يجهلها ، ولا يعرف غايتها ، وهى عين الطريق التى عرفها الصنف الآخر ، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة ، وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد والجهالة[2] »

تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود

ثم قال : « ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا : (٤٦ : ٢٤ هذا عارض ممطرنا) فظنوا خيرا بالله تعالى - وهو عند ظن عبده به - فأضرب لهم الحق عن هذا القول ، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى فى القرب ، فإنه إذا أمطرهم ، فذلك حظ

= الغرائز ، وصور الأوهام !! ولذا يصف العبد بأنه حق مشهود وأن وصفه بالخلقية وهم يغلف الحقيقة الكبرى بحجابه ، تلك الحقيقة هى أن العبيد جميعا أرباب وآلهة أوهم الرب تعنيت أسماؤه آلهة تنجلى فى صور الخلق ، هؤلاء القتلة السفاحون السفاكون مغتصبوا الأعراض ، الوالغون فى الدم ، هؤلاء المرتشون المفسدون فى الأرض ، هؤلاء الذين يروعون أمن الحياة ، وسلام الوجود ، هؤلاء الظلمة الفاتكون بالأيامى واليتامى والأرامل . كل هؤلاء عند الصوفية أرباب خلقوا السموات والأرض ، ولهم ملكوت السموات والأرض ! !

(١) غالى الزنديق فزعم أن الخلق ما هو إلا صورة ذهنية وهمية لا تحقق لها فى الخارج . أما الحق - أى الله سبحانه - فهو محسوس مشهود ، إذ لا ينفك عن التعين فى مادة . ويبهت الزنديق بالجهل من يؤمن بأن الله تعالى يتجرد عن المادة ، أو أنه شىء آخر غير المادة .

(٢) ص ١٠٨ فصوص . وغير العارف هذا هو إله الصوفية متعينا فى صورة بدنية عنصرية ، فإلههم إذاً مقلد جاهل يدعو إلى نفسه عن تقليد وجهالة !

الأرض ، وسقى الحبّ ، فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر[١] إلا عن بعد[٢] ، فقال لهم (٤٦ : ٢٤ بل هو ما استعجلتم به . ريح فيها عذاب أليم) . فجعل الريح إشارة إلى مافيها من الراحة . ، فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة ، والمسالك الوعرة ، والسدف المدلهمة ، وفى هذه الريح عذاب ، أى أمر يستعذبونه[٣] ، إذا ذاقوه ، إلا أنه يوجعهم لفرقة المألوف[٤] » . انتهى ماقاله مكذبا لصريح الذكر الحكيم فى قوم قال فيهم أصدق القائلين ـ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون [٢٣] علوا كبيرا (٧ : ٧١ قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) ، (٧ : ٧٢ فكذبوه فأنجيناه والذين معه برحمة منا ، وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ، وما كانوا مؤمنين) ، (١١ : ٥٩ ، ٦٠ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم ، وعصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، وأتبعو فى هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة ، ألا إن عادا كفروا ربهم ، ألا بعداً لعاد قوم هود)

ابن عربى يزعم أنه اجتمع بالأنبياء

ثم ادعى فى هذا الفص أنه رأى الأنبياء عليهم السلام فى مشهد واحد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وأنه ما كلمه منهم إلا هود ، وقال : « رأيته[٥] لطيف

---

(١) فى الأصل : الظن

(٢) فى الأصل : « فقد أى بعد »

(٣) فسر الريح التى أهلك الله بها عادا بالرحمة والراحة ، وفسر العذاب الذى حاق بهم بأنه أمر تستعذبه النفس . فتأمل !

(٤) ص ١٠٩ فصوص

(٥) ذكر المؤلف قبل قول ابن عربى ملخصا ، وإليك نصه : « واعلم أنه لما أطلعنى الحق ، وأشهدنى أعيان رسله عليهم السلام ، وأنبيائه كلهم البشريين من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين فى مشهد أقمت فيه بقرطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة ما كلمنى أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام ، فإنه أخبرنى بسبب جمعيتهم ، ورأيته رجلا ضخما فى الرجال حسن الصورة . . الخ » انظر الفص الهودى من فصوص الحكم

المجاورة عارفا بالأمور ، كأشغالها ، ودليلي على كشفه لها قوله : (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم) وأى بشارة للخلق أعظم من هذه ؟ ثم من امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه فى القرآن ؟

ظن الصوفية بالله سبحانه

ثم تممها الجامع للكل محمد صلى الله عليه وسلم ، بما أخبر به عن الحق أنه عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان ، أى : هو عين الحواس والقوى الروحانية أقرب من الحواس ، فاكتفى بالأبعد المحدود عن الأقرب المجهول الحد[1] ، فترجم الحق لنا عن نبيه هود مقالته لقومه بشرى لنا ، وترجم رسول الله صلى الله عليه وسلم [عن الله] مقالته بشرى ، فكمل العلم فى صدور الذين أوتوا العلم (٢٩ : ٤٧ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) فإنهم يسترونها — وإن عرفوها — حسدا منهم ونفاسة وظلماً ، وما رأينا قط من عند الله فى حقه تعالى فى آية أنزلها ، أو إخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا بالتحديد ، تنزيهاً كان أو غير تنزيه ، أوله العماء الذى ما فوقه هواء ، وماتحته هواء ، فكان الحق فيه قبل أن يخلق الخلق ، ثم ذكر أنه استوى على العرش ، فهذا أيضاً تحديد ، ثم ذكر أنه ينزل إلى السماء الدنيا ، فهذا تحديد ، ثم ذكر أنه فى السماء ، وأنه فى الأرض[2] ، وأنه

---

(١) يقول الزنديق : إذا كان الله سبحانه عين حواس العبد وجوارحه ، فأولى أن يكون عين قواه الروحية ! . . ويريد بالأبعد المحدود : الحواس وبالأقرب المجهول : القوى الروحية ، الألسنة الآثمة الوالفة فى الأعراض ، والأيدى الملوثة بالجريمة السارقة ، والأقدام التى تدب تحت الليل لتنتهك كل حرمة ، وتستلب كل كنين . والشفاه الملوثة بأصباغ الشهوات . إنها ألسنة وأقدام وأيدى وشفاه الإله الذى يعبده الصوفية ! !

(٢) يوحى إلى قوله سبحانه : (٤٣ : ٨٤ وهو الذى فى السماء إله ، وفى الأرض إله) ، ويزعم أنها ذات دلالة على أن الله فى السماء ، وفى الأرض ، بل عين السماء وعين الأرض ، فى حين أن دلالة الآية جلية بينة على أنه سبحانه وحده إله من=

معنا[1] أينما كنا - إلى أن أخبرنا أنه عيننا ، ونحن محدودون ، فما وصف نفسه إلا

= فى السماء ومن فى الأرض ، وأنه المعبود من أهلهما ، « إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » فالآيات مسوقة لبيان أن الله سبحانه له وحده الربوبية والإلهية ، وأنه بيده ملكوت السماء والأرض . إذ جاء قبل تلك الآية « سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون » وجاء بعدها « وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وعنده علم الساعة ، وإليه ترجعون » ورغم الإشراق العلوى من البيان وجلائه ووضحه يأبى ابن عربى إلا أن يفسر الآية بهذا البهتان الخبيث

(١) يفسر ابن عربى المعية هنا بأنها معية الذات ، وليت هذا فحسب ، بل يريد من وراء هذا الفهم إثبات أننا عين الله ذاتا ووجودا وصفة ، وإليك ما جلى به الشيخ ابن تيمية مسألة المعية : كلمة « مع » فى اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها فى اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة فى ذلك المعنى . ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد ، فلما قال : (يعلم ما يلج فى الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها : أنه مطلع شهيد عليكم ، مهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف : معهم بعلمه . ولفظ المعية استعمل فى الكتاب والسنة فى مواضع تقتضى فى كل موضع أمورا لا تقتضيها فى الموضع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ، وإن امتاز كل موضوع بخاصيته ، وعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق » انتهى باختصار عن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٥١ وما بعدها .

وأقول : لا يخلو تصوير الزنديق للمعية من أحد أمرين ، فإما أن تكون الذات مختلطة بكل ذوات الخلق ، وإما أن تكون مختلطة ببعض دون بعض . فإن قال بالأول لزمه القول بانقسام الذات ، وانفصال بعض أجزائها عن بعض ، بل لزمه القول بتعدد الماهيات ، وبالغيرية والتكثر الحقيقيين ، وبأن كل شىء ليس عين الذات ، بل بعضها ، أو جزءها . وهذا غير ما يدين به الزنديق ، فهو يفترى أن هوية الحق وماهيته عين هوية كل موجود وماهيته ، وإن قال بالثانى لزمه ذلك =

بالحد . وقوله (٤٢ : ١١ ليس كمثله شىء) حد أيضاً ، إن أخذنا الكاف زائدة لغير الصفة ، ومن تميز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود ، فالإطلاق عن التقييد تقييد ، والمطلق مقيد بالإطلاق لمن فهم ، و إن جعلنا الكاف للصفة فقد حددناه ، و إن أخذنا « ليس كمثله شىء »[1] على نفى المثل تحققنا[2] بالمفهوم و بالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة ، و إن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود ، فما يُحَدَّ شىء إلا وهو حَدَّ الحق ، فهو السارى فى مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود ، فهو عين الوجود ، فهو على كل [شىء] حفيظ ، ولا يؤوده حفظ شىء ، لحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه[3] لصورته ، أن يكون الشىء غير صورته [٢٤] ولا يصح إلا هذا ، فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود ، فالعالَم صورته ، وهو روح العالم المدبر له ، فهو الإنسان الكبير[4] » هذا لفظه هنا ، وتقدم فى الفص الآدمى : أن العالَم يُعَبَّر عنه فى اصطلاحهم بالإنسان الكبير ، فراجعه تعرف صراحة كفر الخبيث .

الكون هو رب الصوفية

ثم قال : « فقل فى الكون ما شئت . إن شئت قلت : هو الخلق ، وإن شئت [قلت] هو الحق ، و إن شئت قلت : هو الحق الخلق ، و إن شئت قلت :

= أيضا فى البعض الذى يقول باختلاط الذات به ، ولزمه فى البعض الآخر القول بأن من الخلق من ليس عين الذات ، بل غيرها . وهذا نقيض ما يدعيه ! ولكن ماذا تقول فى مخبول يزعم أن العدم عين الوجود ، وأن الشىء نفس نقيضه ؟ !

(١) سبق الرد على ما يلبس به الزنديق ويفتريه هنا

(٢) فى الأصل : تحققا

(٣) فى الأصل : حفظ

(٤) ص ١١١ فصوص الحكم

لا حق من كل وجه ، ولا خلق من كل وجه[١] ، وإن شئت قلت بالحيرة فى ذلك ، فقد بانت المطـالب بتعيينك المراتب ، ولولا التحديد ما أخبرت الرسل بتحول الحق فى الصور ، ولا وَصَفْتَهُ بخلع الصور عن نفسه :

فلا تنظر العـين إلاَّ إليه ولا يقع الحـكم إلا عليه[٢]

ثم قال : « وبالجملة ، فلا بد لـكل شخص من عقيدة فى ربه يرجع بها إليه ، ويطلبه فيها [فإذا تجلى له الحق فيها عرفه ، وأقرَّ به ، وإن تجلّى له فى غيرها أنـكره وتعوذ منه ، وأساء الأدب عليه فى نفس الأمر ، وهو عنـد نفسه أنه قد تأدب معه] فلا يعتقد معتقد إلها إلا بما جعل فى نفسه ، فالإله فى الاعتقادات بالْجَعْل فما رأوا إلا نفوسهم ، وما جعلوا فيها .

لم يقول الصوفية بوحدة الأديان

فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص ، وتـكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ماهو عليه . فـكن فى نفسك هيولى[٣] لصور المعتقدات

---

(١) لا حق من كل وجـه باعتبار تعينه فى صور بدنيـة عنصرية ، أو باعتبار ظاهره . ولا خلق من كل وجه باعتبار هويته ، أو باعتبار باطنه . هـذا هو مراد الزنديق .

(٢) يقول : كل ما تقع العين عليه فى الحياة ، فهو الله ، سل الصوفى فى المواخير من ترى ثم ؟ وسل الصوفى يرعى الخنازير ماذا تسوق ؟ وسل الصوفى يرى الجيف المنتنة ، والرمم البالية ماذا ترى ؟ إنك ستسمعه مجيبا — وهو يحـدجك بالنظرة الساخرة — إنه الله ! ! ! هذا معنى الشطر الأول من البيت ، أما الشطر الثانى فيزعم فيه الزنديق : إن كل ما نحـكم به على الأشياء فهو فى الحقيقة محـكوم به على الله سبحانه ، إذ هو فى إفك الزنادقة عين كل شىء فإذا حكمت على شىء بأنه جماد ، أو عجل ، أو صنم ، أو رجس ، أو جيفة ـ كانت تلك الأحكام كلها واقعة على رب الصوفية كما يدينون ، لأنها ليست شيئا آخر غير هذا الرب الصوفى

(٣) يريد بها هنا مايقبل التأثير ، يقول الزنديق : اجعل نفسك بحيث تتقبل =

كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم [من] أن يحصره عقد دون عقد ، فإنه يقول : (٢: ١١٥ فأينما تولوا فثم وجه الله)[١] » .

ثم قال : « فقد بان لك عن الله تعالى أنه فى أينية[٢] كل وجهه[٣] ، وما ثم إلا الاعتقادات ، فالكل مصيب ، وكل مصيب مأجور ، وكل مأجور سعيد ، وكل سعيد مرضى عنه[٤] ، وإن شقى زمانا ما فى الدار الآخرة ، فقد مرض ، وتألم أهل العناية — مع علمنا بأنهم سعداء وأهل حق — فى الحياة الدنيا »

الوحدة عند ابن الفارض

وإلى هذه الجهالة والضلالة رمز ابن الفارض فى هذه المقالة :

فلا تك مفتونا بحسك معجبا بنفسك موقوفا على لبس غرة

وفارق ضلال الفرق فالجمع[٥] منتج هدى فرقة بالاتحاد تحدت

وصرح بإطلاق الجمال ، ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة

فكل مليح حسنه من جمالها معار له ، أو حسن كل مليحة

= كل معتقد ، وترضى به . وتعتقد أنه حق ، واحذر أن تنكر على المشرك شركه ، أو على المجوسى مجوسيته . واحذر أن تقيد نفسك بدين خاص ، وتحارب سواه ، فالآلهة المعبودة فى كل دين هى فى حقيقتها الإله الواحد ، وإن تك كواكب أحجارا ، أو موتى . . وكل عابد لأى منها عابد لله ، فما ذلك المعبود إلى عين ذات الله ! ! وتعالى الله عن إفك الزنادقة

(١) ص ١١٣ فصوص

(٢) نسبة إلى الأين ، وهو حال تعرض للشىء بسبب حصوله فى المكان

(٣) فى الأصل : وجه

(٤) إيمان الزنديق بوحدة الأديان نتيجة إيمانه بوحدة الوجود ، وتراه هنا يقرر الأولى ، فيزعم أن من تدين بأى دين — سواء كان وضعيا أم سماويا — فهو سعيد مرضى عنه من الله

(٥) فى الأصل : والجمع

بها قيسُ لُبْنى هام، بل كل عاشق … كمجنون ليلى ، أو كُثَيِّر عزة

فَكُلٌّ صَبَا منهم إلى وصف لَبْسها … لصورة حُسْنٍ لاح فى حُسْنِ صورةِ

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر … فظنوا سواها، وهْى فيها[1] تجلت

بدت باحتجاب، واختفت بمظاهر … على صِبَغ التلوين فى كل بَرْزَةِ[2]

ففى النشأة الأولى تراءت لآدم … بمظهر حَوَّا قبل حكم الأمومة

فهام بهـا كيما يصير بهـا أبا … ويظهَرَ بالزوجين حكمُ[3] الْبُنُوَّةِ

وما برحت تبدو وتخفى لِعِلَّةٍ … على حسبِ الأوقات فى كل حقبة

وتظهر للعشاق فى كل مظهر … من اللَّبْسِ فى أشكالِ حسنٍ بديعة

ففى مرة لُبْنَى، وأخرى بثينة … [٢٥] وآونةً تُدْعى بعَزَّةَ. عزَّت

وَلَسْنَ سواها ، لا . ولا كُنَّ غيرها … وما إنْ لها فى حسنها من شريكة[4]

كذاك بحكم الاتحاد بحسنهـا … كمالى بدت فى غيرها، وتزيَّت

بَدَوْتُ لها فى كل صَبٍّ متيم … بأىِّ بديع حسنُه ، وبأيَّت[5]

---

(١) فى الأصل : فيهم ، والتصويب من الديوان

(٢) البرزة : المرة من البروز ، أو المرأة العفيفة تبرز للرجال ، وتتحدث معهم وإخاله يريد بها هذا ، إذ هو بصدد ذكر تجلى الحقيقة الإلهية فى صور النساء

(٣) فى الأصل : سر

(٤)،(٥) يفترى سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية تتجلى ـ أتم وأجمل ما تتجلى ـ فى صور النساء الجميلات ، ويفترى أنها تجلت فى صور ليلى وبثينة وعزة ، وقد رمز بهن عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة ، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفى العشق ، كان لا بد له من التجلى فى صور عشاق ، ليعشق ، ويعشق ، فتجلى فى صور قيس وجميل وكثير عشاق أولئك الغانيات . وقد رمز بهم عن كل فتى اختبله الحب وتيمته الصبابة ، ثم يفترى أيضا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيقة بل هو هى ، فالرب الصوفى عشق وعاشق وعشيقة . فليلى وقيس مثلا عند ابن الفارض هما الرب تعينت ذاته فى صورة امرأة تعشق وتعشق هى ليلى ، وفى صورة رجل يعشق =

وليسوا بغيري[١] في الهوى لتقدُّمٍ   عَلَىَّ لِسبْقٍ في الليالى القديمة
وما القوم غيرى فى هواها[٢] وإنما   ظهرتُ [لهم] لِلَّبْسِ فى كل هيئة
ففى مرةٍ قيساً ، وأخرى كُثَيِّرا   وآونةً أبدو جميلَ بثينة
تجليت فيهم ظاهراً واحتجبت با   طِناً بهم ُ فاعجب لِكَشْفٍ بِسُتْرَة
أسام بهـا كنتُ المسمَّي حقيقة   وكنتُ لِيَ البادى بِنَفْسٍ تخفّت
وما زِلتُ إيَّاها ، وإيَّايَ لم تزل   ولا فرقَ ، بل ذاتى لذاتى أَحَبَّتِ[٣]

= ويعشق. هو قيس . وليتأمل القارىء معى. فابن الفارض حين يتحدث عن الذات الإلهية باعتبارها حقا يحكم بأنها تظهر فى صور نساء ، وإذا تحدث عنها باعتبار تعينها فيه يحكم بأنها تظهر فى صور رجال ، يريد بها أن يفضل الرب المتعين فيه عن الرب المتعين فى غيره ، أو بتعبير أبين صراحة ، يفضل نفسه على الرب الذى يظهر فى صورة امرأة ، ويجعل من نفسه قيما عليه ، فالرجال — كما لا يخفى — قوامون على النساء !

(١) فى الأصل : سواى

(٢) فى الأصل : هواى

(٣) هذا وما قبله بين الدلالة على إيمان ابن الفارض بالوحدة ، لا بالاتحاد ، فإنه حين عبر بقوله : وما زلت إياها خشى أن يقال عنه أنه ما زال يستشعر إثنينية ما ، لوجود محمول وموضع فى تعبيره — وإن كان الحمـل صوريا ، إذ المحمول عين الموضع — أقول : خشى أن يقال عنه هذا فعقبه بقوله : ولا فرق ، حتى لا تفهم أن الذات المعبر عنها بضمير المتكلم ، وهو التاء فى « ما زلت » غير المعبر عنها بضمير الغائب فى إياها . وإنما هى هى . وزاد ابن الفارض إيغالا فى كفره ، فقال : بل ذاتى لذاتى ، ليجرد الذات الإلهية من وجودها الخاص ، وليؤكد أن ليس لها من وجود إلا هذا الوجود المقيد المتعين فى هذا أو ذاك من أفراد الخلق ، ولإثبات الوحدة التامة بين الحق والخلق — لا فى الباطن فحسب — بل فى الظاهر ، ثم لغرض آخر ، وهو أن الذات الإلهية ، نالت كمالها بتعينها فى صورة ابن الفارض . هذا هو دين من لا يزال كبار الشيوخ ـ بله الزنادقة الصوفية ـ يلقبونه : سلطان العاشقين

وليس معى فى الـكون شىء سواى والـ مَعِيَّةُ لم تخطر على أَلمعِيَّتى [١]

الـكثرة عين الوحدة

ثم قال ابن عربى فى فص حكمة قلبية فى كلمة شعيبية : « وصاحب التحقيق يرى الـكثرة فى الواحد ، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية، وإن اختلفت حقائقها وكثرت أنها عين واحدة ، فهذه كثرة معقولة فى واحد العين ، فيكون فى التجلى كثرة مشهودة فى عين واحدة ، كما أن الهيـولى [٢] تؤخذ [٣] فى حد كل صورة [وهى] مع كثرة الصور [واختلافها] ترجع [٤] فى الحقيقة إلى جوهر واحد ، هو [٥] هَيُولاها ، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة ، فقد عرف ربه ، فإنه على صورة خلقه بل هو عين هويته وحقيقته [٦] .

---

(١) هذا توكيد لما يدين به من الوحدة ، ولذا يلح فى نفى المعية ، نفى أن يكون ثم فى الـكون غير أو سوى إذ ما ثم إلا حقيقة واحدة ، هى هوية الحق ، تكثرت بمظاهرها الخلقية ــ والألمعية : الذكاء والفطنة

(٢) يراد بها : المادة ، أو مابه الشىء بالقوة ، أو ما يقبل التأثير

(٣) ، (٤) ، (٥) فى الأصل : يؤخذ ــ ويرجع ــ وهو . والتصويب من الفصوص .

(٦) ص ١٢٤ فصوص ، وقد خاف ابن عربى أن يظن به أنه يدين بمشاركة الإنسان لله فى أمر عرضى وهو الصورة ، وذلك من قوله : فإنه على صورة خلقه ــ وإن كان يعنى بالصورة هنا : مابه الشىء بالفعل ــ أقول : خاف هـذا ، فأضرب عن قوله هذا ، وأتبعه بقوله : بل هو عين هويته وحقيقته . ياللزنديق !! فرعون حقيقة الله عنده ، وقارون ، وهامان ، وأبو جهل ، وأبو لهب ، بل كل آثم غوى الضلالة والفجور . كل هذا ، والشيوخ يسبحون بحمد ابن عربى ، ويرونه الروح الرفاف فى ملـكوت الجمال الأعظم ، والنور الذى هدى إلى قدس الحقيقة . أما قولنا ذيادا عن جلال الله : إن ابن عربى كافر . فهو قول عند الشيوخ يستعصى على المغفرة ! !

قلت : وإلى هذا المحال أشار ابن الفارض فقال :

رجعت لأعمال العبادة عادة   وأعددت أحوال الإرادة عُدَّتى

وعد جملة من أفعال البر فى أبيات ، ثم قال :

ودققت فكرى فى الحلال تورعا   وراعيت فى إصلاح قُوتى وقوَّتى

متى حلت عن قولى :أنا هى أو أقل   وحاشا لمثلى [١] أنها فِىَّ حلَّت

وهذا مثل مايقال : خاب فلان وخسر ، وكان مثل إبليس ، إن كان منه كذا

فعل العبد عين فعل الرب عند الصوفية

وقال ابن عربى فى فص حكمة نبوية فى [كلمة] عيسوية :

فإنا أَعْبُدٌ حقا   وإن الله مولانا

وإنَّا عينه ، فاعلم   إذا ما قلت : إنسانا

فلا تُحْجَبَ بإنسان   فقد أعطاك برهانا

فكن حقا ، وكن خلقا   تكن بالله رحمانا [٢]

وقال فى فص حكمة رحمانية فى كلمة سليمانية : « والعمل مُقَسَّمٌ على ثمانية

---

(١) فى الأصل : هداها

(٢) ص ١٤٣ فصوص والرحمن عند الصوفية « اسم الحق باعتبار الجمعية الأسمائية التى فى الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود ، وبقية الكمالات على جميع الممكنات » الكمشخانلى فى جامعه تحت المادة . . فهو مرادف للوجود المطلق . ويفترى الزنديق ، فيزعم أن العارف يكون رحمانا — أى وجودا مطلقا ، أى نفس الله سبحانه — إذا آمن أنه الحق ، وأنه الخلق ، إذا نظر إلى باطنه ، فأيقن أنه حقيقة الحق ، وإلى ظاهره ، فأيقن أنه مظهر خلق لحقيقة الحق . بهذه النظرة الشاملة من العارف إلى غيبه ، وشهوده ، يكون هو الذات الإلهية الجامعة للأسماء الإلهية كلها . . هذا مراد من يجعل الصوفية اسمه تميمة ، والتسبيح بحمده روحانية ابتهال ، وصلاة ضراعة ، ونسك قرابين ! ! !

أعضاء من الإنسان ، وقد أخبر الحق تعـالى أنه هُويَّة كل عضو منهـا[١] ، فلم يكن العامل غير الحق ، والصورة للعبد ، والهوية مدرجة[٢] فيه ، أى فى اسمه ، لا غير ؛ لأنه تعالى عين ما ظهر[٣] » .

ما الخلق ؟

ثم قال : « فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الإلهية ، والنسب الربانية ، ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا ، وأعلمنا أنه هويتنا ، لنعلم أنه ما أوجبهـا على نفسه إلا[٤] لنفسه ، فما خرجت الرحمة عنه ، فعلى من [٢٦] امتن ، وما ثم إلا

---

(١) يزعم الزنديق أن الحق سبحانه عين كل عضو وجارحة من كل إنسان ، فإذا سرقت يد فالسارق رب الصوفية ، وإذا اجترح الفاحشة أثم ، فهو رب الصوفية وإذا ولغ لسان فى الأعراض الشريفة فالوالغ رب الصوفية . وهكذا كل من يقترف جريمة ، أو يروع الحق بباطله ، والفضيلة برذائله ، فهو فى الحقيقة رب خلاق عند الصوفية ! ! ولست أدرى أى إله هذا الذى تقطع يده ، ويرجم ، ويجـلد ، وتقطع أيديه وأرجله من خلاف . وينفى من الأرض ؟ ! أى إله هذا الذى يتدلى من مشافره ملايين الألسن ، وتطحن الأعراض فى شدقيه ملايين الضروس ، ويدب على الأرض فاتكا مدمرا بملايين الأرجل ؟ إنه الإله الذى يحرق الصوفية أرواحهم فى المحاريب ضراعة باسمه الـكريم ! ! ! وكنت بصدد الإشارة إلى أن ابن عربى بهذا يثبت أنه ممن يدينون بالجبر القاهر المطاق ، بيد أن خبيئته أخبث وأدنأ عهرا من هذا ، إنه يهدف إلى جعل الأمر فوضى وإباحية عربيدة المجون ، إلى الانتقاض على كل شرعة وقانون ونظام ، بل إلى شنها حربا طاحنة على الإسلام وحده ، فإنه مجد اليهودية بعبادة عجل السامرى ، والمسيحية بعبادة عيسى ، والمجوسية بعبادة النار ، والوثنية بعبادة الأصنام ، ثم التفت إلى المسلمين زاريا محقرا مبغضا ساخرا . لماذا ؟ ! لأنهم يعبدون ربا واحدا ، هو الله رب العالمين ! !

(٢) فى الأصل : مندوجة

(٣) ص ١٥١ — ١٥٢ فصوص الحـكم

(٤) فى الأصل : لا .

هو ؟ إلا أنه لابُدَّ من حكم لسان التفصيل ، لما ظهر من تفاضل الخلق فى العلوم ، حتى يقال : إن هذا أعلم من هذا مع أحدية العين [١] » .

زعمه أن التفاضل لا يستلزم التغاير

ثم قال : « فكل جزء من العالَم ، أى هو قابل لحقائق متفرقات العالَم كله ، فلا يقدح قولنا : إن زيداً دون عمرو فى العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو ، وتكون فى عمرو أكمل [وأعلم منه فى زيد] كما تفاضلت الأسماء الإلهية ، وليست غير الحق ، فهو تعالى — من حيث هو عالم — أعم فى التعلق من حيث ما هو مريد وقادر ، وهو هو ليس غيره [٢] ، فلا تعلمه هنا يا ولى ، وتجهله

(١) ص ١٥٣ فصوص

(٢) يشهد العقل والحس والوجدان أن بعض الخلق أفضل من بعض ، وليس هذا فى الإنسان فحسب ، بل كذلك فى الحيوان والجماد والنبات ، فالعالم أفضل من الجاهل ، والقادر أفضل من العاجز ، والمؤمن غير الكافر ، وفى إثبات التفاضل إثبات للغيرية ، وحكم بأن الأفضل ليس عين الفاضل المفضول ، فكيف إذن يكون الحق عين الخلق . فى حين أن الخلق يغاير بعضهم بعضا ؟ ! وهذه المغايرة . تقتضى ولا ريب ثبوت أن الخلق غير الحق . وهذا ينقض دين ابن عربى فى الوحدة . وقد أحس الزنديق بخطر هذه الشهادة العقلية الحسية الوجدانيـة على معتقده . فراح يكدح فى سبيل دفع هذا الخطر . زاعما أن هذا التفاضل لا يستلزم مطلقا . مغايرة الحق للخلق . ولا مغايرة الذات الإلهيـة لنفسها أو مظاهرها . فهو ليس تفاضـلا واقعا بين ذات وغيرها ، بل بين بعض صفات وأسماء هذه الذات ، وبين بعضها الآخر ، وهذا لا يستلزم إلا مغايرة اسم لاسم ، أو صفة لصفة ، لا ذات لذات ، ثم يفصل هذا بقوله كاستدلال على صدق معتقده : إن الأسماء ، أو الصفات الإلهية ، يفضل بعضها بعضها ، فاسمه — تعالى — العالم . أفضل من اسمه — سبحانه — المريد . وذا أفضل من اسمه : القادر . إذ العلم أفضل من الإرادة . وهما أفضل من القدرة . وهذا لشمول العلم وتعلقه بكل ما هو معلوم . سواء أكان أمرا وجوديا أم عدميا . موجودا بالقوة ، أم موجودا بالفعل . ممكن الوجود أم مستحيله =

هنا ، وتثبته هنا ، وتنفيه هنا ، إلا إن أثبته بالوجه الذى أثبت نفسه ، ونفيته عن كذا بالوجه الذى نفى نفسه ، كالآية الجـامعة للنفى والإثبات فى حقه حين قال : (ليس كمثله شىء) فنفى (وهو السميع البصير) فأثبت بصفة تعم كل سامع بصير

= ولا كذلك الإرادة . ثم إن الإرادة أسبق من القدرة . وبهذا كانت أفضل . ثم يستطرد فى تلبيسه قائلا : بيد أن هذا التفاضل لا يمـكن أبدا استلزام أن يكون الإله غير نفسه . بل لا يمـكن أن تحـكم إلا بأن العالم عين القـادر . عين المريد ومن هذا يثبت أن التفاضل لا يستلزم الغيرية أو التعدد . ثم ينتقل من هذا إلى ما يهدف إليه ، فيزعم أنه لمـا كانت الموجودات هى تعينات أسماء الذات الإلهيـة وصفاتها ، كان التفاضل الواقع بين الموجودات ،صورة للتفاضل الذى كان واقعاً بين الأسماء والصفات قبل تعينها فى صور الموجودات،وقد ثبت أن هذا التفاضل لا يستلزم غيرية ولا تعداد ، فيصدق القول : بأن الحق عين الخلق ، ويصـدق القول : بأن محمداً هو عين أبى جهل ، عين أبى لهب ، عين فرعون ، وبأن العالم عين الجاهل ، والمؤمن عين الـكافر ، والموحد عين المشرك ، لأن كل طرف من هذه المقـابلات ما هو إلا اسم إلهى تعين فى هذا الطرف ، ومنه يثبت — هكذا زعم الزنديق — أن العالم — رغم ما فيه من تفـاضل يشعر بالغيرية — ليس شيئاً آخر غير الحق ، بل هو عينه ، إذ ماهو إلا أسماء الله وصفاته التى تعينت فى صور هذا العـالم ، هذا هو مراد الزنديق ، وما لهثت من أجله أنفاسه ، ليثبت به قوله : « لا يقدح قولنا : إن زيداً دون عمرو فى العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو » ورغم ما فى هذا الهراء من تلبيس زنديقى ، فللعقل — أى عقل كان — أن يصرخ فى وجه ابن عربى بالحق : ما زلت أيهـا الزنديق فى حاجة — ولن تقضى لك والله هذه الحاجة أبداً — إلى إثبـات أصل زندقتك ، وهو أن هذه الموجودات هى تعينات أسماء الله . فقد بنيت هراءك المجوسى كله على هذا الأصل الذى يحسد بيت العنكبوت على قوته . وأقول : العقل وحده ، إذ يستطيع كل امرىء يفهم آية واحدة من القرآن أن يحكم على ابن عربى بالزندقة الفاجرة . ولـكن ماذا نفعل للـكبار الـكبار الذين يستظهرون ألف متن وحاشية ، والمصحف حتى علائم الوقف فيه !! يؤمنون بالزنديق ، ويكفرون بآيات الله ، ويقدسون فصوص الحـكم ، ويجحدون بالذكر الحـكيم !.

من حيوان ، وما ثم إلا حيوان ، إلا أنه بطَن فى الدنيا عن إدراك بعض الناس ، وظهر فى الآخرة لكل الناس ، فإنها الدار الحيوان ، وكذلك الدنيا ، إلا أن حياتها مستورة عن بعض العباد ، ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما يدر كونه[١] من حقائق العالَم فمن عم إدراكه ، كان الحق أظهر فى الحكم ممن ليس له ذلك العموم ، فلا تحجب بالتفاضل ، وتقول : لا يصح كلام من يقول : إن الخلق هوية الحق ، بعد ما أريتك التفاضل فى الأسماء الإلهية التى لا تشك أنت أنها [هى] الحق ، ومدلولها المسمى بها وليس إلا الله[٢] » .

الضال مهتد ، والكافر مؤمن

ثم قال : « نحن على الصراط المستقيم الذى الرب عليه ، لكون نواصينا فى يده ، وتستحيل مفارقتنا إياه ، فنحن معه بالتضْمين ، وهو معنا بالتصريح ، فإنه قال : (٤:٥٧ وهو معكم أينما كنتم) ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا فهو تعالى مع نفسه حيثما مشى بنا من صراطه، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم[٣] »

ثم قال فى فص حكمة وجودية فى كلمة داودية (٢٢:٢١ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وإن اتفقا ، فنحن نعلم أنهما لو اختلفا [تقديرا] لنفذ حكم أحدهما فالنافذ الحكم هو الإله على الحقيقة ، والذى لم ينفذ حكمه ليس بإله ، ومن هنا تعلم أن كل حكم ينفذ اليوم فى العالم أنه حكم الله ، وإن خالف الحكم المقرر فى الظاهر المسمَّى : شرعا ؛ إذ لا ينفذ حكمٌ إلا الله فى نفس الأمر ، لأن الأمر الواقع فى العالم إنما هو على حكم المشيئة[٤] » .

---

(١) فى الأصل : يذكرونه .

(٢) ص ١٥٣ فصوص الحكم .

(٣) ص ١٥٨ فصوص .

(٤) ص ١٥٦ فصوص .

لن يعذب كافر عند الصوفية

ثم قال : « ولما كان الأمر [فى نفسه] على ما قررناه ، لذلك كان مآل الخلق إلى السعادة على اختلاف أنواعها ، فعَبّر عن هذا المقام بأن الرحمة وسعت كل شىء ، وأنها سبقت الغضب الإلهى ، والسابق متقدم ، فإذا لحقه هذا الذى حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم ، فنالته الرحمة ، إذا لم يكن غيرها سبق ، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه ، لتحكم على من وصل [٢٧] إليها ، فإنها فى الغاية وقفت ، والكل سالك إلى الغاية ، فلابد من الوصول إليها ، فلابد من الوصول إلى الرحمة ، ومفادرة الغضب ، فيكون الحكم لها فى كل واصل إليها ، بحسب ما يعطيه حال الواصل إليها .

فمن يك ذا فهم يشاهد ما قلنا　　وإن لم يكن فهم ، فيأخذه عنا
فما ثَمّ إلا ما ذكرناه ، فاعتمد　　عليه ، وكن فى الحال فيه كما كنا
فمنه إليه ما تلونا عليكم　　ومنا إليكم ما وهبناكم منا[١]

وقال فى فص حكمة نفسية فى كلمة يونسية[٢] « وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم ولكن فى النار ، إذ لابد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب ، أن تكون برداً وسلاماً على من فيها ، وهذا نعيمهم ، فنعيم أهل النار — بعد استيفاء الحقوق — نعيم خليل الله حين ألقى فى النار ، فإنه عليه السلام تعذّب برؤيتها ، وبما تعود فى علمه ، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان ، وما علم مراد الله فيها ، ومنها فى حقه ، فبعد وجود هذه الآلام وجد برداً وسلاماً مع شهود الصورة اللونية فى حقه ، وهى نار فى عيون الناس ، فالشىء الواحد يتنوع فى عيون الناظرين . هكذا هو التجلى الإلهى[٣] » .

---

(١) ص ١١٦ فصوص .

(٢) فى الأصل : يوسفية .

(٣) ص ١٦٩ فصوص .

وقال فى فص حكمة غيبية فى كلمة أيوبية : « وقد ورد فى العلم الإلهى النبوى اتصاف الحق بالرضا والغضب ، و بالصفات ، والرضا مزيل للغضب ، والغضب مُزِيلٌ للرضا عن الْمَرْضِيِّ عنه ، والاعتدال : أن يتساوى الرضا والغضب ، فما غضب الغاضب على من غضب عليه ، وهو عنه راضٍ ، فقد اتصف بأحد الحكمين فى حقه ، وهو مَيْلٌ ، وإنما قلنا هذا لأجل من يرى أن أهل النار ، لا يزال غضب الله عليهم دائماً أبداً فى زعمه ، فمالهم حكم الرضا من [الله] فصح المقصود ، فإن كان — كما قلنا — مآل أهل النار إلى إزالة الآلام ، وإن سكنوا النار ، فذلك رضا ، فزال الغضب لزوال الآلام ، إذ عين الألم عين الغضب إن فهمت . فمن غضب ، فقد تأذى ، فلا يسعى فى انتقام المغضوب عليه بإيلامه إلا ليجد الغاضب الراحة بذلك ، فينتقل الألم الذى كان عنده إلى المغضوب عليه ، والحق إذا أفردته عن العالم يتعالى علواً كبيراً عن هذه الصفة على هذا الحد ، وإذا كان الحق هوية العالم ، فما ظهرت الأحكام كلها إلا فيه ومنه ، وهو قوله : (١١ : ١٢٣ وإليه يرجع الأمر كله) حقيقة وكشفاً[١] (فاعبده وتوكل عليه) حجابا وسترا[٢] . فليس فى الإمكان أبدع من هذا العالم[٣] ، لأنه على صورة

---

(١) يعنى بالأمر : كل مظاهر الوجود وأحكامه ، ويفترى بهذا على الله البهتان ، فيزعم أن مظاهر الخلق هى مظاهر الحق ، وأن ما نحكم به على مظاهر الوجود وصوره يجب أن نحكم به على الحق ، إذ هو عين تلك المظاهر ، فإذا قيل : إن فلانا يتألم من كذا ، أو يلتذ به ، فالمتألم عند الصوفية والملتذ هو الحق المتعين فى فلان هذا وإذا قلنا : إن فلانا آثم غوى ، كان هذا الحكم محكوما به فى الحقيقة على رب الصوفية ، لأنه هو عين هذا الآثم الغوى ، هذا تفسيره لقوله سبحانه : (إليه يرجع الأمر كله) ولذا عقبها بقوله : حقيقة وكشفاً .

(٢) الأمر بالعبادة يستلزم إثبات معبود وعابد ، ويصف ابن عربى الأمر بالعبادة بأنه ستر وحجاب ، إذ ما ثم عابد ومعبود ، فالعابد عين المعبود . ولذا عقب الآية بقوله : حجاباً وسترا .

(٣) لأنه يدين بأن العالم هو الله وصفاته وأسماؤه .

الرحمن أوجده الله تعالى ، أى ظهر وجوده تعالى بظهور العالم ، كما ظهر الإنسان بوجود الصورة الطبيعية ، فنحن صورته الظاهرة ، وهويته روح هذه الصورة المدبرة لها ، فما كان التدبير إلا فيه [كما لم يكن إلا منه] ، فهو : «الأول» بالمعنى ، «والآخر» بالصورة ، وهو «الظاهر» [٢٨] بتغير الأحكام والأحوال «والباطن» بالتدبير « وهو بكل شىء عليم » فهو على كل شىء شهيد »[١] .

الحق عندهم سار فى عناصر الطبيعة

وقال فى فص حكمة إيناسية فى كلمة إلياسية : « وكان إلياس الذى هو إدريس ، قد مُثِّل له انفلاق الجبل[٢] [المسمى] لبنان عن فرس من نار ، فلما [رآه] ركب عليه ، فسقطت[٣] عنه الشهوة ، فكان[٤] عقلا بلا شهوة ، فلم يبق له تَعَلُّقٌ بما تتعلق به الأغراض النفسية ، فكان الحق فيه[٥] منزَّها ، فكان على النصف من المعرفة بالله [فإن العقل إذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله] عن التنزيه[٦] ، لا على التشبيه ، وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلى كملت معرفته بالله ، فنزَّه فى موضع ، وشَبَّه فى موضع ، ورأى سريان الحق فى الصُّوَر الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا و يرى عين الحق عينها ، وهذه المعرفة التامة التى جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله ؛ وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها[٧] » .

رد العراقى على وحدة الأديان

قال الإمام زين الدين العراقى فى جواب السؤال المذكور قبل : « بتوحيد

---

(١) ص ١٧٢ فصوص .

(٢، ٣، ٤، ٥) فى الأصل : جبل — سقطت — وكان — فيها .

(٦) الصوفية حرب على العقل ، ويكفرون به كمصدر أو وسيلة من وسائل المعرفة ، إذ يحكم على أوهامهم الذوقية بالتناقض ، وأنها وليدة خرافة وأساطير .

(٧) ص ١٨١ فصوص .

إلياس عليه السلام بُعثت الرسلُ كلها ؛ لأن الملل كلها ، وما جاءت به الرسل — لم يختلفوا فى التوحيد والإقرار به ، وقد نزه الله تعالى نفسه عن الشبه بقوله تعالى (ليس كمثله شىء) وليت شعرى ما الفائدة لبعثة الرسل إذا كان من عبد شيئا من المخلوقات عابداً لله تعـالى ؟! وليت شعرى ماذا يقول هذا القائل ، فى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى نهيهم عن عبادة الأوثان و كسرها ؟ ! هل يقول : كانوا بعبادتها مصيبين عابدين لله ، وأنه ماحصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اتساع ، فأنكر عليهم ، كما قال فى حق هارون عليه السلام ، ولا شك أن الرسل كلهم متفقون فى التوحيد ، وكأنه إنما سكت عن ذلك خيفة من السيوف المحمدية ، فإن هذه المؤلفات التى كان يُسِرُّها إلى أصحابه ، و يسرها أصحابه إلى أصحابهم ، ولو كان حقاً لأظهروه على رؤوس الأشهاد » انتهى

الشرائع أوهام عند الصوفية

ثم قال ابن عربى : « فالوهم هو السلطان الأعظم فى هذه الصورة الكاملة الإنسانية ، و به جاءت الشرائع المنزلة ، فشبهت ونزهت : شبهت فى التنزيه بالوهم ، ونزَّهت فى التشبيه بالعقل ، فارتبط الكل بالكل ، فلم يمكن أن يخلو[1] تنزيه عن تشبيه ، ولا تشبيه عن تنزيه ، قال الله تعالى : ([ليس] كمثله شىء) فنزه وشبَّه (وهو السميع البصير) تشبيه ، وهى أعظم آية تنزيه نزلت ، ومع ذلك لم تخل عن تشبيه بالكاف ، فهو أعلم العلماء بنفسه ، وماعبر عن نفسه إلا بما ذكرناه[2] »

ليس لله وجود عند الصوفية

ثم قال — فى مثل ضربه للتشبيه فى التنزيه ، والتنزيه فى التشبيه : « مثل من يرى الحق فى النوم ، ولا ينكر هذا ، وأنه لا شك الحق عينه ، فيتبعه لوازم تلك الصورة ، وحقائقها التى تجلى فيها فى النوم ، ثم بعد ذلك يُعَبَّر[3] — أى

(١) فى الأصل : يخلق .

(٢) ص ١٨١ فصوص .

(٣) فى الأصل : تعبر .

يُجازُ ـ عنها إلى أمر آخر ، يقتضى التنزيه عقلا ، فإن كان الذى يعبرها ذا كشف وإيمان ، فلا يجوز عنها إلى تنزيه فقط ، بل يعطيها [٢٩] حقها[١] فى التنزيه ، ومما ظهرت فيه ، فالله على التحقيق عبارةٌ[٢] لمن فهم الإشارة[٣] »

الداعى عين المجيب

ثم قال : « ومن ذلك قوله تعالى : (٦٠:٤٠ ادعونى أستجب لكم) قال الله : (١٨٦:٢ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداعى إذا دعانى) إذ لا يكون مجيباً إلا إذا كان من يدعوه[٤] وإن كان عين الداعى عين المجيب ، فلا خلاف فى اختلاف الصور ، فهما صورتان بلا شك[٥] ، وتلك الصور كالأعضاء لزيد ، فمعلوم أن زيدا حقيقة واحدة شخصية ، وأن يده ليست صورة رجله ، ولا رأسه ولا عينه ، ولا حاجبه ، فهو الكثير بالصور الواحد بالعين كالإنسان بالعين واحد بلا شك ، ولا نشك أن عمراً ما هو زيد ، ولا خالد ، ولا جعفر ، وأن أشخاص هذه العين الواحدة لا تتناهى وجوداً ، فهو وإن كان واحد بالعين ، فهو كثير بالصور والأشخاص ، وقد علمت قطعاً ـ إن كنت مؤمنا ـ أن الحق عينه يتجلى يوم القيامة فى صورة ، فيُعْرَف ، ثم يتحول فى فى صورة ، فينكر ، ثم يتحول عنها فى صورة ، فيعرف ، وهو هو المتجلى ليس

---

(١) فى الأصل : من :

(٢) فى الأصل : عبادة .

(٣) ص ١٨٢ فصوص .

(٤) فى الأصل : غيره بعد كلمة يدعوه .

(٥) الأمر بالدعاء يقتضى الإثنينية والغيرية ، أعنى يستلزم وجود داع ومجيب ، لذا راح الزنديق يزعم أنها اثنينية وهمية ، وغيرية صورية ، فالداعى هو الله تعين فى صورة من يدعو ، والمجيب هو الله تعين فى صورة من يجيب ، فهما غيران فى الصورة ، واحد فى الحقيقة . ولذا يقول : الداعى عين المجيب ، وما إخال القارىء فى حاجة إلى البيان عما فى هذا من تخريف كافر .

غيره فى كل صورة . ومعلومٌ أن هـذه الصورة ما هى تلك الصورة الأخرى ، فـكأن العين الواحدة قامت مقام المرآة ، فإذا نظر الناظر فيها إلى صورة معتقده فى الله عرفه ، وأقرَّ به ، و إذا اتفق أن يرى فيها معتقد غيره أنكره ، كما يرى فى المرآة عين صورته وصورة غيره ، فالمرآة عين واحـدة ، والصور كثيرة فى عين الرائى ، وليس فى المرآة صورة منها جملة واحدة مع كون المرآة لهـا أثر فى الصور بوجه ، وما لها أثر بوجه[(١)] » .

ثم قال : « فإن كوشف على أن الطبيعة عين نَفَس الرحمن ، فقد أوتى خيراً كثيراً[(٢)] » .

قلت : و إلى هذا أومأ ابن الفارض بقوله :

ولا تحسبن الأمر عنى خارجا	فما ساد إلا داخل فى عبودتى[(٣)]
ولولاى لم يوجد وجود ، ولم يكن	شهود ، ولم تُعْهَد عهود بذمة
وفى عالم التركيب فى كل صورة	ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينتى
وضربى لك الأمثال منى مِنَّةٌ	عليك بشـأنى مرة بعـد مرة
تأمل مقامات السُّرُوجِىّ[(٤)] واعتبر	بتلوينه ، تحمل قبول مشورتى
وتدر[(٥)] التباس النفس بالحس باطنا	بمظهرها فى كل شكل وصورة
وشاهد إذا استجليتَ نفسك ما ترى	بغير مَراء فى المرائى[(٦)] الصقيلة[(٧)]

---

(١) ص ١٨٤ فصوص .

(٢) ص ١٨٧ فصوص .

(٣) فى الأصل : عبوتى .

(٤) اسم الشخص الذى بنى عليه الحريرى مقاماته .

(٥) فى الأصل : تدرى .

(٦) فى الأصل : المرآة .

(٧) يرد الشيخ الجليل ابن تيمية على هذا المثل الذى يمثل به ابن الفارض =

أغيرك فيها لاح ، أم أنت ناظر إليك بها عند انعكاس (١) الأشعة؟
وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه إليك بأكناف القصور المشيدة
أهل كان من ناجاك ثَمَّ سواك ، أم سمعت خطاباً عن صداك الصوت
وقل لى : من ألقى إليك علومه وقد ركدت منك الحواس بغفلة
وما كنت تدرى قبل يومك ماجرى بأمسك ، أو ماسوف يجرى بغدوة
فأصبحت ذا علم بأخبار من مضى [٣٠] وأسرار من يأتى مُدِلاًّ بخبرة
أتحسب من جاراك فى سنة الكرى سواك بأنواع العلوم الجليلة
وما هى إلا النفس عند اشتغالها بعالمها عن مظهر البشرية
تجلت لها (٢) بالغيب فى شكل عالم هَداها إلى فهم المعانى الغريبة
ولا تك مِمَّن طيَّشَتْهُ دروسه بحيث استقلت عقله واستفزَّت
فثَمَّ وراء النقل علم يَدُقُّ عن مدارك غايات العقول السليمة (٣)

= الوحدة بين الحق والخلق ، فيقول: «فلو قدر أن الإنسان يرى نفسه فى المرآة ، فالمرآة خارجة عن نفسه ، فرأى نفسه ، أومثال نفسه فى غيره ، والكون عندهم ليس فيه غير ولاسوى ، فليس هناك مظهر مخالف للظاهر ، ولامرآة مغايرة للرائى ، وهم يقولون : إن الكون مظاهر الحق ، فإن قالوا : المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة ، وإن قالوا : المظاهر هى الظاهر ، لم يكن قد ظهر شىء فى شىء ، ولا تجلى شىء فى شىء ، ولا ظهر شىء لشىء ، وكان قوله : « يعنى ابن الفارض » « ومشاهد إذا استجليت ... الخ » كلاما متناقضا ، لأن هنا مخاطبا ، ومخاطبا ، ومرآة تستجلى فيها الذات ، فهذه ثلاثة أعيان ، فإن كان الوجود واحدا بالعين ، بطل هذا الكلام ، وكل كلمة يقولونها تنقض من أصلهم » ص ٨٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل .

(١) فى الأصل : الانعكاس .

(٢) فى الأصل : لهم .

(٣) يقصد بالنقل نصوص الشرائع السماوية ، والصوفية لا يغضون شيئا فى الحياة بغضهم لما أوحى به الله سبحانه إلى رسله ، وإذا استشهد صوفى بآية أفسد =

تلقيتُه مني ، وعني أخـذته ونفسى كانت من عطائى مُمِدَّتى
ولا تك باللاهى عن اللهو جملة فَهَزْلُ الملاهى جِدُّ نفس مُجِدَّةِ

الحق عين كل معلوم عند الصوفية

ثم قال[1] فى فص حكمة إحسانية فى كلمة لقمانية ـ بعد أن ذكر أن من حكمته الملفوظة ، أنهـا إن تك مثقال حبة من خردل الآية ... وأن من حكمته المسكوبة[2] عموم المؤتى إليه ، لأنه لم يقل : يأت بها الله إليك ، أو إلى غيرك ، قال : « فنبه لقمان بما تكلم به ، وبما سكت عنه أن الحق عين كل معلوم ، لأن المعلوم أعم [من الشىء[3]] فهو أنكر النكرات ، ثم تمم الحكمة ، واستوفاها ؛

=معناها بأساطير زندقته. وإذا استشهد بحديث، فثق أنه موضوع، وضعته الصوفية منذ خلعت عنها اسم المجوسية ، وتسمت بهـذا الإسم الخلوب المكر والخديعة ، لتنفث سمومها الفتاكة ، وتعيث بزندقتها فى عقائد المسلمين فسـادا ، ولذا يقول ابن الفارض : لا تركن إلى الكتاب والسنة ، فليس فيهما أثارة من الحق ، ولا لمع من الهداية ، ولا إشراق من الحقيقة ، وتعال إلى أعلمك علما دقيقاً جليـلا يهيمن على الهدى والحق !!

وأقول : إذا كان علم ابن الفارض يدق عن مدارك العقـول المشرقة ، فمن للدراويش ؟ من للذين هم ليسوا بأقطاب ؟ ثم أليس أولئك الذين لا يعلمون علمه ، هم الله فى عرف زندقته ؟ أليس هذا معناه أن له علما يدق حتى عن الله سبحـانه ؟ ومعناه أن زندقته أبر بالحق والهدى من شرائع الله سبحانه ؟!

(١) أى : ابن عربى .

(٢) لعلها : المسكوت عنها ، فابن عربى يقول فى هذا الفص : « والحكمة قد تكون متلفظاً بها ، ومسكوتا عنها » .

(٣) يقول أبو البقاء فى كلياته : « الشىء هو لغة : ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ، فيشمل الموجود والمعدوم ممكنا ، أو محالا ، واصطلاحا : خاص بالموجود ـ خارجيا كان أو ذهنيا ـ والشىء أعم العام ، ويقع على الواجب والممكن والممتنع . نص على=

لتكون النشأة كاملة فيها ، فقال : « إن الله لطيف » فمن لطافته ولطفه ، أنه فى الشىء المسمى كذا ، المحدود بكذا ، عين ذلك الشىء ، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ[١] ، والاصطلاح ، فيقال : هـذا سماء ، وأرض ، وصخرة ، وشجرة ، وحيوان ، وملك ، ورزق ، وطعام ، والعين واحدة من كل شىء[٢] ،

= ذلك سيبويه ، حيث قال فى كتابه : الشىء يقع على كل ما أخبر عنه ، ومن جعل الشىء مرادفا للموجود ، حصر المـاهية بالموجود ، ومن جعله أعم عمم الموجود والمعدوم » .

ولـكن ابن عربى يفسر الشىء بأنه المتحقق بالفعل ، وعلى هـذا ، فالمعلوم أعم منه ، إذ المعلوم عنده يتناول الموجودات : عينيـة ، أو علمية ممكنة ، أو ممتنعة ، وابن عربى يزعم أن الحق عين كل معلوم ، وهذا معناه أن إلهه عين الممكن ، وعين الممتنع ، عين الوجود الخارجى ، وعين الوجود الذهنى ، عين الوهم ، وعين الحقيقة عين الباطل وعين الحق ، عين الغى والضلال ، وعين الرشد والهدى ، عين العدم والفناء ، وعين الوجود والبقاء . هذا هو إله الصوفية الأعظم !!

(١) المتواطىء هو الكلى إن استوت أفراده فيه ، كالإنسان بالنسبة إلى أفراده فالإنسانية فى محمد مثلا عينها فى بكر ، عينها فى خالد ، عينهـا فى كل فرد ، فهو يطلق على كل فرد فرد بمعنى واحـد لا يزيد ، ولا ينقص فى فرد عنه فى فرد آخر . وكذلك اسم الله سبحانه — هكذا يفترى الزنديق الآثم ابن عربى — يقال على كل معلوم بالتواطؤ . يقـال على الممكن والممتنع ، على الموجود والمعدوم ، على الوجود الذهنى ، وعلى الوجود الخارجى ، على الإنسان والحيوان والجماد ، والميـكروبات ، والرمم !! هذا دين من لا يزال بعض كبـار الشيوخ يتخذونه لهم قدوة وإماما ، ويثورون ثورة الدنس والرذيلة على الطهر والفضيلة ، إذا شاء كاتب أن يصفع باطله بيد الحق القاهرة القوية !!

(٢) يزعم أن السماء عين الأرض ، وأن الصخرة عين الشجرة ، وأن الجماد عين الحيوان ، يؤمن بأن كل شىء من هذه الأشياء عين الآخر ، ويؤمن بأن الله سبحانه عين كل شىء ، فسمه بأى اسم شئت من أسماء هذه الأشيـاء ، فلن تعدو الحق عند الزنديق ، سمه أرضا ، أو صخرة ، أو شجرة ، أو حيوانا ، أو جمادا ، =

وفيه كما تقول الأشاعرة[١] : أن العالم كله متماثل بالجوهر ، فهو جوهر واحد[٢] فهو عين قولنا : [العين واحدة] ثم قالت : ويختلف بالأعراض ، وهو عين قولنا

= أو حشرة ، فالكل عينه ؛ وهويتها هويته ، وماهيتها ماهيته ، ووجودها عين وجوده ، وأسماؤها أسماؤه !! أرأيت أية مادية صماء يوغل ابن عربى فى الإيمان بها إذ يرى ربه صخرا وجمادا ؟.

فأين هى الروحانية فى التصوف ياأحلاس المجوسية ، وياعبدة الخنازير ؟!

(١) مدرسة كلامية ابتدعت مذهبا كلاميا ملفقا ، فهو أمشاج من الاعتزال . والسلفية ، والجبرية ، والفلسفة اليونانية القديمة قبل سقراط ، زعيمها : أبو الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٣٠ ه وأشهر زعمائها بعده الباقلانى والجوينى ، والغزالى . راجع ما كتبته عن هذه المدرسة فى كتابى دعوة الحق

(٢) قال السعد فى المقاصد : « أثبت المتكلمون أن أجزاء الجسم هى الجواهر الفردة ، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف ، ليثبتوا أن الأجسام متحدة بالحقيقة ، وإنما الاختلاف بالعرض ، وهذا أصل ينبنى عليه كثير من قواعد الإسلام «تأمل!!» كإثبات القادر المختار ، وكثير من أحوال النبوة والمعاد » ص ٣١٨ ج ١ . وعلى الرغم مما هول به الأشاعرة حول أسطورة الجوهر الفرد التى استمدوها من الفلسفة اليونانية القديمة ، وبخاصة من ديمقريط ، فإن قولهم لا ينتسب إلى الصوفية فى الوحدة برحم ، فالأشاعرة يقولون بتماثل الجواهر الفردة فى الأجسام . أما الصوفية فيدينون ، لا بالتماثل ، بل بالوحدة التامة بين الحق والخلق ، ثم إن الأشاعرة يدينون بوجودين : وجود الله ، ووجود العالم ، الأول قديم ، والثانى حادث ، أما الصوفية فيدينون بوجود واحد تردد بين الإطلاق والتقييد ، وجود يجمع الخالق بالخلق فى وحدة تامة ، الأشاعرة يؤمنون بأن الله هو الخالق ، وأن العالم هو المخلوق ، أما الصوفية ، فيكفرون بأن الله خالق ، إذ الحق والخالق عندهم حقيقة واحدة ، وإليك ما رد به العلامة المقبلى على ما نسبه ابن عربى إلى الأشاعرة هنا ، وهو قولهم بوحدة الجوهر : « وقد غالط فى كلامه هذا أو غلط ، وذلك بقوله : فهو جوهر واحد فإنه ليس من كلام الأشاعرة ، ولا غيرهم من المتكلمين ، ألا ترى إلى قولهم : متماثل ؟! وهو — أى ابن عربى — قد أحال التماثل وأحال الشركة لاتحاد العين » العلم الشامخ ص ٤٣٧

ويختلف ، ويتكثر بالصور والنِّسب حتى يتميز ، فيقال : هذا ليس هذا من حيث صورته ، أو عرَضه ، أو مزاجه كيف شئت ، فقل : وهذا عين هذا من حيث جوهره ، ولهذا تؤخذ عين الجوهر فى حد كل صورة ، أو مزاج ، فنقول نحن : إنه ليس سوى الحق ، ويظن المتكلم (١) أن مسمَّى الجوهر الفرد — وإن كان حقاً — ماهو عين الحق الذى يطلقه أهل الكشف والتجلى فهذا حكمة كونه : لطيفاً (٢) ، ثم نعت ، فقال : خبيراً ، أى عالما عن اختبار (٣) ، وهو قوله : ولنبلونَّكم حتى نعلم ، وهذا هو علم الأذواق ، فجعل الحق نفسَه — مع علمه بما هو الآمر عليه — مستفيداً علما ، ولا نقدر (٤) على إنكار ما نص الحق عليه [فى حق نفسه] ، ففرق تعالى بين علم الذوق والعلم المطلَق ، فعلم الذوق مُقَيَّد بالقوى وقد قال عن نفسه : إنه عين قوى عبده فى قوله : كنت سمعه . وهو قوة من قوى العبد . و بصرَه ، وهو قوة من قوى العبد ولسانه ، وهو عضو من أعضاء العبد ، ورجله ، ويده ، فما اقتصر فى التعريف على القوى فحسب ، حتى ذكر الأعضاء ، وليس العبدُ بغير لهذه (٥) الأعضاء والقوى ، فعين مسمَّى العبد هو الحق ، لا عين العبد هو السيد (٦) ، فإن النسب متميزة لذاتها (٧) وليس المنسوب إليه متميزاً [٣١] فإنه ليس ثمَّ سوى عينه فى جميع النسب ، فهو عين واحدة ذات نِسَبٍ و إضافات وصفات ، فمِنْ تمام حكمة لقمان فى تعليمه ابنَه ماجاء به فى (٨)

---

(١) يقصد القائلين بالجوهر الفرد من الأشاعرة

(٢) يعنى اسم الله سبحانه فى قوله : (٣٣ : ٣٤ إن الله كان لطيفا خبيرا)

(٣) ينسب العلم الاختبارى إلى الله ، بيد أنه يفسره بأنه العلم الذوقى ، وهذا عنده مقيد بالقوى التى تفيده وصادر عنها ، والزنديق يفترى أن الله سبحانه عين قوى العبد وأعضائه ، وعلم العبد مستمد من هذه القوى والأعضاء فعلم الحق عنده هو ما يعلمه العبد عن طريق قواه وأعضائه ، إذ ليس الحق شيئا سوى هذا العبد !!

(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) فى الأصل : يقدر — غير هذه — اليد — لذواتها — من

هذه الآية من[1] هذين الإسمين الإلهيين[2] » .

وقال فى فص حكمة إمامية فى كلمة هارونية : « اعلم أن وجود هٰرون كان من حضرة الرَّحَمُوت[3] » ثم ذكر غضب موسى عليه السلام، وأخذَه بلحيته، ثم قال « وسبب ذلك عدم التَّثَبُّتِ فى النظر فيما كان فى يديه بين الألواح ، التى ألقاها من يده ، فلو نظر فيها نظرة تثبت لوجد فيها الهدى والرحمة ، فالهدى بيان ماوقع من الأمر الذى أغضبه مما [هو] هٰرون برىء منه ، والرحمة بأخيه[4] ، فكان لا يأخذ بلحيته بمرأى من قومه مع كِبَرِه ، وأنه أَسَنُّ منه[5] » .

تمجيد الصوفية لعبادة العجل

ثم قال : « وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هرون ، لأنه علم ما عَبَدَهُ أصحابُ العجل ، لعلمه بأن الله قد قضى ألاَّ نعبد إلا إياه ، وما حكم الله بشىء إلا وقع ، فكان عَتْبُ موسى أخاه هرون ؛ لما وقع [الأمر] فى[5] إنكاره وعدم اتساعه ، فإن العارف من يرى الحق فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء[6] » .

---

(١) فى الأصل : فى

(٢) ص ١٨٩ فصوص

(٣) ص ١٩١ فصوص

(٤) فى الأصل : لأخيه

(٥) ص ١٩١ فصوص

(٥) فى الأصل : من

(٦) ص ١٩٢ فصوص ، وقد خشى الزنديق من تعبيره الأول : «فى كل شىء» أن يتهم بأنه حلولى ، لإفادة فى معنى الظرفية ، أو أن يظن أخذ أن فى كلامه مجازا تقديره : يرى أثر قدرة الله فى كل شىء . خشى هذا وذاك فعقبه بنص قاطع الدلالة على معتقده إذ قال : بل يراه عين كل شىء ، ليؤكد لك إيمانه بوحدة الوجود المادية والروحية .

بعض ما كفَّر به العراقي ابن عربي

قال الشيخ زين الدين العراقى فى جواب السؤال المذكور : « هذا الكلام كفر من قائله من وجوه :

أحدها : أنه نسب موسى عليه السلام إلى رضاه بعبادة قومه للعجل .

الثانى : استدلاله بقوله تعالى : (١٧ : ٢٣ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) على أنه قدَّر (١) أن لا يُعْبَدَ إلا هو ، وأن عابد الصنم عابد له ، الثالث : أن موسى

---

(١) يفسر الزنديق قضى بقدر وحكم ، ثم يستطرد فيقول : وكل ما قدره الله ، أو حكم به فلا بد من وقوعه ، ومما وقع عبادة العجل وعبادة الصنم ، والنار والكواكب وغيرها ، وهذا دليل على أن عبادة هذه الأشياء حكم إلهى قدره الله فوقع ، ولما كان الله سبحانه لا يمكن أن يحكم بعبادة غيره ، بدليل : (لا تعبدوا إلا إياه) كان هذا دليلا على أن تلك المعبودات ليست شيئا غير الله سبحانه ، بل هى عينه ، وعلى أن عابديها لم يعبدوا إلا الله ، هذا ما يهدف إليه ابن عربى من تفسيره لقضى : بقدر وحكم ، وإليك ما يرد به الشيخ الجليل ابن تيمية على تلبيس ابن عربى وبهتانه هذا : « احتج الملحدون بقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) قالوا : وما قضى الله شيئا إلا وقع ، وهذا هو الإلحاد فى آيات الله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على الله ، فإن قضى هنا ليست بمعنى القدر والتكوين بإجماع المسلمين ، بل وبإجماع العقلاء ، حتى يقال : ما قدر الله شيئا إلا وقع ، وإنما هى بمعنى : أمر . وما أمر الله به ، فقد يكون ، وقد لا يكون ، فتدبر هذا التحريف ، وكذلك قوله : ما حكم الله بشىء إلا وقع كلام مجمل ، فإن الحكم يكون بمعنى الأمر الدينى ، وهو الأحكام الشرعية ، كقوله : (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الأنعام) الآية . وكقوله : (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والعقل ، كقوله : (لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى ، أو يحكم الله لى) وقوله : (قل : رب احكم بالحق) ولهذا كان بعض السلف يقرأون (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) وذكروا أنها كذلك فى بعض المصاحف ، ولهذا قال فى سياق الكلام : وبالوالدين إحسانا ، وساق أمره =

عليه السلام عتب على أخيه هرون عليهما السلام إنكاره لما وقع ، وهذا كذب على موسى عليه السلام، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبه لعبادتهم العجل ، الرابع : أن العارف يرى الحق فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء ، فجعل العجل عينَ الإله المعبود ، فليعجب السامع لمثل هذه الجرأة التى تصدر ممن فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » .

آيات تشهد بكفر ابن عربى

ثم ساق من الآيات[١] التى كذب بها فى هذه المقالة[٢] قوله تعالى : (٢٠:٩٢ ، ٩٣ ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعنى) وقوله : (٧ : ١٥٠ بئسما خلفتمونى من بعدى) وقوله : (٧:١٤٨ [واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خُوَارٌ ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا] اتخذوه ، وكانوا ظالمين[٣]) وقوله : (٧:١٥٢ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ، وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين) . وقوله :

ووصاياه إلى أن قال : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر) فختم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ، ليس هو إخبارا أنه ما عبد أحد إلا الله ، وأن الله قدر ذلك وكونه ، وكيف وقد قال : (ولا تجعل مع الله إلها آخر) وعندهم ليس فى الوجود شىء يجعل إلها آخر) فأى شىء عبد فهو نفس الإله ليس آخر غيره » ص ٨٨ ج ٤ مجموعة الرسائل والمسائل .

(١) أى العراقى .

(٢) يقصد ما نسبه ابن عربى إلى موسى عليه السلام من الرضا بعبادة العجل ، ونسبته الجهل إلى هرون باستنكاره لعبادة العجل ، وتصحيحه لعبادة العجل ، وزعمه أنها عبادة لله ، إذ العجل ليس شيئا غير الإله المعبود

(٣) استشهد العراقى بالآية مبتورة ، فذكرتها بتمامها لأنها نص فى الحكم ، ووضعت ما لم يستشهد به العراقى بين هذين [ ]

(٧ : ١٤٩ ولما سُقِط فى أيديهم ، ورأوا أنهم قـد ضلوا ، قالو : لئن لم يرحمنا ربنا ، ويغفر لنا ، لنكونَنَّ من الخاسرين) .

شرك الصوفية أخبث الشرك

ثم قال[1] : فجاء هذا المخالف لله ، ولرسوله ولجميع المؤمنين ، فصوَّب فعلهم ، وصرح بأنهم من العارفين بقوله : إن العارف من يرى الحق فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء ، ولا شك أن شرك قائل هذا أشد من شرك اليهود والنصارى فإن أولئك عبدوا عبداً من عباد الله المقربين ، وهذا يرى أن عبادة العجل والصنم عين عبادة الله ، بل يؤدى كلامه إلى أن يرى الحق عين الكلب والخنزير ، وعين العذرة ، وقد أخبرنى بعد الصادقين من فضلاء أهل [٣٢] العلم أنه رأى شخصاً مِمَّن ينتحل هذه المقالة القبيحة بثغر الإسكندرية ، وأن ذلك الشخص قال له : إن الله تعالى هو عين كل شىء ، فمر بهما حمار ، فقال[2] : وهذا الحمار؟! فقال[3] : وهذا الحمار ؛ فَرَوْث الحمار من دبره !!! فقال[4] له : وهذا الروث ؟! فقال[5] : وهذا الروث !! فنسأل الله السلامة والتوفيق[6] .

---

(١) أى العراقى

(٢) ، (٤) يعنى العالم الفاضل

(٣) ، (٥) أى الصوفى

(٦) ذكر الإمام ابن تيمية الصدوق مثل هذه القصة . فقال : « مر شيخان — منهم التلمسانى والشيرازى على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم ، فقال الشيرازى للتلمسانى : هذا « يشير إلى جثة الكلب الميت الأجرب » أيضا هو ذات الله ؟ ! فقال : وهل ثم شىء خارج عنها ؟ ! نعم : الجميع ذاته » جـ ١ ص ١٤٥ ، مجموعة الرسائل الكبرى ، ص ١٠٥ مجموعة الرسائل والمسائل ، وليس هـذا بمستغرب ممن يدينون بأن الله سبحانه عين كل شىء ، فالروث شىء ، والجيفة المنتنة شىء ، والخنزير شىء ، والبغى الهلوك شىء ، والأحمق المأفون شىء ، وحسب الصوفية أن تكون هذه بعض أربابهم وآلهتهم ! !

تعليلهم لإنكار موسى على السامرى

قال ابن عربى : وكان موسى يربى هرون عليهما السلام تربية علم ، وإن كان أصغر منه فى السن ، ولذلك لما قال له هرون ما قال ، رجع إلى السامرى ، فقال له : (٢٠ : ٩٥ فما خَطْبُكَ يا سامرى ؟) يعنى فيما صنعتَ من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص ، وصنعك هذا الشبح من حلى القوم ، حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم [١] ، وليس للصور بقاء ، فلا بد من ذهاب صورة العجل لو لم يستعجل موسى بحرقه ، فغلبت عليه الغيرة ، فحرّقه ، ثم نسف رماد تلك الصورة فى اليم [نسفا] ، وقال له : أنظر إلى إلهك ، فسماه [٢] . إلها بطريق التنبيه ، للتعليم ؛ لما علم أنه [٣] بعض المجالى الإلهية (لَأُحَرِّقَنَّه) فإن حيوانية الإنسان لها التصرف من حيوانية الحيوان ، لكون الله سخّرها للإنسان ، ولا سيما وأصله ليس من حيون ، فكان أعظم فى التسخير [٤] » .

---

(١) يريد الزنديق بهذا تصويب عبادة العجل ، فيزعم أن السامرى لم يخطىء إلا فى أنه فهم أن الذات الإلهية تعينت فى العجل وحده ، فدعا قومه إلى عبادته لهذا ، على حين أن كل شىء ـ لا العجل وحده ـ هو الله ! ! فلو أن السامرى كان عارفا مكملا لأمر قومه بعبادة كل شىء مع عبادة العجل ! ! بيد أن السامرى عند ابن عربى أعرف بالحقيقة من هرون ، إذ علم ـ وهرون جهل ـ أن العجل إله حق يجب أن يعبد ، لأنه مجلى إلهى ! ! ثم يفسر الزنديق قول موسى للسامرى : ما خطبك يا سامرى . بما بيانه : لم دعوت قومى يا سامرى إلى عبادة العجل وحده وأنت تعلم أنه ليس وحده كل تعينات الذات ، بل واحدا منها ، وتعلم أن كل شىء هو الله ؟ ! لم لم تدعهم يا سامرى إلى الحق ، فيعبدوا كل شىء ، لا العجل وحده ؟ هذا هو دين الزنديق يا شيوخ الطرق ! !

(٢) ، (٣) الضمير فيهما راجع إلى عجل السامرى

(٤) ص ١٩٢ فصوص

ثم قرر[١] أمر التسخير ، وأن منه ما هو بالمال ، ومنه ما هو بالحال ، وأن ما هو بالحال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام فى مصالحه ، وتسخير الرعايا للملك بقيامه فى مصالحهم ـ قال . « وهذا كله تسخير بالحال من الرعايا يُسَخّرون [فى ذلك] مليكهم ، و يسمى على الحقيقة تسخير المرتبة ، فالمرتبة حكمت عليه بذلك ، فالعالم كله يُسَخِّر بالحال من لا يمكن أن يُطْلَق عليه إسم مُسَخَّر . قال الله تعالى : (٥٥ : ٢٩ كل يوم هو [فى] شأن) فكان عدم قوة إرداع هرون بالفعل أن ينفذ فى أصحاب العجل بالتسليط على العجل ، كما سُلِّط موسى [عليه] حكمة من الله ظاهرة فى الوجود ؛ ليعبد فى كل صورة[٢] ، و إن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك ، فما ذهبت إلا بعد ما تَلَبَّسَتْ عند عابدها بالألوهية ، ولهذا ما بقى نوع من الأنواع إلا وعُبد ، و إما عبادة تَأَلُّه ، و إما عبادة تسخير ، فلا بد من ذلك لمن عقل ، وما عُبِدَ شىء من العالم إلا بعد التَّلَبُّس بالرفعة عند العابد ، والظهور بالدرجة فى قلبه ، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ، ولم يقل : رفيع الدرجة ، فكَثّر الدرجات فى عين واحدة ، فإنه قضى ، أن لا يُعْبَدَ إلا إياه فى درجات كثيرة مختلفة ، أعطت كل درجة مجلى إلهيا عُبِدَ فيها .

الهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبِدَ فيه ، وأعلاه الهوى ، كما قال : (٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟!) وهو أعظم معبود ، فإنه لا يُعْبَد شىء إلا بالله ، ولا يُعْبَد هو إلا بذاته[٣] » ثم قال : « والعارف المكمّل من رآه كل معبود مجلى للحق يُعبَد

---

(١) أى ابن عربى

(٢) يفترى على الله أنه يسخر الناس ليعبدوه فى كل صورة ، أى ليعبد كل إنسان نفسه وغيره من جماد وحيوان فإله الصوفية عين كل كائن ، وعين كل شهوة وعين كل جريمة . وعين كل فاحشة

(٣) ص ١٩٤ فصوص . وبهذا يوقن القارىء أننا لم نتجن على الصوفية ، فيما =

فيه ، ولذلك سموه كلهم : إلها مع إسمه الخاص بحجر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو إنسان ، أو ملك ، أو كوكب(١)

وحدة الأديان عند ابن الفارض

قلت : وإلى هذا [٣٣] أشار ابن الفارض بقوله :

وبى حانة الخمار عين طليعة(٢) فبى مجلس الأذكار سَمْعُ مطالع

وإن حُلّ بالإقرار بى ، فهى حلّت وماعقد الزّنّار(٣) حكمًا سوى يدى

فما بار بالإنجيل هيكل بيعة وإن نار بالتنزيل محراب مسجد

يناجى بهـا الأحبار فى كل ليلة وأسفار توراة الكليم لقومـه

فلا تعْدُ بالإنكار بالعصبية وإن خرّ للأحجار فى البُدِّ عاكف

وما راغت الأفكار من(٥) كل نحلة فما زاغت الأبصار من(٤) كل ملة

وما احتار مَنْ للشمس عن غرة صبا(٦)

وإشراقها من نور إسفار غرّتى

وإن عبد النارَ المجوس وما انطفت

كما جاء فى الأخبار فى(٧) ألف حجة

= ذكرناه عنهم ،فها هو شيخهم الأكبر يدعوهم فى تلظى شهواته الفواجر ، إلى عبادة الهوى ! ! ويؤكد لهم أنه الرب الأعظم الذى اقترفه لهم هواه الصوفى ! ! وهل الهوى العصوف سوى الشهوات العرابيد ، والفسوق الغوى ، والفواحش اليهم النزوات ؟

(١) ص ١٩٥ فصوص . وهذا نص صريح على دين الزنديق فى وحدة الوجود ووحده الأديان

(٢) (٤) (٥) فى الأصل : طليعق – فى – فى

(٣) ما على وسط النصارى والمجوس « القاموس »

(٦) مال

(٧) فى الأصل : من .

فما عبدوا غيرى[1] ، وإن كان قصدهم
سـواى وإن لم يعقدوا عقد نيتى
رأوا ضـوء نارى مرة ، فتوهمو
ه ناراً ، فضلوا فى المدى بالأشِمَّة

الإله الصوفى مجلى صور العالم

وقال[2] فى فص حكمة علوية فى كلمة موسوية : « وجود الحق كانت الكثرة له ، وتعداد الأسماء أنه كذا ، وكذا بما ظهر عنه من العالم الذى يطلب بنشأته حقائق الأسماء الإلهية ، فثبت[3] به وبخالقه[4] أحدية الكثرة ، وقد كان أَحَدِىّ العين من حيث ذاته ، كالجوهر الهيولانى[5] ، أَحَدِىّ العين من حيث ذاته كثير بالصور الظاهرة فيه التى هو حامل لها بذاته ، كذلك الحق بما ظهر منه من صور التّجلِّى ، فكان مَجْلَى صور العالم مع الأحدية المعقولة[6] » .

حكم ابن عربى بإيمان فرعون ونجاته

ثم ذكر أخذ فرعون لتابوت موسى عليه السلام ، وأنه أراد قتله ، وأن امرأته رضى الله عنها قالت : (قرة عين لى ، ولك) فبه قرّت عينها بالكمال الذى

---

(١) يحكم سلطان الزنادقة بأن أولئك جميعا ، وهم المجوس ، والوثنيون ، واليهود ، والنصارى مؤمنون موحدون ، لم يعبدوا غير الله ، إذ كل ما ـ أو من ـ عبدوه ليس شيئا غير الله

(٢) أى ابن عربى

(٣) ، (٤) فى الأصل : فثبتت ـ ويخالفه

(٥) الجوهر الفرد ، أو الذرة ، أو الجزء الذى لا يتجزأ

(٦) ص ٢٠٠ فصوص

حصل لها ، كما قلنا[١] . قال : « وكان قرة عين لفرعون[٢] بالإيمان الذى أعطاه الله عند الغرق ، فقبضه طاهراً مطهرا ، ليس فيه شيء من الخَبَثِ ؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام ، والإسلام يجب ماقبله ، وجعله آية على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء ، حتى لا ييأس أحد من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الـكافرون[٣] .

---

(١) فى الأصل : كما شهد لهـا به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهو كما أثبته فى الفصوص

(٢) بهامش الأصـل ورد ما يأتى : « وفى التنزيل قالت امرأة فرعون (قرة عين لى ولك) إلا ولى « كذا » سمعه فرعون ، قال : قرة عين لك ، وأمالى ، فلا . وفى الحديث : « والذى يحلف به لو أقر فرعون بأنه يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله عز وجل به ، كما هداها ولـكن الله سبحانه حرمه ذلك » ـ كذا فى بعض التفاسير » .

وأقول : الذى فى تفسير ابن كثير : « فأتت ـ أى امرأة فرعون ـ فقالت : قرة عين لى ولك ، فقال فرعون : يكون لك ، فأما لى ، فلا حاجة لى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى يحلف به ، لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها . ولـكن حرمه ذلك » ثم قال ابن كثير : « وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما ممـا أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار ، أو غيره » وياويل المسلمين من كعب الأحبار ، والـكعوب الـكثيرين من أمثاله اليوم ! !

(٣) ص ٢٠١ فصوص . وقد جاء بهامش الأصل « أخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ـ لما أغرق الفرعونى : قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، قال جبريل : يامحمد ، فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة» أقول : الحديث رواه كذلك أحمد عن ابن عباس ، ونصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنه إسرائيل ـ قال : قال لى جبريل : لو رأيتنى ، وقد أخذت هن حال البحر فدسسته فى فيه مخافة أن=

رد هذه الفرية

هذا نصه بحروفه مع العلم الضرورى لكل من شَمّ رائحة العلم من المسلمين وغيرهم أن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس ، وتصريح الله تعالى فى غير آية من كتابه العزيز بأنه لا ينفع أحداً إيمانه عند ذلك[١] ، وأن ذلك سنة الله التى قد خلت ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وقوله فى دعاء موسى عليه السلام (١٠ : ٨٨ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) مع قوله تعالى . (١٠ : ٨٩ قد أجيبت دعوتكما) وقوله تعالى مُنْكِراً عليه[٢] : (١٠ : ٩١ الآن وقد عصيتَ قبلُ ، وكنتَ من المفسدين) وقوله : (٢٣ : ٤٨ فكذبوهما ، فكانوا من المهلكين) [٣٤] وقوله تعالى : (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لَعَالٍ فى الأرض و إنه لمن المسرفين) ، (٤٠ : ٤٣ وأن المسرفين هم أصحاب النار) المنتج[٣] قطعاً أن فرعون من أصحاب النار. وأما السنة ، فقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما ، فقال : « من حافظ عليها كانت

= تناله الرحمة» ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذى : حديث حسن . وانظر ابن كثير فى تفسير الآية

(١) ورد بهامش الأصل ما يأتى : « وفى ذلك قوله تعالى : (٦ : ١٥٨ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا ، قل : انتظروا . إنا منتظرون) . . والآية فى هامش الأصل مبتورة الكلمات .

(٢) أى على فرعون إيمانه حين أدركه الغرق

(٣) فاعل المنتج ضمير يعود على محذوف تقديره : القياس ، فالمؤلف طوى فى كلامه قياسا منطقيا من الشكل الأول صورته : فرعون مسرف ، كل مسرف من أصحاب النار ، وهذا ينتج قطعا : فرعون من أصحاب النار ، دليل القضية الصغرى قوله تعالى (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين) ودليل الكبرى (٤٠ : ٤٣ وأن المسرفين هم أصحاب النار)

له نوراً و برهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ، ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان ، وقارون ، وأبيّ بن خلف » قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد جيد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وابن ماجة صحيحه ، وقال الإمام أبو العباس ابن تيمية فى الفتوى التى أجاب فيها الشيخ سيف الدين بن عبد المطلب بن بليان السعودى : « ويكفيك معرفة بكفرهم — يعنى ابن عربى وأتباعه — أن أخف أقوالهم : أن فرعون مات مؤمنا ، وقد علم بالاضطرار عن دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أن فرعون من أكفر الخلق بالله .

سؤال فرعون وجواب موسى

ثم قال ابن عربى : « وهنا سرّ كبير ، فإنه — أى موسى عليه السلام أجاب بالفعل لمن سأله عن الحد الذاتى [1] — أى بقوله : وما رب العالمين ، فجعل الحد

---

(١) الحد الذاتى هو أتم أقسام التعريف ، إذ يتركب من الذاتيات المشتركة ، والذاتيات الخاصة ، أو كما يعبر المناطقة : من الجنس والفصل القريبين ، وبهذا الحد تعرف ماهية الشىء وحقيقته ، كما إذا أردنا تعريف المربع ، فإنا نقول : هو شكل رباعى أضلاعه متساوية ، وزواياه قائمة . وابن عربى فى حديثه عن المحاورة بين موسى عليه السلام ، وبين فرعون ، يقول : إن فرعون سأل موسى عن الحد الذاتى لله ، أى عن حقيقته وماهيته . وهذا صحيح . فالسؤال بـ « ما » سؤال عن الماهية . بيد أن ابن عربى — وقد ذكر طرفا من حق — بنى عليه باطلا ، بما نسبه زورا إلى موسى فى جوابه عن سؤال فرعون ، وقبل أن نبين لله هذا الذى بهت به الزنديق نبى الله ، نعرض عليك ما فسر به الزمخشرى سؤال فرعون وجواب موسى ، فقد أجاد الزمخشرى القول فى نباغة من الفهم : « وهذا السؤال « يعنى سؤال فرعون لموسى بقوله : ما رب العالمين » لا يخلو : إما أن يريد به : أى شىء هو من الأشياء التى شوهدت ، وعرفت أجناسها ؟ ! فأجاب — أى موسى — بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ، ليعرفه أنه ليس بشىء مما شوهد وعرف من =

الذاتى عين إضافته إلى ماظهر به من صور العالم ، أو ماظهر فيه من صور العالم ، فكأنه قال فى جواب قوله : ومارب العالمين . قال : الذى تظهر فيه صورة

= الأجرام والأعراض، وأنه شىء مخالف لجميع الأشياء ، ليس كمثله شىء ، وإما أن يريد به — أى بسؤاله — أى شىء هو على الإطلاق ؟ ! تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هى ؟ فأجاب بأن الذى إليه سبيل — وهو الكافى فى معرفته — معرفة ثباته بصفاته ، استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك ، وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التى هى فوق فطر العقول ، فتفتيش عما لا سبيل إليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق ، والذى يليق بحال فرعون ، ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه ، لادعائه الإلهية ، فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه ، حيث نسب الربوبية إلى غيره ، فلما ثنى بتقريره ، جننه إلى قومه ، وطنز به « أى سخر واحتدم غيظا » حيث سماه : رسولهم ، فلما ثلث بتقرير آخر ، احتد واحتدم ، وقال : لئن اتخذت إلها غيرى . وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير » انتهى من الكشاف للزمخشري . غير أن الزنديق ابن عربى يفسر جواب موسى عليه السلام بما يتفق وهوى زندقته ، وأسطورة الوحدة ، إذ يزعم أن جواب موسى على سؤال فرعون : ما رب العالمين ؟ ! هو : الذى تظهر فيه صورة العالمين ، من علو — وهو السماء — وسفل — وهو الأرض — ثم يقول بعد : فلما جعل موسى المسئول عنه عين صور العالم ! ! فتأمل كيف يفهم الزنديق ، وكيف يجعل الحق باطلا هذا العربيد الخبل ! ! أية صلة بين ما نسبه إفكا وبهتانا وزورا إلى موسى عليه السلام ، وبين ما أجاب به موسى من إشراق الحق والإيمان والتوحيد ؟ ! وهو قوله : رب السموات والأرض ، وما بينهما ، وقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين ، وقوله : رب المشرق والمغرب وما بينهما . يجيب موسى بأن الله وحده رب كل شىء ، فيفترى الزنديق على موسى بأنه أجاب : إن الله عين كل شىء ، وهكذا يفهم الصوفية — سلفا وخلفا — كتاب الله ، وبمثل هذا الأفق المجوسى يفسرون آيات الله ، ومع هذا ما زلت تجد الأحبار مهطعين أذلاء لأبالسة التصوف ، بل تجد قوما منهم يفخرون بأنهم أخذوا العهد على الأحداث من مخابيل المتصوفة المأفونين .

العالمين من علو ـ وهو السماء ـ وسفل ـ وهو الأرض ـ إن كنتم موقنين[١] »

فرعون عند الصوفية رب موسى وسيده

ثم قال : « فلما جعل موسى المسئول عنه عين [صور] العالم[٢] خاطبه فرعون بهذا اللسان ـ والقوم لا يشعرون ـ فقال [له] : (٢٦ : ٢٩ لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) والسين فى السجن من حروف الزوائد[٣] » أى : لأسترنك ، فإنك أجبت بما أيدتنى به ، أن أقول لك مثل هذا القول . فإن قلت لى : فقد جهلت يافرعون بوعيدك إياى ـ والعين واحدة ـ فكيف فرقت ؟ فيقول فرعون : إنما فرقت المراتب العينَ[٤] . ماتفرقت [العين] ، ولا انقسمت فى ذاتها ، ومرتبتى الآن التحكم فيك ياموسى بالفعل ، وأنا أنت بالعين ، وغيرك بالرتبة[٥] » ـ ثم قال : « ولما كان فرعون فى منصب التحكم

---

(١) ص ٢٠٨ فصوص الحكم

(٢) من أين جاء الزنديق بهذا البهتان ؟ وجواب موسى مبدوء فى كل مرة بتقرير ربوبية الله وحده ! ! ولكنها الجرأة الوقاح التى لا تحفل بدين ولا لغة ولا عقل ، ولا عرف عام أو خاص

(٣) بل السين فى هذه الكلمة حرف أصلى ، مثلها فى ستر ، وسبح ، وسبك ولكن ابن عربى ـ وقد افترى على الله الكذب كله ـ لا يعجزه أن يفترى على اللغة

(٤) فى الأصل : العين بالضم على اعتبار أنها فاعل فرقت . وهو خطأ صوبته من الفصوص . ويزعم الزنديق أن موسى قال لفرعون : كيف تتوعدنى ، وأنت تعلم أن ذاتى هى ذاتك ، وهويتى هويتك ، لأنى وإياك عين الذات الإلهية ، وفى وعيدك إياى إشعار لى بأنك تفهم أنى غيرك ، فكيف تفرق بين الرب وبين نفسه ؟ فقال فرعون : نعم أنا أنت يا موسى فى الحقيقة لأننا عين الذات ، غير أن الرب المتعين فى له التحكم فى هويته التى تعينت فيك ، فأنا غيرك فى الرتبة ، وإن كنت أنا عينك فى الحقيقة

(٥) ص ٢٠٩ فصوص

صاحب الوقت[١] ، وأنه الخليفة بالسيف ، وإن جار فى العرف الناموسى ، لذلك قال : (٧٩ : ٢٤ أنا ربكم الأعلى) أى : وإن كان الكل أربابا بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم ، بما أعطيته فى الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله ، لم ينكروه ، وأقروا له بذلك ، فقالوا له : (٢٠ : ٧٢ فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) فالدولة لك ، فصح قوله : أنا ربكم الأعلى ، وإن كان عين الحق ، فالصورة لفرعون ، فقطع الأيدى والأرجل [٣٥] وصلّب بعين حق فى صورة باطل[٢] ، لنيل مراتب لاتنال إلا بذلك الفعل [فإن الأسباب لاسبيل إلى تعطيلها ، لأن الأعيان الثابتة اقتضتها ، فلا تظهر فى الوجود إلا بصورة ماهى عليه فى الثبوت] ، إذ لاتبديل لكلمات الله ، وليس كلمات الله سوى أعيان الموجودات[٣] ، فينسب إليها القديم من حيث ثبوتها ، وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها وظهورها ، كما تقول : حدث اليوم

---

(١) عرف الصوفية صاحب الوقت بأنه : « هو المتحقق بجمعية البرزخية ، المطلع على حقائق الأشياء ، الخارج عن حكم الزمان وتصرفات ماضيه ومستقبله إلى الآن الدائم ، فهو ظرف أحواله وصفاته ، فلذلك يتصرف فى الزمان بالطى والنشر ، وفى المكان بالقبض والبسط ، لأنه المتحقق بالحقائق والطبائع فى القليل والكثير والطويل والقصير والعظيم والصغير سواء ، إذ الوحدة والكثرة والمقادير كلها عوارض ، فكما تصرف فى الوهم فيها ، كذلك فى العقل ، فصدق وافهم تصرفه فيها فى الشهود والكشف والصريح ، فإن المتحقق بالحق ، المتصرف بالحقائق يفعل ما يفعل فى طور وراء طور الحس والوهم والعقل ، ويتسلط على العوارض بالتغيير والتبديل » جامع الأصول فى الأولياء ط ١٣٢٨ للكمشخانلى

(٢) يزعم أن فرعون حين صلب كان هو الله فى الحقيقة متعينا فى صورة باطلة هى صورة خلقية سميت فرعون

(٣) أبى الزنديق إلا أن يكون كفره أشد خبثا من كفر النصارى ، إذ زعموا أن حكمة الله تجسدت فى عيسى ، وزعم هو أن أعيان الموجودات كلها هى تجسدات كلمات الله ، أو هى كلمات الله تعينت أجسادا ، أو هى هى الله سبحانه

عندنا إنسان ، أو ضيف ، ولا يلزم من حدوثه أنه ما كان له وجود قبل الحدوث[١] » .

حكم من ينسب ربوبية إلى فرعون

قال الشيخ زين الدين العراقى : « قوله فى قول فرعون : أنا ربكم الأعلى : أنه صح قوله ذلك ، مستدلا عليه بأن السحرة صدقوه — كذب وافتراء على السحرة ، فلقد كذبوه ، وخالفوه ، ودعواه كاذبة ، وبها أخذ الله فرعون وأهلكه ، فقال تعالى حكاية عنه : (٧٩ : ٢٤ ، ٢٥ فقال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) ثم قال : ولا شك أن من صح أنه قال هذا ، واعتقده ، مع وجود عقله ، وهو غيره مكره ، ولا مجبر الإجبار المجوِّز للكفر ، فهو كافر ولا يقبل منه تأويلها على ماأراد ، ولا كرامة ، كما قدمنا ذكره ، وهذا مالا نعلم فيه خلافا بين العلماء بعلوم الشريعة المطهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة ، وغيرهم من أهل الاجتهاد والصحيح . والله أعلم » .

وهذا كما ترى مبطل لما يقوله بعضهم من الخرافات فى تأويله ستر الكفر ، وأن المراد به : فرعون النفس ؛ لأنه نزل قوله على جلّ آيات القرآن جملة جملة ، ومن المقطوع به أن الله تعالى ما أنزل هذه الآيات إلا فى فرعون موسى .

تحريم التأويل

ولهذا قال الغزَّالى فى الطامات من كتاب العلم من الإحياء — بعد تحريم التأويل بمالا تسبق الأفهام إليه — مانصُّه : « وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانه قطعا ، كتنزيل فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده ، ودعوة موسى عليه السلام له ، كأبى جهل ، وأبى لهب ، وغيرهما من الكفار

---

(١) ص ٢١٠ فصوص الحكم

وليس من جنس الشياطين والملائكة ، وما يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه [(١)] » انتهى .

رأى ولد العراقى فى الفصوص والتائية

وقال الإمام ولى الدين أحمد العراقى [(٢)] ابن الشيخ زين الدين المذكور فى المسألة الحادية والعشرين من فتاويه المكية مانصه : «لاشك فى اشتمال الفصوص المشهورة عنه على الكفر الصريح الذى لاشك فيه ، وكذلك فتوحاته المكية ، فإن صح صدور ذلك عنه ، واستمر إلى وفاته ، فهو كافر مُخلّد فى النار بلا شك ، وقد صح عندى عن الحافظ المزى [(٣)] أنه نقل من خطه فى تفسير قوله تعالى : (٢ : ٦ إن الذين كفروا سواء عليهم [أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لايؤمنون]) كلاما ينبو عنه السمع ، ويقتضى الكفر ، وبعض كلماته لايمكن تأويلها [(٤)] ،

---

(١) الغزالى نفسه فى كتبه المضنون بها على غير أهلها من أشد المفرطين الغالين فى التأويل ، بل من أشدهم جرأة على تجريد الألفاظ من معانيها ، ثم تحميل الألفاظ معانى باطنية ، لا تقرها دلالة من الدلالات اللغوية

(٢) كنيته : أبو زرعة . ولد سنة ٧٦٢ هـ ، وتوفى سنة ٨٢٦ هـ

(٣) هو الحافظ الجليل يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن عبد الملك ، أبو الحجاج جمال الدين . ولد سنة ٦٥٤ بالمعقلية بظاهر حلب . سمع منه ابن تيمية — وقد أوذى المزى بسببه — والذهبى ، وابن سيد الناس . توفى سنة ٧٤٢

(٤) جاء بهامش الأصل : « قال — يعنى ابن عربى — عليه من الله ما يستحق . قال الله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم) . إيجاز البيان فيه : يا محمد إن الذين كفروا ستروا محبتهم فى عنهم ، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذى أرسلناك به ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك ، فإنهم لا يعقلون غيرى ، وأنت تنذرهم بخلقى ، وهم ما عقلوه ، ولا شاهدوه ، وكيف يؤمنون بك . وقد ختمت على قلوبهم . فلم أجعل فيها متسعا لغيرى . وعلى سمعهم . =

والذى يمكن تأويله منها كيف يصار إليها مع مرجوحية التأويل ، وأن الحكم إنما يترتب على الظاهر ، وقد بلغنى عن الشيخ علاء الدين القونوى ـ وأدركت أصحابه ـ أنه قال فى مثل ذلك : إنما يؤول كلام المعصومين ، وهو كما قال »

[٣٦] ثم ذكر كلام الذهبى (١) فيه ، وساق الأسانيد إلى ابن [عبد] السلام (٢) بما يأتى عنه من تكفيره ، ثم قال : « وأما ابن الفارض ، فالاتحاد فى شعره ، وأمرنا أن نحكم بالظاهر ، وإنما نؤول كلام المعصومين ، لكن علماء عصره من أهل الحديث رووا عنه فى معاجمهم ، ولم يترجموه بشىء من ذلك ، فقال الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى (٣) فى معجمه : الشافعى الأديب (٤) سمع من

= فلا يسمعون كلاما إلا منى . وعلى أبصارهم غشاوة من [بهائى عند] مشاهدتى . فلا يبصرون غيرا . ولهم عذاب عظيم عندى أردهم بعد هذا المشهد السنى إلى إنذارك . وأحجبهم عنى كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى [قربا] وأنزلتك إلى من يكذبك . ويرد [ما جئت به إليه من] الكلام فى وجهك . وتسمع فى ما يضيق به صدرك . فأين ذلك الشرح الذى شاهدته فى إسرائك . فهكذا إمنانى على خلقى الذين أجنيتهم رضائى ، فلا أسخط عليهم أبدا ـ إلى آخر ماذكره بعده ذكر ذلك فى الباب الخامس من الفتوحات المكية » انتهى .. وأقول : وقد راجعت هذا على الفتوحات ، وأثبت عنها ما سقط من كاتب الهامش ، ووضعته بين هذين [ ]

(١) هو الحافظ الجليل محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين الذهبى ولد سنة ٦٧٣ يقول عنه طاش كبرى زاده : كان إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر لفظا ومعنى ، شيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال فى كل سبيل . توفى سنة ٧٤٨ هـ

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين . ولد سنة ٥٧٨ ، ومن تلاميذه ابن دقيق العيد ـ وهو الذى لقب العز بسلطان العلماء ـ وتوفى سنة ٦٦٠هـ

(٣) ولد سنة ٥٨١ ومن مصنفاته مختصر سنن أبى داود ـ نشرته مطبعة السنة المحمدية فى طبعة جيدة التحقيق والطبع ـ ومختصر مسلم ، والترغيب والترهيب . توفى سنة ٦٥٦هـ

(٤) يعنى ابن الفارض

أبى القاسم ابن عساكر ، وحدث : سمعت شيئا من شعره . وقال الحافظ رشيد الدين العطار فى معجمه : الشيخ الفاضل الأديب كان حسن النظم متوقد الخاطر ، وكان يسلك طريق التصوف ، و ينتحل مذهب الشافعى ، وأقام فى مكة مدة ، وصحب جماعة من المشايخ . وقال الحافظ أبو بكر بن مسدى[١] : برع فى الأدب ، فكان رقيق الطبع ، عذب النبع ، فصيح العبارة ، دقيق الإشارة ، سلس القيادة ، نبيل الإصدار والإيراد ، وتصرف فتصوف ، فكان كالروض المفوّف ، وتخلق بالزى ، وتزيا بالخلق ، وجمع كرم النفس كل مفترق » انتهى كلام الشيخ ولى الدين . وما قاله هؤلاء الأئمة ليس فيه مناقضة لكلامه أولا فى الحكم عليه بالاتحاد ، فإنهم لم يقضوا على التائية ونحوها ، وأما قوله : إن صح ذلك عنه ، فهو على طريق من يعتبر فى الكتب المشهورة إسنادا خاصا ، وهى طريقة غير مرضية[٢] ، والصحيح أنها لاتحتاج إلى ذلك ، بل الشهرة كافية[٣] ، والله الموفق .

رأى السكوتى

وقال الإمام أبو على ابن خليل السكوتى فى كتابه : تحت العوام ، فيما يتعلق

---

(١) هو محمد بن يوسف الأزدى الغرناطى قتل بمكة سنة ٦٦٣ . قال عنه الذهبى : « له أوهام ، وفيه تشيع ، ورأيت جماعة يضعفونه

(٢) فى الأصل : غير ضية .

(٣) ثبوت نسبة التائية إلى ابن الفارض حقيقة لا ينتطح فيها عنزان . ونحن لا يعنينا كونها له ، أو لغيره ، ما دام الصوفية أنفسهم ، يقرون بنسبتها إليه ، ويدينون بما فيها ، بل ما سموه سلطان العاشقين إلا بها ، ويؤمنون بأنها أروع تعبير عن الحب الإلهى الذى يجعل الحب عين الحب وعين الحبيب ، ولكن ليغضب الصوفية لسلطان عاشقيهم ما شاءوا ، وليتهموا منتقديه بعمى البصيره ، فكل هذا الدوى الراعد الجبانة لن يضيع دوى الحق معلنا فى قوة وشجاعة وإيمان أن تصوف ابن الفارض ما هو إلا أخبث تعبير عن الزندقة

بعلم الكلام . بعد أن حذر من ابن عربى وأتباعه ، فقال: « وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربى الطائى فى فصوصه وفتوحاته المكية ، وغيرهما وليحترز أيضا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله ، مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد ، لأنه باطل بالبراهين القطعية — ثم قال : وكل كلام و إطلاق يوهم الباطل ، فهو باطل بالإجماع ، فأحرى وأولى بطلانه إذا كان صريحا فى الباطل ، فإن قالوا : لم نقصد بكلامنا ورموزنا و إشاراتنا الاتحاد ، والحلول ، و إنما قصدنا أمرا آخر يفهم عنا ، قلنا لهم : الله أعلم بما فى الضمائر ، وما يخفى فى السرائر ، و إنما اعترضنا نحن الألفاظ والإطلاقات التى تظهر فيها الإشارات إلى الإلحاد ، والحلول ، والاتحاد[1] » انتهى .

حكم من يؤول للصوفية كلامهم

والفيصل فى قطع التأويل من أصله أن محقق زمانه وصالحه علاء الدين محمد البخارى الحنفى ذُكِر عنده ابن عربى هذا ، فقال قاضى المالكية إذ ذاك شمس

---

(١) الذى لا يحاسب على ما ينطق به هو المكره ، أو المجنون ، وهؤلاء ليسوا بمكرهين ، فما ثم من يكرههم على الزندقة ، بل كان ثم من يكرههم على الإيمان ، فلم يحاولوا . وليسوا بمجانين . بإقرار عابديهم ، وبدليل تلك اللآمة المستلئمة فى الكيد للاسلام ابتغاء صرف الأمة عنه ، وابتغاء تمجيد الوثنية والإباحية ، وإعلاء شهواتهما . كل هذا وهم يلبسون مسوح القديسين والزهاد ، زاعمين أنهم الأرواح المطلقة التى تفرد فى أقداس الجمال المطلق . فلم يبق إلا أن يكون لهم باعث وغاية ، تلك هى القضاء على الإسلام . ألم تر إلى الزنادقة ، كيف يلحون فى دعوة الناس إلى عبادة القبور ، والضراعة إلى الرمم ؟ وكيف لا يشغلون لياليهم الساهرة على الإلحاد إلا بهذا ، ولا الناس معهم إلا بتلك الوثنية . كل هذا ليدكوا — وما هم ببالغيه — أساس الإسلام المتين ، وهو التوحيد؟

الدين محمد البساطى (١) : يمكن تأويل (٢) كلامه . فقال له البخارى : كفرت. وسلم له أهل عصره ممن كان فى مجلسه ، ومن غيرهم ، وما طعن أحد منهم فيه بكلمة واحدة ، وقد كان منهم حافظ العصر قاضى الشافعية بها شهاب الدين أحمد ابن [٣٧] حجر ، وقاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى ، وقاضى القضاة محمود العينى الحنفى ، والشيخ يحيى السيرامى الحنفى ، وقاضى القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى الحنبلى ، وزيد الدين أبو بكر القمنى الشافعى ، وبدر الدين محمد بن الأمانة الشافعى ، وشهاب الدين أحمد بن تقى المالكى (٣) ، وغيرهم من العلماء والرؤساء ، وما خلص البساطى من ذلك إلا بالبراءة من اعتقاد الاتحاد ، ومن طائفة الاتحادية ، وتكفيره لمن يقول بقولهم .

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين . ولد سنة ٧٦٠ وتولى القضاء بمصر عشرين سنة . توفى سنة ٨٤٢ هـ

(٢) فى محاولة الدفاع عن الصوفية بالتأويل حجة بالغة على أن كلام الصوفية يجافى الحق من الكتاب والسنة ، وإلا ما لجأ أحلاسهم إلى دعوى إمكان التأويل

(٣) هو كما يقول صاحب الشذرات : شيخ الإسلام علم الأعلام حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر الكنانى العسقلانى الأصل المصرى المولد والدار والنشأة والوفاة . ولد سنة ٧٧٣ وتوفى سنة ٨٥٢ هـ

والتفهنى نسبة إلى تفهن قرية بمصر . ولد سنة ٧٦٥ تقريبا ، وتوفى سنة ٨٣٥ هـ

والعينى ولد سنة ٧٦٢ هـ تولى منصب قاضى قضاة الحنفية بمصر توفى سنة ٨٨٥ هـ

والسيرامى شيخ الشيوخ بمدرسة الظاهر برقوق . ولد قبل الثمانين وسبعمائة وتوفى سنة ٨٣٣ هـ . والبغدادى كان شيخ الحنابلة فى عصره ومفتى الديار المصرية ولد سنة ٧٦٥ . وتوفى سنة ٨٤٤ هـ

والقمنى ولد سنة ٧٥٨ ولى تدريس الصلاحية بالقدس والمنصورية والشريفية وتوفى سنة ٨٣٣ .

والمتقى المالكى ولد بفوة سنة ٧٨٥ تقريبا . وتوفى سنة ٨٤٢ هـ

أوهام الصوفية فى الحكم بإيمان فرعون

ثم قال ابن عربى : « وأما قوله : (٤٠ : ٨٥ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التى قد خلت فى عباده) ، (إلا قوم يونس[١]) فلم يدل ذلك على أنه لاينفعهم فى الآخرة ، بقوله فى الاستثناء : إلا قوم يونس. فأراد أن ذلك لايرفع عنهم الأخذ فى الدنيا ، فلذلك أخذ فرعون مع وجود الإيمان منه[٢] » ثم قال : « فآمن بالذى آمنت به بنو إسرائيل على التَّيقن بالنجاة ، فكان كما تيقن ، لكن على غير الصورة التى أراد ، فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه، ونَجَّى بدنه ، كما قال تعالى: (١٠: ٩٢ فاليوم ننجيك ببدنك [لتكون لمن خلفك آية) لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه : احتجب ، فظهر بالصورة المعهودة مَيْتا ، ليعلم أنه هو] فقد عمته النجاة حساً ومعنى ، ومن حقت عليه كلمة العذاب الأخروى[٣] لايؤمن ، ولو جاءته كل آية (حتى يروا العذاب الأليم) أى يذوقوا العذاب الأخروى[٤] ، فخرج فرعون من هذا الصنف . هذا هو الظاهر الذى ورد به القرآن ، ثم إنا نقول بعد ذلك : والأمر فيه إلى الله ، لما استقر فى نفوس عامة الخلق من شقائه ، ومالهم نص فى ذلك يستندون إليه[٥] » انتهى — وقد تقدم النص المنتج قطعاً بديهة أنه من أهل النار . ثم قال : « ثم لتعلم[٦] أنه

---

(١) يعنى قوله سبحانه : (١٠ : ٩٨ فلولا كانت قرية آمنت ، فنفعها إيمانها إلا قوم يونس . لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ومتعناهم إلى حين)

(٢) ص ٢١١ فصوص

(٣) ، (٤) فى الأصل : الأخراوى

(٥) ص ٢١٤ فصوص ، وليس بعجيب أن ينكر الزنديق وجود نص فى القرآن يدل على أن فرعون من أصحاب النار ! ! وقد ذكر فى هذا النص نفسه أن فرعون هو الرب الأعلى ، وأنه أعظم من موسى

(٦) فى الأصل : وليعلم

مايقبض الله أحداً إلا وهو مؤمن، أى مصدِّق بما جاءت به الأخبار الإلٰهية، أعنى من المحتضرين ، ولهذا يُكْرَه الموت الفجاءة ، وقتل الغفلة [١] » ثم قال : « وأماحكمة التجلى والكلام فى صورة النار ، فلأنها كانت بغية موسى ، فتجلى له فى مطلوبه [٢] » ثم قال: كنار موسى، رآها [٣] عين حاجته وهو الإله، ولكن ليس يدريه .

افتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال فى فص حكمة فردية فى كلمة [٤] محمدية : « وإنما حبب إليه النساء ، فحنَّ إليهن ؛ لأنه من باب حنين الكل إلى جزئه [٥] ، فأبان بذلك عن الأمر

---

(١) ، (٢) ص ٢١٢ فصوص

(٣) فى الأصل : يراها

(٤) نسبة لا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بل إلى الحقيقة المحمدية التى يزعم الصوفية أنها هى الذات مع اليقين الأول ، وأنها هى اسم الله الأعظم ، وإذا كان كل شىء عند الصوفية هو أحد تعينات الذات الإلهية ، فإن محمدهم ـ وحاشا رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم ـ هو صور الحق كلها ، لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية

(٥) محمد كما سبق هو صور الحق كلها عند الصوفية ، والنساء عند الصوفية هن أجمل تعينات الذات الإلهية ، لهذا حن محمد الذى هو الكل إلى بعض تعيناته أو أجزائه ، هكذا يصور الصوفية العلاقة بين ربهم المتعين فى محمد ، وبين ربهم المتعين فى صور النساء ، وللحب عندهم ناحيتان . إحدهما شوق الحق إلى الخلق ، وأخراهما : شوق الخلق إلى الحق ، وشوق الحق له اعتباران أومظهران . أحدهما : اشتياقه إلى الظهور بعد البطون ، أو التقييد بعد الإطلاق ، وهذا يكون بتعينه فى صور بدنية عنصرية . وأما آخراهما . فاشتياقه إلى العودة إلى الإطلاق ، أو التجرد بعد التعين ، فربهم دائما مشدود العاطفة بين الإطلاق ، وبين التقييد ، أو بين المرتبتين : الحقية والخلقية . أماشوق الخلق إلى الحق فله مظهر أو اعتبار واحد ، هو التجرد من الصور الخلقية ، ليعود حقا ، أو وجودا مطلقا كما كان قبل تعينه ، وليس اشتياق أحدهما اشتياق الشىء إلى غيره ، بل إلى نفسه ، ودائما ترى زعماء =

فى نفسه من جانب الحق فى قوله فى هذه النشأة الإنسانية العنصرية : ونفخت فيه من روحى . ثم وصف نفسه بشدة الشوق إلى لقائه ، فقال للمشتاقين : ياداود إنى أشد شوقاً إليهم[(١)] » .

التليث عند الصوفية

ثم ذكر العبد المؤمن ، وأنه لايرى ربه إلا بعد الموت ، فاشتاق الحق لوجود هذه النسبة ، يعنى رؤية المؤمن له تعالى بالموت ، ثم قال : « فلما أبان أنه نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا إلى نفسه ، ألا تراه خلقه على صورته ، لأنه من روحه ، ولما كانت نشأته من هذه الأركان الأربعة المسماة [٣٨] فى جسده[(٢)] أخلاطاً حدث عن نفخة اشتعال بما فى جسده من الرطوبة ، فكان روح الإنسان ناراً ، لأجل نشأته ، ولهذا ما كلم الله تعالى موسى إلا فى صورة النار [وجعل حاجته فيها ، فلو كانت نشأته طبيعية ، لـكان روحه ناراً] ، وكنى عنه بالنفخ يشير إلى أنه من نفس الرحمن[(٣)] ، فإنه بهذا النفس الذى هو النفخة ظهر عينه [وباستعداد المنفوخ فيه كان الاشتغال ناراً لا نوراً] فبطن نفس الرحمن فيما كان

= الصوفية يلهجون بذكر النساء ، ويرونهن أكمل وأجمل وأتم تعينات الذات الإلهية ومجاليها ، كما رأيت من ابن الفارض وابن عربى ، وكما سترى بعد . وهذا يجعلك تؤمن بأن هناك فى أعماق التصوف حيوانا ضاريا يستعبده الشبق والغلمة الداعرة ، ويستعلن دائما بالصريخ الملتهب عما يزلزله من رجفات الشهوات العارمـة ، وينزو بعربدته على كل مقدسات الدين ومحارم الفضيلة ، وتؤمن كذلك أن من مقومات التصوف عبادة المرأة ، وتعرف عن يقين لماذا يبحث الصوفية عن درويشات يسلكن معهم طريق القوم ! !

(١) ص ٢١٥ فصوص

(٢) فى الأصل : جده

(٣) فى الأصل : الحق

[به] الإنسان إنساناً ، ثم اشتق له [منه] شخصاً على صورته سماه : امرأة ، فظهرت بصورته ، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه ، وحنت إليه حنين الشيء إلى وطنه ، فحببت (١) إليه النساء ، فإن الله أحب من خلقه على صورته ، وأسجد له ملائكته [النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم ، وعلو نشأتهم الطبيعية] فمن هناك وقعت المناسبة ، والصورة أعظم مناسبة ، وأجلها وأكملها ، فإنها زوج أى شفعت وجود الحق ، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته زوجاً ، فظهرت (٢) الثلاثة : حق ورجل وامرأة (٣) . فحن الرجل إلى ربه الذى هو أصله حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب الله من هو على صورته (٤) » انتهى وقد علم من هنا قطعاً أنه يريد بالصورة فى خلق آدم على صورته معناها المتعارف (٥) !!

رب الصوفية امرأة

ثم قال : « فإذا شاهد الرجلُ الحقَّ فى المرأة كان شهوداً فى منفعل ، وإذا شاهده فى نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده فى فاعل ، وإذا شاهده فى نفسه من [غير] استحضار صورةٍ مّا كان شهوداً (٦) فى منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق فى المرأة أتم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل

---

(١) ، (٢) فى الأصل : فحبت ـ ظهره

(٣) هـذا هو التثليث عند ابن عربى ، وهو بعض ما استمده من المسيحية الفلسفية ، بيد أنه زاد الكفر شناعة ، فقال بثالوث هو « حق ورجل وامرأة » الثلاثة إله واحد

(٤) ص ٢١٦ فصوص

(٥) لا بل يريد بالصورة غير هذا ، يريد بها هوية الذات ، يعنى أن هوية آدم وماهيته عين هوية الحق وماهيته

(٦) فى الأصل : شهوده

منفعل [١] ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة،فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؛ لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهَدُ الحق مجرداً عن المواد أبداً [٢] ، فإن الله بالذات غنيٌّ عن العالمين ، وإذا [٣] كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ،

---

(١) الرجل والمرأة عند ابن عربي صورتان من صور الله ، يعنى حقيقته تتجلى فى صورتى رجل وامرأة ، وفى حال المواقعة يسمى الرجل فاعلا ، والمرأة منفعلة . ويدين الزنديق بأن ربه فاعل منفعل معا ، فهو فاعل لتعينه فى صورة رجل ، وهو منفعل لتعينه فى صورة امرأة مع رجل . ولما كانت المرأة ـ هكذا يصور الزنديق ـ تعتبر فاعلة ، لشدة تأثيرها فى الرجل فى تلك الحال العاصفة بالشهوة ، فإن شهود الإله الصوفى فى المرأة الهلوك أتم وأكمل ، إذ يشاهد فيها فى صورة فاعل ومنفعل . وهنا يبدو خطر التصوف الجامح على الخلق والعرض والأمة ، ماذا يفعل الصوفى وهو يؤمن أن المرأة هى أتم وأكمل مجالى الإله ؟ ماذا سيحدث منه وهو يوقن أن ربه امرأة يواقعها رجل ؟ ! اعفنى من الجواب ، لأنك ستدرك الجواب ، ستدرك أن التصوف دعوة ملحة إلى الإباحية الماجنة ! ! وهذا يؤكد لك ما قررته من قبل ، وهو أن لحيوان الشهوة المعربد فى أعماق ابن عربى أثرا بعيدا فى تصوفه ، فقد تدله ـ وهو بمكة حين زارها سنة ٥٩٨ هـ ـ بحب غانية هى ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهانى ، ولكنها لم تهدهد من نزواته الفواجر ، ولم ترد غلة ذئبه الظامىء إلى الدم ، فنظم ـ يستدرجها إلى الغواية ـ فيها ديوان شعره المسمى : ترجمان الأشواق ، وابن عربى نفسه يقر بأنه نظم ديوانه هذا تشبيبا بتلك الغانية القتول ، وحين عصفت الفضيحة بهواه ، فر هاربا من مكة ، حتى لا يجابه عار الفضيحة ، بيد أن الهوى ظل يعصف به ، ويلهبه . وثمت نفس عن جحيمه بخيالات زندقته ، فراح يصور ربه فى صورة امرأة ، ويزعم أنه يتجلى ـ أجمل وأحلى ما يتجلى ـ فى صورة امرأة تقترف . كل هذا من أجل امرأة لم تستطع شهوته أن تضرس منها اللحم ، وتعرق العظم

(٢) أى لا بد للاله الصوفى من جسد يتعين فيه ، فتأمل ! !

(٣) فى الأصل : فإذا

ولم تكن الشهادة إلا فى مادة ، فشهود الحق فى النساء أعظم الشهود [١] وأكمله [وأعظم الوصلة النكاح [٢]] وهو نظير التوجه الإلهى على من خلقه على صورته ، ليخلفه ، فيرى فيه نفسه ، فَسَوَّاه ، وَعَدَلَه ، ونفخ فيه من روحه الذى هو نفسه ، فظاهره خلق ، و باطنه حق [٣] » .

وهذا يدلك على أن الإله عنده كالكلى الطبيعى [٤] ، لاوجود له إلا فى ضمن جزئياته ، والله الموفق .

ثم قال : « فمن أحب النساء على هذا الحد ، فهو حب إلهى ، ومن أحبهن على جهة الشهوة الطبيعية خاصة نقصه علم هذه الشهوة ، فكان صورة بلا روح عنده ، وإن كانت تلك الصورة فى نفس الأمر ذات روح ،ولكنها غير مشهودة لمن جاء لامرأته ، أو لأنثى حيث كانت لمجرد الالتذاذ ، ولكن لايدرى : لمن؟! فجهل من نفسه مايجهل الغير منه مالم يسمه هو بلسانه حتى يعلم ، كما قال بعضهم:

صح عند الناس أنى عاشق غير أن لم يعرفوا عشقى لمن

كذلك هذا . أحب الالتذاذ ، فأحب [٣٩] المحل الذى يكون فيه ، وهو المرأة ، ولكن غاب عنه روح المسألة ، فلو علمها ، لعلم بمن التذ ، ومن التذ ؟! [٥] وكان كاملا ، وكما نزلت المرأة عن درجة الرجل بقوله : (٢ : ٢٨٨

---

(١) فى الأصل : شهود

(٢) يعنى به : ماله من معنى فى أذهان العامة ، لا الزواج

(٣) ص ٢١٧ فصوص الحكم

(٤) الكلى هو مالا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه ، كالإنسان ، ويسمى كليا طبيعيا باعتبار وجوده فى الخارج أى فى الطبيعة ، والكلى الطبيعى جزء جزئيه ، فلا وجود له إلا فى ضمن جزئياته ، أعنى ليس له وجود خاص به ، قائم بذاته ، وإنما يوجد بوجود أفراده . وهكذا الإله الصوفى .

(٥) يقول : لو تأمل الرجل الملتذ بالمرأة ، لعلم أنه ليس مع امرأة ، بل مع الإله الصوفى ، وأنه ليس هو الملتذ ، بل الإله الذى تعين فيه ، وأعتذر للقراء عن=

وللرجال عليهن درجة) نزل المخلوق على الصورة عن درجة من أنشأه على صورته ، مع كونه على صورته ، فبتلك الدرجة التى تميز عنه بها كان غنياً عن العالمين ، وفاعلا أولا ، فإن الصورة فاعل ثان ، فماله الأولية التى للحق ، فتميزت الأعيان بالمراتب ، فأعطى كل ذى حق حقه كل عارف ، فلهذا كان حب النساء لمحمد صلى الله عليه وسلم عن تحبب إلهى [وأن الله أعطى كل شىء خلقه ، وهو عين حقه ، فما أعطاه إلا باستحقاق استحقه بمسماه أى بذات ذلك المستحق] وإنما قدم النساء — أى فى قوله صلى الله عليه وسلم — [حبب إلىّ من الدنيا] النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة (١) . . ، لأنهن محل الانفعال كما تقدمت الطبيعة على من وجد منها بالصورة ، وليست الطبيعة على الحقيقة إلا النفس الرحمانى ، فإن فيه انفتحت صورة العالم أعلاه وأسفله (٢) » .

الأنوثة صفة الإله الصوفى

ثم قال : إنه عليه الصلاة والسلام غلَّب فى هذا الخبر التأنيث على التذكير ، لأنه قصد التَّهَمُّمَ بالنساء فقال : ثلاث ، ولم يقل : ثلاثة بالهاء الذى هو لعدد الذكران ؛ إذ فيها ذكر الطيب ، وهو منكر ، وعادة العرب أن تُغَلِّب التذكير

ذكر هذا النتن الإباحى الصوفى ، فإنا بصدد هتك القناع عن فاحشة آثمة تتراءى فى شف من القدسية والروحانية ، وتمزيق الستر عن خبيث يقترف الجريمة وهو ريان السجود فى المحاريب ، وتبصير المسلمين بمجوسية التصوف ، وما تكيد به لهم ، حتى يعتصموا بحبل الله وحده

(١) أخرجه أحمد والنسائى والحاكم والطبرانى والبزار وابن أبى شيبة ، وقد أعله ابن عدى والدارقطنى والعقيلى ، وليس فى شىء من طرقه لفظ ثلاث . انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ، وتمييز الطيب من الخبيث للشيبانى ، وبهذا ينهدم كل ما بناه الزنديق ابن عربى من التثليث ، وما هول به من تأنيث الإله على لفظ « ثلاث » التى ليست فى الحديث قط على ضعفه .

(٢) ص ٢١٨ فصوص

[على التأنيث] »[1] ـ ثم قال : « ثم إنه جعل الخاتمة نظيرة الأولى فى التأنيث وأدرج بينهما المذكر ، فبدأ[2] بالنساء ، وحكم بالصلاة ، وكلتاهما تأنيث ، والطيب بينهما « كهُوَ[3] » فى وجوده ، فإن الرجل مُدْرَج بين ذات ظهر عنها و بين امرأة ظهرت عنه ، فهو بين مؤنثين تأنيث ذات ، وتأنيث حقيقى ، كذلك النساء تأنيث حقيقى ، والصلاة تأنيث غير حقيقى ، والطيب مذكر بينهما ، كآدم بين الذات الموجود هو عنها ، و بين حواء الموجودة عنه ، و إن شئت ، قلت : القدرة ، فمؤنثة أيضاً ، فلكن على أى مذهب شئت ، فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم ، حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة فى وجود العالَم ، والعلة مؤنثة »[4]

الإله الصوفى بين التقييد والإطلاق

ثم قال: «وثَمَّ مرتبة يعود الضمير على العبد المسبِّح فيها فى قوله : (١٧ : ٤٤ و إن من شىء إلا يُسَبِّح بحمده) أى بحمد ذلك الشىء[5] ، فالضمير الذى فى

---

(١) ص ٢١٩ فصوص وكل ما بين هـذين [ ] ساقط من الأصل ، وأثبته عن الفصوص .

(٢) فى الأصل : فبداء . ويظهر أن الناسخ كان يرسم الهمزة التى من هذا القبيل هكذا دائما .

(٣) الهو عند الصوفية : هو اعتبار الذات بحسب الغيبة والفقد

(٤) ص ٢٢٠ فصوص

(٥) معنى الآية : ما من شىء إلا ويسبح بحمد الله رب العالمين ، ولكن ابن عربى يرجع الضمير فى قوله : بحمده ، على لفظة شىء ليتواءم هذا البهتان الزنديقى ، ومذهبه فى الوحدة ، فيكون معنى الآية عنده : ما من شىء إلا ويسبح بحمد نفسه لأن الله سبحانه عنده عين كل شىء ، فإذا سبح شىء ، فالمسبح عنده والمسبح له هو الله سبحانه عما يقول الصوفية

[قوله] : بحمده ، يعود على الشيء ، أي بالثناء الذي يكون عليه ، كما قلنا في المعتقِد أنه [إنما] يثني على الإله الذي في معتقده ، وربط به نفسه ، وما كان من عمله ، فهو راجع إليه ، فما أثنى إلا على نفسه ، فإنه من مدح الصنعة ، فإنما مدح الصانع بلا شك ، فإن حسنها وعدم حسنها راجع إلى صانعها ، وإله[1] المعتقِد مصنوع للناظر فيه ، فهو صُنْعُه[2] ، فثناؤه على ما اعتقده ثناؤه على نفسه ولهذا يذم معتقد غيره ، ولو أنصف لم يكن له ذلك ، إلا أن صاحب هذا المعبود الخاص جاهل بلا شك[3] في ذلك لاعتراضه [٤٠] على غيره فيما اعتقده في الله ، إذ لو عرف ما قال الجنيد : لون الماء لون إنائه ، لسلّم لكل ذي اعتقاد ما اعتقده وعرف الله في كل صورة ، وكل معتقد ، فهو ظانٌّ ليس بعالِم ، ولذلك[4] قال : « أنا عند ظن عبدي بي[5] » . أي لا أظهر له إلا في صورة معتقده ، فإن شاء أطلق ، وإن شاء قيَّد ، فإله المعتقدات تأخذه الحدود ، وهو الإله الذي وسعه قلب عبده ، فإن الإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء[6] ، وعين نفسه[7]

---

(١) في الأصل : والإله

(٢) في الأصل : صنعته

(٣) يحذر المؤمن أن يذم دين الكافر ، والموحد أن يذم دين المشرك ، والمسلم أن يذم دين وثني أو يهودي ، أو نصراني ، أو مجوسي ، فذم أي دين ـ وإن كان سداه الأسطورة ، ولحمته الخرافة ـ جهل عميق بالحقيقة ، فهؤلاء جميعا دينهم واحد ، ومعبودهم في الحقيقة ـ وإن اختلفت نسبه أو إضافاته ، أو أسماؤه ـ واحد ، بل إنهم جميعا عين واحدة ، إذ كل واحد منهم أحد تعينات الذات الإلهية ، ومعبوداتهم في حقيقتها الرب الواحد ، لأنها الحق تجلى في صور هذه المعبودات ، ودينهم واحد لأن الحق المتعين في كل واحد منهم هو الذي شرع هذا الدين وارتضاه . ذلك البهتان هو دين الزنديق ابن عربي ، وهذا هو نص ما يريده

(٤) في الأصل : فلذلك

(٥) متفق عليه عن أبي هريرة مرفوعا . بيد أن تفسير الزنديق له إفك أثيم

(٦) باعتبارها تعيناته أو ظاهره

(٧) باعتبارها وجودا مطلقا ، أو حقا أو باطنا

والشيء لا يقال فيه : يسع نفسه ، لا يسعها ، فافهم[١] .

قلت : وهذا أراد ابن الفارض بقوله :

فلو أننى وَحَّدت ، ألحدث ، وانسلخ

تُ مِن آى جمعى مُشْرِكا بى صَنعتى

دعاء ومباهلة

هذا آخر الكتاب[٢] ، المباعد للصواب ، المراد للشك والارتياب ، لعنة[٣] الله على معتقِده ، ورحمة الله : على منتقِده ، قد تم ـ ولله الحمد ـ ما أردت انتقاده منه ، مُتَرْجِما بسوء السيرة وقبح السريرة عنه ، وانتهى ما وقع انتقادى عليه ، وأدَّانى اجتهادى إليه: من واضح كفره ، ودقيق مَكْرِه ، وَجَلِيّ شره ، أعاذنا الله بحوله وقوته من شكوكه ، وعصمنا من زيغ طريقه ، و باعدنا من سلوكه ، ورأيت أن أختم ذلك بحكاية طالما حدثنا بها شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر ، قاضى القضاة ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الكنانى ، العسقلانى الأصل، المصرى الشافعى . ثم رأيتها منقولة عن كتاب الحافظ تقى الدين الفاسى[٤] فى تكفير ابن عربى ، وقد أصلح شيخنا بعضها بخطه ، قال : « كان فى أيام الظاهر برقوق[٥] شخص يقال له : ابن الأمين شديد التعصب لابن عربى صاحب هذا الفصوص ، وكنت أنا كثير البيان لعواره ، والإظهار لعاره وعثاره ،

---

(١) ص ٢٢٦ فصوص

(٢) يقصد فصوص الحكم

(٣) فى الأصل : لعنه

(٤) هو محمد بن أحمد بن على ولد بمكة سنة ٧٧٥ ، وتوفى سنة ٨٣٢ هـ ولى قضاء المالكية بمكة

(٥) مؤسس دولة المماليك البرجية ، واستمر يحكم من سنة ٧٨٤ إلى أن توفى عن ٦٠ عاما سنة ٨٠١ هـ

وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، وكان مقربا عند الظاهر ، فهددنى المذكور بأنه يعرِّفه بى ، ليذكر للسلطان أن بمصر جماعة أنا منهم ، يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك . وكانت تلك الأيام شديدة المظالم والمصائب والمغارم ، وكنت ذا مالٍ[1] ، فخفت عاقبته ، وخشيت غائلته ، فقلت إن هنا ما هو أقرب مما تريد ، وهو أن بعض الحفاظ قال : إنه وقع الاستقراء بأنه ما تباهل اثنان على شىء ، فحال الحول على الْمُبْطِل منهما ، فَهَلُمَّ ، فلنتباهل ، لِيَعْلَمَ الْمُحِقُّ منا من الْمُبْطِل ، فتباهلت أنا وهو ، فقلت له : قل : اللّهم إن كان ابن عربى على ضلال ، فالْعَنِّى بلعنتك ، فقاله ، فقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربى على هدى فالعنى بلعنتك وافترقنا ، وكان يسكن الروضة ، فاستضافه شخص من أبناء[2] الجند جميل الصورة ، ثم بدا له أن يتركهم ، فخرج فى أول الليل ، فخرجوا يشيعونه فأحس بشىء مَرَّ على رجله[3] ، فقال لأصحابه : مَرَّ على رجله شىء ناعم ، فانظروا ما هو ؟ فنظروا [٤١] فلم يجدوا شيئاً ، فذهب ، فما وصل إلى منزله إلا وقد عمى ، ولم يصبح إلا وهو ميت ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وكانت المباهلة فى رمضان منها ، قال : وكنت عند وقوع المباهلة عرَّفت من حضر أن من كان مُبْطِلا فى المباهلة لا تمضى عليه السنة ، فكان ولله الحمد ذلك ، واسترحت من شره ، وأمنت من عاقبة مكره » .

المكفرون لابن عربى

وقد صرح بكفر هذا الرجل[4] ، ومن نحا نحوه فى مثل هذه الأقوال الظاهرة

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : مال

(٢) فى الأصل : ابنا

(٣) لعلها رجلى ، إلا أن تكون على سبيل الحكاية

(٤) يقصد ابن عربي

فى الضلال جماعة من العلماء الأعلام مشايخ الإسلام ، كما نقل عنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى حجلة التلمسانى الحنفى فى كتابه الذى صنفه فى ذلك ، وكذا نقل بعض ذلك الإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودى [١] الصوفى فى جزء نقله عنه أحمد بن أقش الحرّانى ، قال : « وقد كتب كل من راقب الله تعالى ، وخشيه ، وامتنع كل من التبسه مخافة غيره ، وغشيه ، فالذى كتب قام لله تعالى بلوازم فرضه ، والذى امتيح [٢] فهو المسئول عن ذلك فى يوم عَرْضِه ، فإن زعم أنه ترك خوف الفتنه من المخالفين ، فتلك محنة فى الدين بما وجب على كل عالم من التبيين » .

وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل ، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن فى تصنيفه المسمى: كشف الغطا عن حقائق التوحيد، فالمنكرون منهم سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القسم السلمى الشافعى ، كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، قال الحافظ شمس الدين محمد الذهبى فى معجمه [٣] : « حدثنى محمد المفيد . حدثنا أبو الفتح اليعمرى ، سمعت أبا الفتح محمد بن على القشيرى ، سمعت شيخنا ابن عبد السلام يقول - وجرى ذكر ابن العربى الطائى - فقال : هو شيخ سوء كذاب [٤] » وقال الصلاح خليل الصفدى فى تاريخه : « سمعت أبا الفتح ابن سيد الناس [٥] يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام

---

(١) ولد سنة ٦٥٠ تقريبا ، وتوفى سنة ٧٣٦

(٢) لعلها : امتنع

(٣) ذكر هذا فى ميزان الاعتدال

(٤) فى الميزان : شيعى سوء كذاب

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس أبو الفتح فتح الدين الحافظ الأديب . ولد سنة ٦٧١ هـ وتوفى سنة ٧٣٤ هـ

عن ابن عربى ، فقال: هو شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجا»
وقال شيخنا العلامة محمد(١) بن محمد بن محمد بن على بن يوسف [ويعرف(٢)]
بابن الجزرى الشافعى فى جواب أجاب فيه بكفره ، كما حكاه عنه ابن الأهدل :
ولقد حدثنا شيخنا شيخ الإسلام الذى لم تر عيناى مثله عماد الدين إسماعيل بن عمر
ابن كثير من لفظه غير مرة ، حدثنى شيخ الإسلام العلامة قاضى القضاة تقى الدين
أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى(٣) ، حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ
قاضى القضاة تقى الدين أبو الفتح محمد بن على القشيرى المعروف بابن دقيق(٤) العيد
القائل فى آخر عمره : لى أربعون [٤٢] سنة ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها
جوابا بين يدى الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد
عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقى عن ابن عربى ، فقال : شيخ سوء كذاب ،
يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجا» انتهى . وقال ابن تيمية(٥) فى جواب السيف

---

(١) ولد الجزرى بدمشق سنة ٧٥١ ﻫ وتوفى سنة ٨١٤ ﻫ

(٢) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الضوء اللامع

(٣) ولد سنة ٦٨٣ ، وتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٦ ولى قضاء دمشق والخطابة بالجامع الأموى ، وكان من خصوم ابن تيمية ، غير أنه عاد فأثنى عليه ثناء مستطابا

(٤) ولد بناحية ينبع سنة ٦٢٥ وتوفى سنة ٧٠٢ ﻫ يقول عنه الذهبى : كان إماما متقنا مجودا مديم السنن والجمع وله اليد الطولى فى الفروع والأصول

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم ابن تيمية الحرانى ثم الدمشقى علم الأعلام الإمام الصبار الشكور . يقول عنه خصمه تقى الدين السبكى ـ وقد عاتبه الحافظ الذهبى على ما نال به من قدر ابن تيمية : « المملوك « يعنى نفسه » يتحقق كبير قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه فى العلوم النقلية والعقلية « يعنى بكل هذا ابن تيمية » وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه فى كل من ذلك المبلغ الذى يتجاوز الوصف ، وقدره فى نفسى أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام به ، لا لغرض سواه ، =

السعودى « فكفره الفقيه أبو محمد بذلك ، ولم يكن بَعْدُ ظَهَرَ من قوله : إن العالَمَ هو الله ، والعالم صورة الله ، وهوية الله » قال السيف المذكور : ثم تابعه فى الإنكار الشيخ الإمام بركة الإسلام قطب الدين ابن القسطلانى ، وحذر الناس من تصديقه ، و بين فى مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه فى كتاب سماه : بالارتباط . ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ومنهم قاضى القضاة قدوة أهل التصوف إمام الشافعية بدر الدين محمد بن جماعة قال : « وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن فى المنام فيما يخالف ، أو يضاد قواعد الإسلام [١] ، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنته ، وتلاعبه برأيه وفتنته ، وأما إنكاره ـ يعنى ابن عربى ـ ما ورد فى الكتاب والسنة من الوعيد ، فهو كافر به عند علماء التوحيد ، وكذلك قوله فى نوح وهود عليهما السلام قولٌ لغو باطل مردود [٢] » والقدوة العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطى [٣] ، وقال إنه علق فى ذم هذه الطائفة [٤] ثلاث كراريس ، الأول سماه : البيان المفيد فى الفرق بين الإلحاد والتوحيد ، الثانى : لوامع الاسترشاد فى الفرق بين التوحيد والإلحاد ، والثالث : أشعة النصوص فى هتك أستار الفصوص . كل ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة . يحذرون من طرقهم وزندقتهم . وحاصل ذلك كله بكلام وجيز مختصر :

= وجريه على سنن السلف ، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى ، وغرابة مثله فى هذا الزمان ، بل من أزمان» انتهى نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر . ولد ابن تيمية سنة ٦٦١ هـ ، ومات سجين البغى بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ

(١) رد على ما زعمه ابن عربى فى خطبة الفصوص أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وأنه قال له : هذا كتاب الفصوص خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للتائية الكبرى

(٢) انظر نص هذه الفتوى فى العلم الشامخ للمقبلى ص ٤٩٤

(٣) ولد سنة ٦٥٧ وتوفى سنة ٧١١ هـ

(٤) طائفة ابن عربى ومن دان دينه

« أن هؤلاء جميع ما يبدونه من الكلام الحسن فى مصنفاتهم إنما هو ربط واستجلاب ، فإن الدعاء إلى البدعة إن لم يكونوا ذوى بصيرة يستدرجون الخلق فى دعوتهم ، حتى يحلوهم عن أديانهم لا يستجاب لهم . هذا ابن عربى عنده فى أصوله : أنه يجعل المعدومات أشياء ثابتة ـ علويها وسفلها ـ قبل وجودها ، فهى عنده ثابتة فى القدم ، لكن ليس لها وجود ، ثم أفاض الحق عليها من وجوده الذاتىِّ فقبل كل موجود من وجود عينَ الحق بحسب استعداده ، فظهر الكون بعين وجود الحق ، فكان الظاهر هو الحق ، فعنده : أنه لا وجود إلا للحق ، ويستحيل عنده أن يكون ثَمَّ وجود محدث ، كما يقوله أهل الحق ، فإنهم يقولون وجود قديم ، ووجود حادث[1] ، وهذا عنده ، وعند أصحابه : أنه ليس بوجود حادث ، وليس ثم إلا وجود الحق الذاتى ، وهو الذى فاض على الأعيان والممكنات

---

(١) ليس هذا التقسيم من صنع أهل الحق ، وإنما هو بدعة الفلسفة ومخانيثهم علماء الكلام ، والله العليم الحكيم الخبير لم يسم نفسه بالقديم ، ولا وصف وجوده أو ذاته بالقدم ، وما ورد أحدهما ـ الاسم والصفة ـ على لسان أحد من رسله ، ولا استعملت فى كتاب الله فيما استعملتها فيه الفلسفة ، وإليك مواردها فى القرآن : (قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم) ، (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) ، (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون : هذا إفك قديم) ، (قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون) فهل تجد آية من هذه الآيات أعطت مفهوم القدم، والقديم كما هو فى الفلسفة والكلام ؟ وهل تجده بحيث يصح إطلاقه على الله ووجوده ؟ قارن بين القدم فى الفلسفة والكلام ، وبينه فى القرآن إذ يصف الإفك والعرجون والضلال بالقدم ، وستخرج من هذه المقارنة بأنه لا يجوز وصف الله به وفى اللغة تقول عن شىء سلف زمانه : إنه قديم ، وعن الثوب الرث : إنه قديم . هذا مدلول الكلمة فى اللغة التى نزل بها كتاب الله ، والتى يجب أن تفسر بها وحدها القرآن . فليقولوا : خالق ومخلوق ، وليقولوا عن الله ما قاله عن نفسه « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » .

[٤٣] فهو موجود بعينه[١] ، ومن شك أن هذا اعتقاده ، فليراجع كتبه الفصوص وغيرها ، وعنده أنه لما فاض على الأكوان عين وجود الحق ، كان هو الظاهر فيها بحكم الوجود ، وكانت هى الظاهر فيه بحكم الأسماء ، فإنها كثيرة متعددة[٢] ، وعنده أن الكون افتقر إلى الحق بسبب إفاضة الوجود ، وأن الحق أيضا افتقر إلى الكون لظهور أسمائه ، وكل منهما يعبد الآخر » .

فتوى الجزرى

ومنهم العلامة شمس الدين محمد بن يوسف ابن الجزرى جد شيخنا العلامة شمس الدين ، قال:[٣] « وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر ، وقوله : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه كلام باطل متناقض ، وهو كفر ، وقوله فى قوم [هود[٤]] : وحصلوا فى عين القرب افتراء على الله تعالى ، ورَدٌّ لقوله فيهم ، وقوله زال البعد وصيرورة[٥] جهنم فى حقهم نعيما كذب ، وتكذيب للشرائع ، وأما من يصدقه فيما قال ، فحكمه كحكمه فى التضليل والتكفير إن كان عالما ، وإن كان ممن لا علم له : فإن قال ذلك جهلا عرف بحقيقة ذلك ، ويجب تعليمه وردعه عنه ، مهما أمكن » ومنهم الإمام القدوة برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى[٦] ، ومنهم العلامة زين الدين عمر بن أبى الحرم الكتنانى[٧] الشافعى

---

(١) لم يحسن التعبير ، وإليك نص الفصوص ص ٧٦ «وهو من حيث الوجود عين الموجودات» . وفى الأصل : فهى موجودة

(٢) قال القاشانى فى شرح الفصوص : « للذات بحسب كل عين اسم ، وتلك الأعيان أيضا أسام ، لكونها عين الذات مع التعين » ويقول ابن عربى « فأسماؤنا أسماء الله تعالى »

(٣) انظر نص فتواه فى العلم الشامخ ص ٤٩٥

(٤) أثبتها عن الفصوص

(٥) لعلها : صارت ، أو بصيرورة

(٦) توفى فى سنة ٦٨٧ هـ عن ثمانين سنة

(٧) كان شيخ الشافعية فى عصره . ولد سنة ٦٥٣ وتوفى سنة ٧٣٨ هـ وانظر =

ومن جوابه : « وقوله فى قوم هود كفر ، لأن الله تعالى أخبر فى القرآن العظيم عن عاد : أنهم كفروا بربهم ،والكفار ليسوا على صراط مستقيم ، فالقول بأنهم كانوا عليه ، مكذّب لصريح القرآن ، ويأثم من سمعه ، ولم ينكره إذا كان مكلفاً ، وإن رضى به كفر » .

رأى أبى حيان

والإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى [١] . ذكر ذلك فى تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى (٥:١٧ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم) الآية فى أوائلها : « ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر [٢] بالإسلام ظاهرا ، وانتمى إلى الصوفية حلولَ الله فى الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة : كالحلاج والشعوذى وابن أحلى وابن عربى المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء كابن سبعين — وعد جماعة [٣] — ثم قال :

= نص فتواه فى العلم الشامخ ص ٤٩٦ ، وفى الشذرات لقب بالكتانى نسبة إلى الكتان

(١) ولد سنة ٦٥٤ هـ. قال عنه الذهبى : « حجة العرب وعالم الديار المصرية » كان من خلصاء ابن تيمية ، حتى لقد امتدحه بقصيدة منها :

قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم إذ عصت مضر

وفى مناظرة بينهما خطأ ابن تيمية سيبويه ، فلم يطقها منه أبو حيان ، فكان أن بهته أبو حيان فى تفسيره البحر .

(٢) فى البحر : تستر .

(٣) هم كما جاء فى البحر : « والتسترى تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية ، والصفار المقتول بغرناطة ، وابن اللباج ، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة ، ومن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون : العفيف التلمسانى ، وله فى ذلك أشعار كثيرة ، وابن عياش المالقى الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق ، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر ، والأيكى العجمى الذى كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من =

وإنما سردت هؤلاء نصحاً لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذروا، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله، ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث، وقد أولع جهلة ممن ينتمى إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله (١) ».

رأى التقى السبكى والفاسى والزواوى

والعلامة قاضى القضاة شيخ الإسلام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى الشافعى، فقال: « ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربى وغيره، فهم ضُلَّالٌ جُهَّال، خارجون عن طريقة الإسلام، فضلا عن العلماء » قال ذلك فى باب الوصية من شرح [٤٤] المنهاج ونقله الكمال الدميرى، والتقى الحصنى، وقال الحافظ تقى الدين الفاسى فى كتابه فيه : « وقد أحرقت كتب ابن عربى غير مرة ». ومِمَّن صنع ذلك من العلماء المعتبرين: الشيخ بهاء الدين السبكى، والعلامة القاضى شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوى (٢) المالكى شارح صحيح مسلم، فقال: « وأما ماتضمنه هذا التصنيف من الهذيان، والكفر والبهتان، فهو كله تلبيس وضلال، وتحريف وتبديل، فمن صدق بذلك أو اعتقد [صحته (٣)]

= ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التسترى المقيم كان بحارة زويلة» انتهى نقلا عن تفسير البحر لأبى حيان. وزاد فى تفسيره النهر: « والشريف عبد العزيز المنوفى، وتلميذه عبد الغفار القوصى ».

(١) ورد بعد هذه فى البحر: « وأولياؤه، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين » انظر تفسير سورة المائدة من البحر لأبى حيان.

(٢) ولد سنة ٦٦٤ هـ، وتوفى سنة ٧٤٣ هـ انتهت إليه رياسه الفتوى فى المذهب المالكى بمصر والشام، وقد شرح صحيح مسلم فى اثنى عشر مجلداً وسماه: إكمال الإكمال.

(٣) ساقطة من الأصل، وأثبتها عن العلم الشامخ، فقد ورد فيه نص هذه الفتوى ص ٤٩٨.

كان كافراً ملحداً ، صادًّا عن سبيل الله ، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ملحداً فى آيات الله ، مُبَدِّلا لـكلماته ، فإن أظهر ذلك ، وناظر عليه ، كان كافرا يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قُتِل ، وإن أخفى ذلك ، وأسره كان زنديقاً ، فيقتل متى ظهر عليه ، ولا تقبل توبته إن تاب ؛ لأن توبته لا تعرف ، فقد كان قبل أن يظهر عليه يقول بخلاف ما يبطن ، فعلم بالظهور عليه خبث باطنه ، وهؤلاء قوم يسمون الباطنية ، لم يزالوا من قديم الزمان ضُلَّالا فى الأمة ، معروفين بالخروج من الملة ، يُقْتلون متى ظهر عليهم ، وينفون من الأرض ، وعادتهم التَّمَصْلح والتدين ، وادعاء التحقيق ، وهم على أسوأ طريق [فالحذر كل الحذر منهم فإنهم أعداء الله ، وشر من اليهود والنصارى ، لأنهم قوم لا دين لهم يتبعونه ، ولا رب يعبدونه ، وواجب على كل من ظهر على أحد منهم أن ينهى أمره إلى ولاة المسلمين ، ليحكموا فيه بحكم الله تعالى[١]] ويجب على [من[٢]] وَلِيَ الأمر[٣] إذا سمع بهذا التصنيف البحث عنه ، وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها ، وأدب من اتهم بهذا المذهب ، أو نسبب إليه ، أو عرف به ، على قدر قوة التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه » .

رأى البكرى

ومنهم الشيخ الإمام المحقق الزاهد القدوة العارف نور الدين على بن يعقوب البكرى الشافعى ، قال : « وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ، ويكون المراد بها ظاهرها ، فصاحبها ألعن وأقبح من أن يُتَأَوَّل له ذلك ، بل [هو[٤]]

---

(١) ما بين هذين [ ] ساقط من الأصل . وأثبته عن العلم الشامخ ص ٤٩٨ .

(٢) أثبتها عن المصدر السابق .

(٣) فى الأصل : الأمراء ، وهى كما أثبتها فى العلم الشامخ .

(٤) أثبتها عن المصدر السابق .

كاذب فاجر، كافر فى القول والاعتقاد، ظاهراً و باطناً ، و إن كان قائلها لم يرد ظاهرها، فهو كافر بقوله ، ضال بجهله ، ولا يعذر فى تأويله لتلك [الألفاظ] إلا أن يكون جاهلا بالأحكام جهلا تاماً عاماً ، ولا يُعْذَر فى جهله لمعصيته ، لعدم مراجعة العلماء والتصانيف (١) على الوجه الواجب من المعرفة فى حق من يخوض فى أمر الرسل ومتبعيهم ، أعنى معرفة الأدب فى التعبيرات ، على أن فى هذه الألفاظ ما يتعذر ، أو يتعسر تأويله ، بل كلها كذلك ، و بتقدير التأويل على وجه يصح فى المراد ، فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذى شرحناه . وأما دلائل ذلك فهى مذكورة فى تصانيف العلماء ، وفيما ألفته أيضاً فى بعض المسائل وليست هذه الورقة مما تسع الكلام على أقوال هذا المصنِّف (٢) لفظة لفظة .

مسألة الوعيد

لكن مسألة الوعيد – يعنى التى قال فيها ابن عربى : وما لوعيد الحق عين تُعاين (١) – لا بد فيها من نبذة لطيفة للضرورة . اعلم [٤٥] أنه ثبت بالدلائل العقلية والسمعية ، و إجماع المسلمين أن قول الله حق ، وخبره صدق ، وذلك واجب له لذاته سبحانه وتعالى ، ومن أنكر أن خبر الله حق ، أو أن وعده ووعيده صدق فهو كافر بإجماع المسلمين ، و إنما قال بعض الناس من الأصوليين : إنه لا يجب وقوع الوعيد بتأويل مقرر فى الأصول ، وحقيقته ترجع إلى أن كلام الله تعالى مُنزَّل على عادة العرب فى تخاطبها ، وعادتها إذا أوعدت بالعقوبة – و إن كانت

---

(١) ما دام قادرا على مراجعة التصانيف ، فالواجب عليه قبل كل شىء : تدبر آيات الله سبحانه ، ففى قبس واحد من نوره ما يبدد باطل التصوف وضلاله ، أما أن ندعوه إلى مراجعة التصانيف دون الكتاب والسنة ، فهى دعوة إلى اتخاذ أرباب من دون الله ، وهى بعينها دعوة التصوف .

(٢) يقصد فصوص الحكم لابن عربى .

(٣) يعنى: إنكار ابن عربى وقوع العذاب على المشركين والكافرين يوم القيامة

صورتها الوعيد الجازم ـ فإنما تريد : إذا لم تعف ، وأصرت على الانتقام ، وادَّعِيَ أن ذلك مركوز فى طباعها ، وأن حقيقة اللفظ الحملُ عليه ، سواء أراده حالة التخاطب ، أو لم يرده . وقال فيه آخرون : إن الرب سبحانه وتعالى علق الأشياء بمشيئته فى غير موضع ، وأن الوعد المُطْلَق مقيدٌ بالمشيئة ، فجوز أن يقع الوعيد بشىء ، فلا يحصل المتوعَّد : إما لأن حقيقة اللفظ مقيدة بعدم العفو ، وإما لأن مطلق اللفظ مقيد بنصوص أخر مع أمور أخرى يحتملها اللفظ مطلقاً من غير دليل خاص : من تقييد المطلق ، وتخصيص العام ، واحتمال الإضمار والمجاز . وجوز أن يضع الله تعالى اللفظ وضعاً جديداً لمعنى آخر لا نفهمه العرب عند بعض الناس إلى غير ذلك . ومع هذا كله ، فإنما هو كلام فى أصل الوعيد من حيث الجملة . وأما خصوص مسألة وعيد الكافرين ، فلا خلاف أن المراد به قد علم ، وأن من ادعى أن الكفار لا يعذبون أصلا ، فهو كافر ، إلا أن يكون مِمَّن لم تبلغهم الدعوة ، أو فى معناه . والمراد فى وعيد الكافرين المعلوم : هو أنهم يُعَذَّبون فى النار العذاب الشديد ، ولا يغفر كفرهم المغفرة المزيلة للعقوبة بعد بلوغ الدعوة ، على الوجه الذى تقوم به الحجة . والعلم بالمراد فى هذه القضية مُتَلَقَّي بوجهين : أحدها : أخبار التواتر . الثانى : فهم الصحابة لذلك عن المعصوم فهماً قطعياً منقولا إلينا بالتواتر المعنوى (١) ، وإنما تكلموا فى مسألة الخلود دون أصل

---

(١) ورد الخبر عن عذاب الله للكفار وغيرهم بصيغة الماضى فى بعض الآيات ، ومثاله : (٧١ : ٢٤ مما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا نارا) والتعبير عما سيقع بصيغة تفيد أنه وقع بغير تحقق الوقوع ، وأنه سيقع لا محالة ، ثم إن ابن عربى إنما ينكر العذاب ؛ لإيمانه بوحدة الوجود ، وبالتالى إلى وحدة الأديان . فالزنديق يدين بأن الله سبحانه عين كل شىء ، ويدين بأن كل دين هو عين الحق ، فكيف يعذب الله كافرا ، أو مشركا ؟ والكافر عنده هو الله ، وكذلك المشرك . والكفر دين حق وكذلك الشرك . لايمكن وقوع العذاب ، وإلا قلنا : إن الله يعذب نفسه . هذا سر إنكار ابن عربى وقوع العذاب ، فهو فى واد ، وما ذكره المؤلف هنا عن الوعيد فى واد آخر .

التعذيب ، فمن حاك[١] الخلاف عن السلف ، ومن[٢] حاك الإجماع فى مثله ، ففيها نظر . والله أعلم » .

فتوى البالسى وابن النقاش

ومنهم العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالسى[٣] الشافعى ، فقال : « من صدق هذه المقالة الباطلة أو رضيها ، كان كافرا بالله تعالى يراق دمه ، ولا تنفعه التوبة عند مالك وبعض أصحاب الشافعى ، ومن سمع هذه المقالة القبيحة تعيّن عليه إنكارها بلسانه ، بل يجب عليه منع قائلها بالضرب ، إن لم ينزجر باللسان ، فإن عجز [٤٦] عن الإنكار بلسانه أو بيده ، وجب عليه إنكار ذلك بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .. ومنهم نادرة زمانه العلامة أبو أمامة محمد بن على ابن النقاش[٤] المصرى الشافعى فى تفسيره[٥] ، وأجاد جداً فى تقرير مذهبهم ، وبيان عواره ، فقال : « وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل ، نزرة العلم ، اشتغلوا بهذه الحروف ، وجعلوا لها دلالات ، واشتقوا منها ألفاظا ، واستدلوا منها على مُدَدٍ وسموا أنفسهم بعلماء الحروف[٦] ، ثم جاءهم شيخ وقح من جهلة العالم يقال له :

(١،٢) لعلها حكى .

(٣) ولد سنة ٦٦٠ هـ . ولى قضاء بلبيس ، ولازم ابن دقيق العيد . وتوفى سنة ٧٢٩ هـ .

(٤) ولد سنة ٧٢٠هـ . وتوفى سنة ٧٦٣هـ .

(٥) سماه السابق واللاحق ، والتزم أن لا ينقل فيه حرفاً من تفسير أحد ممن تقدموه .

(٦) يقول ابن خلدون فى مقدمته ص ٤٤٠ عن علم الحروف : « حدث هذا العلم فى الملة بعد صور منها ، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة ، وزعموا أن الكمال الأسمائى مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب ، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء ، فهى سارية فى الأكوان على هذا النظام ، تعددت فيه تآليف =

البونى ، ألف فيها مؤلفات ، وأتى فيها بطامات ، ومن الحروف دخلوا للباطن ، وأن للقرآن باطناً غير ظاهر ، بل وللشرائع باطناً غير ظاهرها ، ومن ذلك تدرجوا إلى وحدة الوجود ، وهو مذهب الملحدين كابن عربى وابن سبعين وابن الفارض ممن يجعل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق ، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد بل يقولون بالوحدة ؛ لأن الاتحاد يكون افتعالا بين شيئين ، وهم يقولون : الوجود واحد لا تعدد فيه ، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين ، والواحد بالنوع ، فإن الموجودات مشتركة فى مُسَمَّى الوجود ، ولكن ليس وجودُ هذا وجودَ هذا . والقدْر المشترك هو كُلِّيٌّ ، والكلى المطلَق لا يوجَد كليا مطلقا إلا فى الأذهان ، لا فى الأعيان ، بل كل موجود ،من المخلوقات له وصف يختص [به] لا يشاركه فيه غيره فى الخارج ، وأنقص المراتب عند هؤلاء مرتبة أهل الشريعة ـ ثم قال: وهم متأهلون للخيال ، معظمون له ، ولا سيا ابن عربى منهم ، ويسميه : أرض الحقيقة ، ولهذا يقولون بجواز الجمع بين النقيضين (١) ، وهو من الخيال الباطل ، وقد علم المعتنون بحالهم من علماء الإسلام كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ،

= البونى وابن عربى وغيرهما» ويعرف طاش كبرى زادة هذا العلم فى مفتاح السعادة ص ٤١٨ جـ ٢ ط الهنـد : (هو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد ، أو الحروف على التناسب والتعادل ، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر فى القوابل حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها » وانظر ص ٦٨ من كتاب نقض المنطق لابن تيمية . وما زال كثير منهم يهول بهذه الأساطير يمدونها شركا لمال يتيم يراد استلابه ، أو عرض يبتغى استلابه .

(١) قولهم بهذا الخبل راجع إلى إيمانهم بوحدة الوجود ، حتى زعموا أن ذات الإله : جامعة بين النقيضين ، وبين الضدين ، وأن هذا الجمع أول مقوماتها وأبين خصائصها ، قال الجيلى فى كتابه الإنسان الكامل ص ٦٩ جـ ١ : « الألوهية فى نفسها تقتضى شمول النقيضين ، وجمع الضدين بحكم الأحدية » هـذا لإيمانهم بأنه سبحانه عين كل شىء وكل معلوم .

وابن الحاجب وغيرهما: أن الجن والشياطين تمثلت لهم، وألقت كلاما يسمعونه، وأنواراً يرونها[1]، فيظنون ذلك كرامات، وإنما هي أحوال شيطانية ،لارحمانية وهي من جنس السحر. ولقد حكى سعيد الفرغاني في شرح قصيدة ابن الفارض أن رجلا نزل دجلة، ليغتسل لصلاة الجمعة، فخرج من النيل، فأقام بمصر عدة سنين، وتزوج، وولد له هناك، ثم نزل ليغتسل لصلاة الجمعة، فخرج من دجلة فرأى غلامه ودابته والناس لم يصلوا بعد الجمعة، ومن المعلوم لكل ذي حس أن يوم الجمعة ببغداد ليس بينه وبين يوم الجمعة بمصر يوم فضلا عن أكثر منه ولا الشمس توقفت عدة أعوام في السماء، وإنما هو الخيال، فيظنونه لجهلهم في

(١) جرى مثل هؤلاء الشيوخ على تصديق ما يهرف به خيال الصوفية من رؤية أنوار وسماع كلام، ثم يحاولون تعليل هذا الباطل بغير علته الحقة، فيزعمون أن ذلك النور والكلام تهاويل جن تجسدت لهم، وخيالات شياطين تبدت في صور إنسية. هذا ليردوا إفك الصوفية فيما زعموه من رؤية نور الله وسماع كلامه. والحق أن الصوفية لم يروا نورا، ولم يسمعوا كلاماً، والحق أنهم كاذبون مفترون، يدعون هذا بغية استعباد المخابيل والمفاليك لشهوات الجريمة التي تتلمظ على أنيابهم، وينزو قيحها من صدورهم. وفي الكتاب والسنة ما يشهد بكذبهم، ويدمغهم بأنهم أحلاس إفك وبهتان، فموسى عليه السلام خر صعقاً حين تجلى الله للجبل، وربنا سبحانه: ما يكلم إلا رسله وحيا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء، أفهؤلاء الدعاة إلى الإثم والوثنية من رسل الله؟ أتراهم أقوى روحا من موسى عليه السلام؟ ألا فلنقتص الكذب والزور نفسه، أما تصديق دعاويهم، ثم تعليلها بمثل ما عللها به هؤلاء الشيوخ، ففيه مشايعة للباطل في بعض ما يفتريه، ومساندة له في أدنأ بهتانه. فالله سبحانه يقول عن الشيطان: إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم، والرسول الكريم ما رأى الجن وهم يستمعون القرآن، وعذر الشيوخ أنهم كانوا يعيشون في عصر امتلأ بهذه المؤتفكات، حتى صارت - وكأنها من مسلمات البديهة - فردوا الباطل بما مكن لهم عصرهم أن يردوه به.

الخارج(١) . ثم قال(٢) : وحقيقة قولهم : إن ماثم وجودا [٤٧] إلا هذا العالَم ، لاغير ، كما قاله فرعون ، لكن هم يقولون : إن العالم هو الله ، وفرعون أنكر وجود الله – ثم قال – : قيل لبعض أكابرهم : ما(٣) الفرق بينكم و بين النصارى ؟ قال : النصارى خصصوا(٤) ، وهذا موجود فى كلام ابن عربى ، وغيره . ينكرون على المشركين تخصيصهم عبادة بعض ، والعارف عندهم يعبد كل شىء(٥) – ثم قال : ومن المعتقدين الحلول الخاص طائفة من أتباع العبيدية(٦) الباطنية الذين ادعوا أنهم علويون – ثم قال : وقد اعتقدت طائفة منهم الإلهية فى الحاكم(٧) كالدريزية

---

(١) أى : يظنون ماتخيلوه حقيقة واقعة ، وماظنهم هذا عن جهل ، وإنما هو عن خيال يمس الكلب فيخال نفسه أسدا ، والشيطان فيظن نفسه ملاكا .

(٢) أى : ابن النقاش .

(٣) فى الأصل : لما .

(٤) أى جعلوا عيسى وحده رباً وإلها ، وكان الواجب – هكذا يفترى الزنادقة – أن يتخذوا من كل شىء رباً وإلها ، لأن الإله عين كل شىء !!

(٥) نص ابن عربى : « والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه » ص ١٨٥ ط الحلبى .

(٦) نسبة إلى عبيد الله أبى محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح من سلالة ميمون ، وعبيد . هو إمام الشيعة الإسماعيلية فى عصره ، ومؤسس الدولة الفاطمية ولد سنة ٢٦٠هـ وآلت إليه زعامة الإسماعيلية سنة ٢٨٠هـ وتوفى وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة .

(٧) منصور بن عبد العزيز بن المعز الفاطمى ، ادعى الإلهية ، وكان غدورا سفاكا للدماء ، تثير تصرفاته المتناقضة دهشة بالغة ، تدفع إلى الظن بأنه كان نهب لوثة عقلية جامحة . ولد سنة ٣٧٥هـ ولقى مصرعه سنة ٤١١هـ على يد عبدين لابن دواس ، تنفيذا لمؤامرة دبرتها له أخته ست الملك للخلاص منه ، وما زال أتباعه الدروز حتى اليوم ينتظرون رجعته ؛ إذ يؤمنون بأنه لم يقتل ، وإنما اختفى وسيعود مرة ثانية .

أتباع شهنكير[1] الدرزى الذى كان من موالى الحاكم ، وأضل أقواما بالشام فى وادى تيم الله بن ثعلبة » انتهى .

رأى ابن هشام ، وابن خلدون

ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام[2] صاحب المغنى وغيره من المصنفات البديعة ، وكتب على نسخة من كتاب الفصوص .

هـذا الذى بضلاله ضلَّت أوائل معْ أواخر
من ظن فيـه غير ذا فليناْ عنى ، فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظُّلْم ، ونقِيض الحِـكَم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز الذم عن وصفه ، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ضـل مؤلفه ضلالا بعيدا ، وخسر خسرانا مبينا ؛ لأنه مخالف لما أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه وفطر عليه خليقته » انتهى . وقال العلامة قاضى القضاة أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون[3] : « إن طريق المتصوفة منحصر فى طريقين[4] ، الأولى : وهى

(١) يعنى محمد بن إسماعيل المعروف بأنوشتكين البخارى ، أقوى رسل حمزة ابن على بن أحمد الزوزنى المؤسس الحقيقى لمذهب الدروز ، وقد شرح أنوشتـكين أصول مذهبه القائم على أساس تأليه الحاكم فى رسالة قدمها إلى هذا فقربه واصطفاه فقوى واشتد نفوذه ، وقد سمى أنوشتكين نفسه بسند الهادى وحياة المستجيبين ، وتذهب بعض الروايات إلى أنه قتل سنة ٤١٠ هـ . وأخرى إلى أنه فر إلى الشام ، وهناك نشر دعوته ، فكانت هى نحلة الدروز الضالة .

(٢) ولد سنة ٧٠٨ هـ وتوفى سنة ٧٦١ هـ. يقول عنه ابن خلدون : « ما زلنا ـ ونحن بالمغرب ـ نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له : ابن هشـام ، أنحى من سيبويه » .

(٣) ولد سنة ٧٣٢ هـ وتوفى سنة ٨٠٨ هـ تولى قضـاء المالـكية بمصر ، يقول عنه المستشرق ديبور فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام : « مفكر متزن يحارب صناعة النجوم بالأدلة العقلية ، وكثيرا مايعارض النزعة الصوفية العقلية عند الفلاسفة عبادىء الدين » .

(٤) صوابها : طريقتين. وهكذا ذكرت فى العلم الشامخ الذى وردت فيه هذه الفتوى

طريقة السنة ، طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة ، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين[١] ـ والطريقة الثانية : وهي مشوبة البدع ، وهي

(١) ما كان من الصحابة ، ولا من التابعين صوفي ، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق ، والصوفية منذ نشأوا وحيث كانوا عصابة تنابذ الكتاب والسنة ، لا يفترق في هذا سلفهم عن خلفهم في هذا ، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته ، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق ، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الغادرة ، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب ، ولكنه خدع كغيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق ، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة !! وابن خلدون نفسه يقر بأنه بدعة ، إذ يقول في مقدمته عن التصوف : « هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ! ثم هل في الكتاب والسنة أن قبر الكرخي يقسم به على الله فيستجيب ، ويستشفى به فيهفو الشفاء ، وأن الصوفية هم غياث الخلق ؟ كما زعم القشيري في رسالته ، وهو من سلف الصوفية المتقدمين ، وأقلهم شناعة في إفك التصوف . أجاء في السنة أن العزوبية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة ، وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكي في قوته ، ونسب فريته المانوية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أفيها أن الدين شريعة وحقيقة ، وأن هذه أفضل من تلك ؟ أفيها أن المريد لابد له من شيخ ، وأن من لاشيخ له فشيخه الشيطان ؟ أفيها أن قلب المريد بيد شيخه يصرفه بهواه ؟ أفيها أن غضب الشيخ من غضب الله؟ أفيها أن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل ؟ أفيها أن الولي أفضل من النبي ؟ أفيها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى ؟ أفيها أن الذريات تسبح بحمد الأولياء ، وأن هؤلاء يفقهون تسبيحها ؟ كما زعم الغزالي ؟ تلك بعض مفتريات سلف الصوفية الأقدمين، بهتوا بها الحق والهدى منذ سمى أول رجل منهم بالصوفي في منتصف القرن الثاني للهجرة وبعده ، وتلك بعض ضلالات أولئك الأول الذين يزعم لهم ابن خلدون ـ وغيره ـ أن طريقهم مؤيد بالكتاب والسنة !! أفتنسم على روحك مما نقلته عنهم نسمات حق ، أو عبير هدى ؟ كلا بل إنه يحموم كفر ومجوسية ألا فلنقل الحق : ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده من سلف ومن خلف . والتقسيم الصحيح للصوفية أن يقال : إنه قسمان : عملي ونظري ، وأن =

طريقة قوم من المتأخرين ، يجعلون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها ، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربى وابن سبعين ، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ، ودان بنحلتهم (١) ، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح [الكفر (٢)] ومستهجن البدع ، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه ، وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة ، أو عدها فى الشريعة ، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ، ولو بلغ المثنى ما عسى أن يبلغ [من (٣)] الفضل ؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلا ، أو شهادة من كل أحد (٤) وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة ، وما يوجد من نسخها بأيدى الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربى والبد لابن سبعين وخلع النعلين لابن قسى [وعين اليقين لابن برجان ، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمسانى (٥) ، وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب ، وكذا شرح ابن الفرغانى للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض (٦)] فالحكم فى هذه

= هذا وليد ذاك ، فالنظرية وليدة التطبيق ، ثم نبين خصائص كل من النوعين ، مقارنين بينهما وبين الحق من الكتاب والسنة ، وسترى بعد هذه المقارنة أن التصوف فى نشأته وتطوره فى سلفيته وخلفيته لا ينتسب إلى الإسلام برحم : دانية ، أو نائية .

(١) فى الأصل بتخلقهم ، والتصويب من العلم الشامخ .

(٢،٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن العلم الشامخ .

(٤) هذا قول يحمده الحق لابن خلدون .

(٥) داعر من زنادقة الصوفية ، لا يحرم فرجاً ، ويبيح نكاح الأم والأخت ، ويرى القرآن كله شركا ، وماعنده غير ولاسوى بوجه من الوجوه . هلك سنة ٦٩٠ أما ابن سبعين فمن القائلين بالوحدة المطلقة ، ولد بمرسيا سنة ٦١٣ هـ . وهلك سنة ٦٦٧ هـ بمكة .

(٦) مابين هذين [ ] لم يرد فى الأصل ، وأثبته عن ص ٥٠٠ من العلم الشامخ إذ أورد فيه مؤلفه المقبلى نص فتوى ابن خلدون .

الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والغسل بالماء حتى ينمحى[١] أثر الكتاب ؛ لما فى ذلك من المصلحة العامة [٤٨] فى الدين بمحو العقائد المختلفة ، فيتعين على ولى الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق » .

رأى الشمس العيزرى

ومنهم العلامة شمس الدين محمد العيزرى الشافعى فى كتاب سماه : الفتاوى المنتشرة . قال عن الفصوص : « قال العلماء : جميع ما فيه كفر ؛ لأنه دائر مع عقيدة الاتحاد[٢] ، وهو من غلاة الصوفية المحذَّر من طرائقهم ، وهم شعبان[٣] : شعب حلولية يعتقدون حلول الخالق فى المخلوق ، وشعب اتحادية لايعتقدون تعدداً فى الوجود فى زعمهم أن العالم هو الله ، وكل فريق منهم يكفر الآخر ، وأهل الحق يكفرون الفريقين . ثم قال . ومنهم ابن الفارض صاحب الديوان ــ وعد جماعة معه ــ ثم قال : ذَكَرَ هؤلاء بالحلول والاتحاد جماعة من علماء الشريعة المتأخرين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبى عمرو بن الصلاح ، وابن دقيق العيد ، وشيخ الفقهاء الزين الكتنانى ،و قاضى القضاة الشيخ تقى الدين السبكى ، وحكم بتكفيرهم القضاة الأربعة : البدرُ بن جماعة ، والزين الحنفى ، والشرف الزواوى ، والسعد الحنبلى[٤] ــ ثم ذكر كلام الشيخ أبى حيان فيهم

---

(١) فى الأصل : يمتحى . والتصويب من العلم الشامخ .

(٢) صوابها : الوحدة . فهذا هو دين ابن عربى .

(٣) الحق أنهم ثلاثة : حلوليون ، واتحاديون ، وأهل الوحدة ، ولعل العيزرى يستعمل الاتحاد فى الدلالة على الوحدة أيضا.

(٤) تقدم ذكر بعض هذه الفتاوى ، وقد أوردها صاحب العلم الشامخ فطالعها فيه من ص ٤٩٥ وما بعدها .

من تفسيره البحر (١) إلى أن قال : ـ وقد انتدب بعض المغالطين من أهل العلم ممن يحسن الظن ببعضهم ، ولا صواب معه ، وصنَّف تأويلات لنظم السلوك (٢) وتعسف بما لا يصح الأخذ به لقوة ظواهر الألفاظ الخارقة جزما لسياج عصمة الديانة ، وانتهاك حرمة الربوبية ـ ثم قال : ـ ويُحَوِّم (٣) بظاهر كلامه على أنه هو الله ، وأن الله هو ، وهذا بهتان قبيح ، وكفر صريح ـ ثم قال : ـ وكان ابن الفارض يقول : إنما قتل الحلاج لأنه باح بسره ، إذ شرط هذا التوحيد الـكَتْم (٤) » .

رأى لسان الدين ابن الخطيب ، والموصلى

ومنهم العلامة لسان الدين محب بن الخطيب الأندلسى المالـكى (٥) فى كتابه روضة التعريف بالحب الشريف ، وأجاد فى تقرير مذهبهم ، ورد ما شاء ، فقال « الفرع الخامس فى رأى أهل الوحدة المطلقة ـ ثم قال ـ : وحاصله: أن البارى ـ جل وعلا ـ هو مجموع ما ظهر ، وما بطن ، وأنه لا شىء خلاف ذلك ، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة والآنِيَّةُ الجامعة التى هى عين كل آنية ، والهوية التى هى

---

(١) سبق ذكر قول أبى حيان .

(٢) هى التائية الـكبرى لابن الفارض .

(٣) لا ، بل يسف إسفافا ، ويصرح بهذا غير موار ولا موارب .

(٤) يعنى توحيدهم القائم على أساس اعتقاد أن الحق عين الخلق ، ويجبن بعض الصوفية عن التصريح المبين بهذا مخافة القتل ، ولذا يقول الغزالى عن هذه المرتبة ، محذراً لإخوانه الصوفية : إنها سر الربوبية . وإفشـاء سر الربوبية كفر ، ويقول السهروردي المقتول :

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تباح

(٥) هو ذو الوزارتين مضرب المثل فى الـكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم ولد سنة ٧١٣ هـ بغرناطة ، وتوفى سنة ٧٦٦ هـ .

عين كل هوية(١) إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان والخلاف والغيبة والظهور والألم واللذة والوجود والعدم . قالوا : وهذه إذا حُقِّقت إنما هى أوهام راجعة إلى أخبار الضمير ، وليس فى الخارج شىء منها ، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره ، وما فيه واحداً ، وذلك الواحد هو الحق ، وإنما العبد مؤلف من طرفى حق وباطل ، فإذا سقط الباطل — وهو اللازم بالأوهام — لم يبق إلا الحق [٤٩] وصرحت بذلك أقوال شيوخهم ، فمنه قول ابن أحلى : حق أقام باطلا ببعض صفاته ، وقال الحلاج وابن العربى : وقد تعرض لما به وقع التعدد ، وأنه وهم ، فالكل واحد وإن كان متفرقاً . فسبحان من هو الكل ، ولاشىء سواه الواحد بنفسه ، المتعدد بنفسه » .

ومنهم الحافظ الرحلة شمس الدين أبو عبد الله محمد الموصلى الشافعى ، نزيل دار الحديث بدمشق . فقال . « وفى كلام ابن عربى من الكفر الصريح الذى لا يمكن تأويله شىء كثير يضيق هذ الوقت من وصفه ، ومنه تفسير اسمه : العَلِيِ بأن قال : العَلِيُّ على من ؟ وما ثَمَّ إلا هو(٢) ! ! وهو المسمى أبا سعيد [الخراز] .

رأى البساطى

ومنهم شيخنا علامة زمانه قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطى المالكى قاضى مصر . قال فى أول كتاب له فى أصول الدين فى المسألة السادسة فى حدوث العالم : « وخالفنا فى ذلك طوائف . الأولى : الدهرية ، والثانية :

---

(١) يعنى : أنهم يدينون بأن الله سبحانه عين كل ما بطن ، وعين كل ما ظهر . فالآنية عندهم هى تحقق الوجود العينى من حيث مرتبته الذاتية ، وتدل مواردها على أنها تستعمل فى مقابل الماهية : أى المرادفة لمجرد الوجود ، وقد سبق تعريف الهوية .

(٢) فى الأصل : العلا علا عن من ، وليس ثم غيره ، والتصويب من الفصوص

متأخرو الفلاسفة كأرسطو[(١)] ، ومن تبعهم من ضُلاَّل المسلمين كابن سينا والفارابى[(٢)] ومن حلّى كلامه ، وزخرفه بشعار الصالحين كابن عربى وابن سبعين ثم قال فى الكتاب الثانى فى المسألة السادسة فى أنه سبحانه ليس متحداً بشىء : واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة فى العقول سرت فى جماعة المسلمين ، نشأوا فى الابتداء على الزهد والخلوة والعبادة ، فلما حصلوا من ذلك على شىء صفت أرواحهم ، وتجردت نفوسهم ، وتقدست أسرارهم ، وانكشف لهم ما كانت الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه[(٣)] ، وقد كانت طرق أسماعهم من

---

(١) أعظم فلاسفة اليونان على الإطلاق ، ولد بمدينة استاجيرا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، أستاذه إفلاطون ، ومن تلاميذه اسكندر المقدونى . توفى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

(٢) الفارابى : هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر ، يقول عنه ابن خلكان : « أكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه » . ولد فى وسيج قرية تقع فى فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر ، حصل علومه فى بغداد على يوحنا بن خيلان ، ومات فى دمشق سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاما . أما ابن سينا فولد فى أفشنة على مقربة من بخارى سنة ٣٧٠ هـ . فى بيت تسوده تقاليد فارسية معارضة للاسلام. تقلد الوزارة لشمس الدولة فى همدان . وتوفى سنة ٤٢٨هـ وهو أشهر وأكبر فلاسفة عصره .

(٣) ما هذا الذى انكشف لهم ؟ لعله صور مافى أذهانهم المخبولة من تهاويل الجنون . ثم إن الإسلام ليس دين رهبانية ، ولا زهادة تطوى الذات على نفسها الولهى ، حتى تخمد فيها جذوة الحياة الشاعرة ، وتخبو وقدات الشعور والإحساس بواجب الدين والنفس والحياة ، وهى طريحة الوهم فى غيابة كهفها الساهم المظلم الحزين ، إنما الإسلام دين العمل والجد ، مع الإيمان المشرق والتقوى ، وانطلاق النفس فى رحاب الوجود ومجاليه ، كادحة فى سبيل الله ، لتحقيق الغاية الكبرى، هى أن يكون الناس أمة واحدة تتجاوب أرواحهم بالإيمان والمحبة ، وتتجه مشاعرهم فى كل هزة إلى الله وحده ، وتتوحد بواعثهم وغاياتهم فى عبادة الله رب العالمين، معتصمة بالحق والهدى من الكتاب والسنة .

خرافات النصارى ، أنه إذا حل روح القدس فى شىء نطق بالحكمة ، وظهر له أسرار مافى هذا العالم ، مع تَشَوُّف النفوس إلى المناصب العلية ، فذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة ، فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى الذى قالته النصارى [١] ، وزادوا عليه أنهم لم يقصروه على المسيح ، كما ذهب إليه الغلاة من الروافض فى على رضى الله عنه ، وكذا ما ذهب إليه جماعة فى خاتم الأولياء [٢] عندهم من

---

(١) يرى اليعاقبة من النصارى أن اللاهوت والناسوت يؤلفان فى المسيح طبيعة واحدة ، ويزعمون أن الكلمة انقلبت لحما ودما ، فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، فإرادة الله وفعله هما إرادة المسيح وفعله ، هذا على حين كان الملكانيون يميزون بين طبيعتين فى المسيح اللاهوت والناسوت، ويزعمون أن مريم ولدت إلها أزليا ، وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت ، وأطلقوا اسم الأبوة على الله ، والبنوة على المسيح ، أما النسطوريون ، فكان أكثر تدقيقا من الملكانيين فى التميز بين الطبيعتين ، فأثبتوا للمسيح خصائص الإنسان فى الوجود والإرادة والفعل ، مميزين بين هذا وبين ما للعنصر اللاهوتى ، زاعمين أن الله سبحانه ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، ويدعون أن هذه الأقانيم ليست هى زائدة على الذات ، ولا هى هو « قارن بين هذا وبين رأى الأشاعرة فى الصفات » وأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كالملكانية ، ولا الظهورية كاليعاقبة ، ولكن كإشراق الشمس على بللور أو النقش فى الخاتم .. هذا معتقد النصارى ، ولعلك موقن بعده أن الصوفية أشد إيغالا فى الكفر من هذا ، فكل مانسبته المسيحية المفلسفة إلى المسيح من ربوبية وإلهية ونبوة نسبته الصوفية إلى كل شىء ، قالت المسيحية : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقالت الصوفية : إن الله هو عين كل شىء . قالت الأولى : إن الله ثالث ثلاثة ، وقالت الصوفية : إن الله هو مالا يحصى ولا يتناهى من الأبدان والعناصر ، فأيهما أدخل فى الكفر الخبيث من الآخر ؟

(٢) يدين الصوفية بأن النبوة أعلى من الرسالة ، وبأن الولاية أعلى من النبوة ، فيكون الولى عندهم أسمى مقاما من النبى والرسول ، ولذا يقول ابن عربى :

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ، ودون الولى =

= واستدلوا على إفكهم بأساطير : أولا : للولى يعلم الشريعة والحقيقة ، خبير بالظاهر والباطن ، والنبي والرسول لا يعلمان سوى الشريعة أو الظاهر فحسب . ثانياً : الرسالة والنبوة محددتان بالزمان والمكان ، ولذا تنقطعان ، وقد انقطعتا فعلا ، أما الولاية فلا تحدها مكانية ولا زمانية ، بل هى صنو الديمومة والسرمدية والانطلاق . ثالثاً : الرسول لا يستمد معرفته عن الله مباشرة . بل بواسطة ملك يبلغه الوحى الإلهى ، أما الولى فيستمد الحقيقة فيضا مباشراً من باطن الحقيقة المحمدية : أى ذات الله مع التعين الأول . رابعاً : أفضل أسماء الله هو الولى ، وكل موجود هو إسم إلهى تعين فى صورة هذا الموجود ، فيكون الموجود الذى تعين فيه الله باسمه الولى ، أفضل من الذى تعين فيه باسمه الرسول أو النبى ، ولما كان للنبيين خاتم ، فكذلك للأولياء خاتم ، وهو يستمد فيوضات علم الحقيقة مباشرة عن الروح المحمدى ، وهو أشبه ما يكون بالعقل الأول عند أفلوطين ، أو بالكلمة فى المسيحية المفلسفة .

وإليك ما يذكره ابن عربى عن خصائص الولاية وخاتم الأولياء « واعلم أن الولاية هى الفلك المحيط العام ، ولهذا لم تنقطع ، وأما نبوة التشريع والرسالة ، فمنقطعة ، والرسول من حيث هو ولى أتم من حيث هو نبى ورسول، فمرجع الرسول والنبى إلى الولاية والعلم » ثم يقول عن علم الحقيقة « ما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه — متى رأوه — إلا من مشكاة خاتم الأولياء » ثم يقول عن الخاتم : « وخاتم الأولياء الولى الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب » . أنظر ص ١٣٤ ، ص ٦٢ ، ص ٦٤ من فصوص الحكم ط الحلبى ولعل أول من زمزم لهم بهذه الأسطورة الكهنوتية : هو محمد بن على بن الحسن بن بشر المعروف بالحكيم الترمذى ـ وهو غير صاحب السنن ـ وألف فيها كتابا سماه ختم الولاية زعم فيه أن خاتم الأولياء يكون فى آخر الزمان ، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء ، ومن أبى بكر وعمر ، ومن خصائصه عند اشتغاله بالأعمال القلبية أكثر من اشتغاله بالعبادة ، ولذا زعم الحكيم الترمذى: أن الولاية أفضل من النبوة، ووضوح الباطل فى هذه الأساطير بين لا يحتاج إلى بيان . وقد رد الإمام ابن تيمية عليها فى الجزء الرابع ص ٥٧ مجموعة الرسائل والمسائل . هذا دين الصوفية فى الولاية والولى وخاتمهم ، ومنه توقن: لم يضيف الصوفية إلى أوليائهم قدرة الله وعلمه =

الحلول، ولهم فى ذلك كلمات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم ، بل منها مالا يقبل التأويل ، ولهم فى التأويل خلط وخبط ، كلما أرادوا أن يقربوا من المعقول ازدادوا بعداً ، حتى أنهم استنبطوا قضية حلت لهم الراحة ، وقنعوا فى مغالطة الضرورة بها بالمغيب ، وهى أن ماهم فيه ، ويزعمونه وراء العقل ، وأنه بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم محجوب مطرود عن الأسرار الإلهية ، وفى هذا كفاية . والله أعلم » انتهى .

البساطى وشرحه للتائية

وقد قام فى زماننا ناس حدثان الأسنان سفهاء الأحلام ، أرادوا [٥٠] إظهار هذا المذهب ، ثم أخزاهم الله تعالى ، فَقُلْقِلُوا كل مُقَلْقَل ، وكان مما قالوه : أن الشمس البساطى هذا منهم ، وأنه شرح تائية ابن الفارض ، فاسْتُبْعِد هذا منه . وإن كان ماقالوه صحيحاً ، فقد قضى على نفسه فى كلامه هذا ، بأنه خرج من دائرة العقل . ثم يسَّر الله — وله الحمد — الاطلاع على الشرح المنسوب إليه ، فإذا هو برىء مما فَرَقُوه به كما كنت أظن ، فرأيته قال فى أوله : « أما بعد : فهذا كتاب شرح قصيدة ابن الفارض ، ولباب فتح ، وصيدِ لَحْنِ [ابن] الفارض على وجه أنّا نُبَيِّن مراده من كلامه بقدر فهمنا لمقصوده منه ، ولا يلزمنا صحة ماقاله فى العربية لفظا ، أو فى الشريعة معنى ، أو استحسانا ، عقلا أو شرعا أو عرفا » ثم تكلم على الأبيات على وجه يظهر منها حملها على موافقة الشرع ما أمكنه ، فإذا عجز صرّح فى ذلك الموضع بما يليق به من الحكم عليه من غير

= وحكمته وربوبيته وإلهيته ؟ وتوقن : لم نحارب هذه الولاية المزعومة ؟ وسنظل بعون الله ندمر هذه الطواغيت والأصنام ، داعين الناس إلى أن يكونوا من أولياء الله الذين وصفهم رب العالمين : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

محاباة ، ولا تحامل ، فظن الجهلة الذين جُلُّ اعتقادهم فى تدريج ضلالهم على الكذب مكراً منهم كما قال ابن عربى تبعاً لقدماء الباطنية أن الدعوة إلى الله مكر - أنه[١] ليس فى الشرح مايدل على عوار مذهبهم الخبيث إلا فى الخطبة ، فقطعوا الورقة الأولى من النسخة التى بخطه ، وكتبوا عوضها من غير خطبة ، ففضحهم الله بهذه النسخة التى ظفرت بها . وقال[٢] فى شرح قوله :

وهأنا أبدى فى اتحادى مبدئى وأنهى انتهائى فى تواضع رفعتى

إلى أن قال :

فإن لم يجوز رؤية اثنين واحدا حجاك ، ولم يُثْبِت لبعدِ تَثَبُّتِ

سأجلو إشارات عليك خفية بها كعبارات لديك جلية

وأثبت بالبرهان قولى ضاربا مثالَ مُحِقٍّ والحقيقةُ عمدتى

بِمَتْبُوعَةٍ[٣] يُنْبِيكَ فى الصَّرْعِ غيرها على فمها فى مَسِّها حيث جُنَّتِ

مانصه[٤] : « ومن ظن هذا برهانا ، فجنونه أعظم من جنون المتبوعة » . وقال فى شرح قوله :

ولى من أتم الرؤيتين إشارة تنزه عن دعوى الحلول عقيدتى

---

(١) أن ومعمولاها مفعولا ظن فى قوله قبل : فظن الجهلة

(٢) أى البساطى

(٣) المرأة التى تزعم الأساطير أن لها تابعا من الجن «راكبها عفريت» ، وعلى فرض أن الأسطورة حق ، فإنها لا تصلح وهما من دليل لابن الفارض ، فالجن حين يتلبس بالمرأة يكون حالا فيها — هكذا تقول الأسطورة — وهو ينكر الحلول ، ثم إن التابع يفارق أحيانا متبوعته ، وهذا يستلزم كونها غير إله فى وقتما وهو ينكر الغيرية ، ثم إن جنى هذه ليس جنى تلك ، وهذا يستلزم الغيرية أيضا وهو يزعم أن هوية الحق فى بكر عينها فى خالد . واعجب لدين يجعل الأساطير برهانه ، والخرافة من مقوماته ! ! وماذا يكون غير دين الصوفية ؟ !

(٤) مقول قوله قبل : وقال فى شرح

وما قبله ، ومابعده مما ادعى فيه أن الله يتحد به ، ويتجلى بصورته من غير حلول ، مانصه[١] : « ولـكن دعوى تجلى الله بصورة مّا مُـكَفِّر[٢] بها شرعاً بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به[٣] ، وإن لم يكن حلولا »

رأى ابن حجر والبلقينى وغيرهما

ومنهم شيخنا شيخ الإسلام حافظ عصره قاضى القضاة أبو الفضل بن حجر ، وشيخه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى[٤] ، فقال فى ترجمة عمر بن الفارض فى لسان الميزان بعد أن ذكر ترجمة الذهبى له بأنه شيخ الاتحادية وأنه ينعق بالاتحاد الصريح فى شعره : « وقد كنت سألت شيخنا سراج الدين البلقينى عن ابن العربى ، فبادر بالجواب بأنه كافر ، فسألته عن ابن الفارض ، فقال : لا أحب التكلم فيـه ، فقلت : فما الفرق بينهما ، والمهيع واحـد ؟ ! وأنشدته من التائية [٥١] فقطع علىّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله : هذا كفر ، هذا كفر » .

ومنهم الشيخ ولى الدين العراقى وأبوه كما تقدم فى الفص الموسوىّ وغيره ، ومنهم العـلامة برهان الدين السفاقينى صاحب الإعراب ، ونظم قصيدة طويلة يتحرق فيها ، ويندب أهل الإسلام لهؤلاء الضلال ، فقال فيها :

فشيخهم الطائىّ[٥] فى ذاك[٦] قدوة يرى كلَّ شىء فى الوجود هو الحقا[٧]

---

(١) مقول قوله قبل : وقال فى شرح

(٢) فى الأصل : مكر . والتصويب من الأصل نفسه ، إذ ورد فيه هذا النص مرة أخرى .

(٣) أى : من آمن بتجلى الله فى صورة ما فى الدنيا

(٤) ولد سنة ٧٢٤ هـ ، ولى إفتاء دار العدل وقضاء دمشق ، ثم عاد إلى القاهرة توفى سنة ٨٠٥ هـ .

(٥) يعنى : ابن عربى .

(٦) فى الأصل : ذلك . وهو خطأ يختل به وزن البيت

(٧) أى الله سبحانه

وكم من غَوِيٍّ كابن سبعين مثله ... وكُلُّهمُ بالكفر قد طُوِّقُوا طوقا

وكالششترى القونوى ، وابن فارض ... فلا بَرَّد الله ثراهم ، ولا أسقى

ومن كفر ابن الفارض بصريح اسمه شيخنا محقق عصره ، قاضى القضاة شيخ الإسلام محمد بن على الغاياتى الشافعى [1] . أخبرنى عنه بذلك الثقة من غير وجه ، وأخبرنى الثقة عن الشيخ مدين [2] أنه قال : التائية هى الفصوص ، لا فرق بينهما ، وقد كان المذكور رأسَ صوفية عصرنا .

مقتل الحلاج

ومنهم الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقى الشافعى، وقال: « هؤلاء كلهم يقتفون فى مسالكهم هذه طريقة الحسين بن الحلاج الذى أجمع الفقهاء فى زمانه على كفره وقتله ، قاله الإمام أبو بكر المازرى الفقيه المالكى » قلت : وما قاله القاضى عياض كما تقدم نقله عنه فى مقدمة هذا الكتاب . والله الموفق .

قال : « وقد بسطت سيرته فى التاريخ بعد الثلاثمائة ، وذكرت صفة قتله ، واجتماع الكلمة على تكفيره من العلماء والصوفية العباد ، سوى ابن عطاء وابن خفيف ، حتى أنشدهما بعضهم من شعره قائلا: ماتقولان فى قول بعض الشعراء :

سبحان من أظهر ناسوتُه [3] ... سرَّ سَنا لاهوته الثاقب

ثم بدا فى خَلْقِه ظاهـرا ... فى صورةِ الآكلِ والشارب

---

(١) ولد سنة ٧٨٥ تقريبا . وتوفى سنة ٨٥٠ هـ

(٢) هو مدين خليفة الأشمونى ، نسبة إلى أشمون جريس من أعمال المنوفية ولد بها سنة ٧٨١ تقريبا ، وتوفى فى ربيع الأول سنة ٨٩٢ هـ يقول عنه السخاوى : « وأما فى تحقيق مذهب القوم فهو حامل رايته ، والمخصوص بصريحه وإشاراته مع أنه لم يكن يتكلم فيه إلا بين خواصه »

(٣) تقرأ بالضم وبالفتح ، وهى بالضم أدق فى الدلالة على دين الحلاج

حتى لقـد عاينته خلقُـه كلحظة (١) الحاجب بالحاجب

فقالا : هذا شعر الزنادقة (٢) ، فقال: هذا شعر الحسين بن منصور الحلاج ، فلعنا الحلاج ، ورجعا عنه » انتهى .

رأى الذهبي

وممَّن صرح بكفره ، وأحسن فى بيان أمره حافظ عصره شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، فقال فى كتابه تاريخ الإسلام بعد خط الحافظ سيف الدين ابن المجد على الحريرى المتصوف : « فـكيف لو رأى الشيخ كلام ابن عربى الذى هو محض الـكفر والزندقة ، لقال : هذا الدجال المنتظر ، ولـكن كان ابن العربى (٣) منقطعاً عن الناس ، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية (٤) ، ولا يصرح بأمره لـكل أحد ، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته ، ولهذا تمادى أمره ، فلما كان على رأس السبعمائة جدد الله لهذه [الأمة] دينهـا بهتـكه وفضيحته ، ودار بين العلماء كتابه الفصوص ، وقد خط عليه الشيخ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد الجعبرى فيما حدثنى به شيخنا ابن تيمية عن التاج [٥٢] البارنبارى أنه سمع الشيخ إبراهيم يذكر ابن عربى : كان يقول بقدم العـالم ، ولا يحرم فرجا ، وحكى عنه ابن تيمية أنه قال لما اجتمع (٥) بابن عربى:رأيت شيخاً نجساً يُـكذِّب بكل كتاب أنزله الله ، و بكل نبى أرسله الله (٦) » .

---

(١) فى الأصل : كخطة ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبته

(٢) أى من أنشدهما من شعر الحلاج

(٣) اصطلح أهل المشرق على تسميته بابن عربى ، أى من غير آل، تميزا له من أبى بكر بن العربى القاضى الفقيه المالـكى

(٤) ابن عربى زعيم وحدة الوجود لا الاتحاد

(٥) أى ابن معضاد

(٦) انظر مجموعة الرسائل والمسائل جـ ٤ ص ٧٦ ، ففيها نص ما ذكر هنا

رأى ابن تيمية وغيره من العلماء

وقال الإمام أبو العباس أحمد ابن تيمية فى كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : « وقد صنف بعضهم ـ أى أهل الاتحاد ـ كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة : بنظم السلوك ، يقول فيها ـ وذكر منها عدة أبيات[١] ـ ثم قال : إلى مثل هذا الكلام ـ أى الدال على الاتحاد ـ ، ولهذا كان عند الموت ينشد[٢] :

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيتُ فقد ضيَّعت أيامى

أُمنِيَّة ظفرت روحى بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فإنه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه ، تبين له بطلان ما كان يظنه[٣] » وقال فى إفتائه الذى استفتاه فيه الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودى ، بعد أن حكى جملة من أقوال ابن عربى صريحة فى الكفر : « فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذى هو فصوص الحكم ، وأمثاله مثل صاحبه القونوى[٤] ـ يعنى صدر الدين ـ والتلمسانى وابن سبعين ، والششترى وابن الفارض وأتباعهم ، مذهبهم الذى هم عليه أن الوجود واحد ، ويسمون أهل وحدة الوجود ، ويدعون التحقيق والعرفان ، وهم يجعلون وجود

---

(١) مما استشهد به ابن تيمية قول ابن الفارض :

لها صلواتى بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لى صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع فى كل سجدة

وما كان لى صلى سواى ولم تكن صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة

(٢) أى ابن الفارض

(٣) انظر ص ٨٣ وما بعدها من الفرقان ط ١٣٦٦ هـ ، ص ٧٦ جـ ٤ مجموعة الرسائل والمسائل

(٤) محمد بن إسحاق من أهل الوحدة . هلك سنة ٦٧٣ هـ

الخالق عين وجود المخلوقات ، فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم عين الخالق[(١)] ، وليس للخالق عندهم وجود مُبَايِنٌ لوجود المخلوقات منفصل عنها ، بل عندهم ما ثَمَّ غير أصلا للخالق ولاسواه فَعُبَّاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم ، لأنه ماعندهم له غير ، وأما العلامة ابن دقيق العيد ، فذكر أنه سمع عز الدين بن عبد السلام يقول فى ابن عربى : شيخ سوء كذاب » وممن حط عليه ، وحذر منه الشيخ القدوة إبراهيم الرقى[(٢)] — ثم ذكر جماعة ممن تقدم ذكرهم فى إفتائهم بأن كتابه الفصوص فيه الكفر الأكبر ، وقد ذكر ابن أبى حجلة أيضاً عن غير هؤلاء ممن كفَّر هذه الطائفة من علماء الإسلام وذكر فى كلام كل منهم فى إبطال هذا المذهب ما لا لبس فيه ، وفيما ذكرته مقنع ، وذكر الحافظ تقى الدين الفاسى[(٣)] فى كتابه فيه : « ممَّن كفره الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرى ابن خلدون قاضى المالكية بمصر ، وقال فى فتوى ذكرها[(٤)] فيه ، وفى أضرابه ، فيتعين على ولى الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة[(٥)] .

---

(١) قال ابن عربى فى الفصوص : « فالعلى لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها ، وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا ، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة » ص ٧٩ فصوص . فما ينسبه ابن تيمية إليهم صدق وحق فى شأنهم

(٢) ولد سنة ٨١٢ هـ وتوفى سنة ٨٨٤ قال عنه السخاوى : ونعم الرجل كان رحمه الله وإيانا

(٣) محمد بن أحمد بن على . ولد سنة ٧٧٥ هـ بمكة . وتوفى سنة ٨٣٢

(٤) سبق ذكر هذه الفتوى

(٥) فى هامش الأصل جاء ما يأتى : « قلت : رأيته مصرحا به فى كتابه « يعنى ابن خلدون » عيون العبر ، وديوان المبتدأ [والخبر] ، وفصل هناك تفصيلا زائدا ، وهو كتاب لا نظير له »

ومما ذكره الفاسي أيضاً من مكفريه : الإمامان رضى الدين أبو بكر بن محمد بن صالح [٥٣] الْجِبْلِيِّ المعروف : بابن الخياط [١] الشافعى مدرس المعينية بتعز ، ومفتى تلك النواحى ، والقاضى شهاب الدين أحمد بن على الناشرى [٢] الشافعى مفتى زبيد ، وفاضل اليمن شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر المقرى [٣] الشافعى ، قال : « وبيَّن من حال ابن عربى ما لم يبينه غيره » وقال : وأما من أثنى على ابن عربى ، فلفضله وزهده ، وإيثاره ، واجتهاده [٤] فى العبادة ، ولم يعرفوا ما فى كلامه من المنكرات ، لاشتغالهم عنها بالعبادات . وقال الفاسى أيضا « وبعض المثنين عليه يعرفون ما فى كلامه من المنكرات ، ولكنهم يزعمون أن

---

(١) من كبار علماء اليمن ولد سنة ٧٧٢ هـ يقول عنه السخاوى « انتهت إليه رياسة الفقة ، وجرى بينه وبين المجد الشيرازى مراجعات ، بسبب إنكاره على المشتغلين بكتب ابن عربى » توفى سنة ٨١١ هـ

(٢) ولد سنة ٧٨٩ ، وهو من كبار علماء اليمن ، ولى قضاء زبيد نيابة عن والده . توفى سنة ٨٥٤ هـ

(٣) ولد سنة ٨٠٨ هـ وتوفى سنة ٨٧٥ هـ له قصيدة طويلة يذم فيها الصوفية ويحذر منهم ، منها :

حوتهن كتب حارب الله ربها ... وغر بها من غر بين الحواضر
تجاسر فيه ابن العربى واجترا ... على الله فيما قال كل التجاسر
فقال بأن الرب والعبد واحد ... فربى مربوب بغير تغاير
وأنكر تكليفا ، إذ العبد عنده ... إله وعبد ، فهو إنكار فاجر
وقال : تجلى الحق فى كل صورة ... تجلى عليها ، فهى إحدى المظاهر
فسبحان رب العرش عما يقوله ... أعاديه من أمثال هذى الكبائر
فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن ... وإلا فصدقه تكن شر كافر

وتقع هذه القصيدة فى ستة وسبعين بيتا ، نقلها المقبلى فى كتابه العلم الشامخ ص ٥٠٤

(٤) أى فضل لابن عربى ؟ إيمانه بأن فرعون هو الله ؟ أم عشقه بمكة امرأة زعم لها بعد أنها هى الله ؟

لها تأويلات ، وحملهم على ذلك كونهم تابعين لابن عربى فى طريقته ، فثناؤهم على ابن عربى مطروح لتزكيتهم معتقدهم » .

رأى علاء الدين البخارى

ومن كَفَّر أهل هذا المذهب شيخ مشايخنا نادرة زمانه علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى الحنفى ، وصنف فيهم رسالة سماها : « فاضحة الملحدين ، وناصحة الموحدين » وبَيَّن أن وحدتهم الوحدة التى قرر أصلَها بعضُ الفلاسفة ، لا التى يسميها أهل الله : الفناء (١) ، ونقل عن القاضى عضد الدين تكفيرهم ، فإنه قال فى وصفه لابن عربى : « يحكى عنه أنه كان كذاباً حشاشا كأوغاد الأو باش » فقد صح عن صاحب كتاب المواقف عضد الملة والدين ، أعلى الله درجته فى عليين ، أنه لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب الفصوص حين وصل هنالك قال : « أفتطمعون من مغربى يابس المزاج بحر (٢) مكة ، ويأكل الحشيش شيئا غير ذلك ؟ وقد تبعه — أى ابن عربى — فى ذلك ابن الفارض حيث يقول : أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم بتسمية التائية : نظم السلوك !! إذ لا يخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش ؛ إذ عندهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى ، فإذن الْكلُّ هو الله ، لا غير ، فلا نبىٌّ ، ولا رسولَ ، ولا مُرْسَل إليه ، ولا خفاء فى امتناع النوم على الواجب ، وفى امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبى بشىء فى المنام ، لكن لما كان لكل ساقطة لاقطة ، ترى طائفة من الجهال ذلت أعناقهم لها ، خاضعين أفراداً وأزواجا ،

---

(١) هذا اصطلاح صوفى ابتدعه الضالون تمهيدا لتقرير وحدة الوجود ، وظنى أن أول من تكلم به هو طيفور بن عيسى البسطامى ، فكيف يكون هذا من تسمية أهل الله ؟ وما قرره فى مفهومه الصوفى الكتاب ولا السنة ، ولا تكلم به صحابى ولا تابعى

(٢) كذا بالأصل : ولعلها : حرم مكة

وشرذمة من الضلال يدخلون فى فسوق الكفر بعد الإيمان ، زمراً وأفواجا مع أنهم يرون أنه اتخذ آيات الله ، وما أنذروا به هزواً ، وأشرك جميع الممكنات — حتى الخبائث والقاذورات — بمن لم يكن له كفواً أحد » .

تحقيق معنى الكافر والملحد والزنديق والمنافق

وقال فى آخر رسالته : « إنهم يسمون كفرة وملاحدة وزنادقة ، وذلك أن الكافر اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان من غير اعتراف بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم خص باسم المنافق ، دون الزنديق؛ لأن الله تعالى لم يسم الذين فافقوا [٥٤] فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زنادقة ، فدروز[١] الشام — على ما تشهد به كتبهم الملعونة — إنما يظهرون الإيمان ، ولا يعترفون بنبوة النبى عليه الصلاة والسلام ، فهم مباحِيُّون منافقون ، لازنادقة على مايتوهم ذلك ؛ لعدم التفرقة بين المنافق والزنديق ، وإن طرأ كفره بعد الإيمان خص باسم المرتد ؛ لرجوعه عن الإيمان ، وإن قال بإلهين أو أكثر خص باسم المشرك ؛ لإثباته الشريك فى الألوهية ، وإن كان متدينا ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص باسم الكتابى ، كاليهود والنصرانى ، وإن كان يقول بقدم الدهر ، واستناد الحوادث ، خُصَّ باسم الدهرى ، وإن كان لا يثبت الصانع خص باسم المعطِّل ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم ، وإظهار شعائر الإسلام ، يتبطن عقائد هى كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق ، وهو فى الأصل منسوب

---

(١) واضع نحلتهم محمد بن إسماعيل الدرزى ، وقد تقدمت ترجمته ، والدروز لا يضيفون الألوهية إلا إلى الحاكم ، ويدينون برجعته آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعا ، وينكرون أصول الإسلام والنصرانية واليهودية ، ويبغضون فى الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ، ولا سيما المسلمين ، ويستبيحون دماءهم وأموالهم ، ويفترون أن القرآن من صنع سلمان الفارسى ، وهم الآن بالجبل المسمى باسمهم فى سوريا ، انظر كتاب الحاكم بأمر الله للأستاذ محمد عبد الله عنان

إلى زند[١] اسم كتاب أظهره مزدك[٢] فى أيام قباذ ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوسى الذى جاء به زرادشت[٣] الذى يزعم أنه نبيهم ، وإن كان مع تبطن تلك العقائد الباطلة يستحل الفروج ، وسائر المحرمات بتأويلات فاسدة ، كما يزعم الباطنة والوجودية[٤] خص باسم الملحد . والزنديق فى عرف الشرع : اسم لما عرفت[٥] ، لا لكل من صدر عنه فعل ، أو قول يوجب الكفر على ماهو

(١) ليس من وضع مزدك ، وإنما هو شرح زرادشت لكتابه هو المسمى أفستا

(٢) ظهر مزدك بفارس سنة ٤٨٧ م ، وهو ثنوى يدين بالنور والظلمة . أما دعوته الاجتماعية فيتحدث عنها الشهرستانى بقوله : « أحل النساء ، وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها » وحين اشتدت وطأة بعض الخلفاء العباسيين على المزدكيين فر زعماؤهم إلى أوروبا . وتستطيع بهذا إدراك مابين المزدكية والشيوعية من صلة ، وتعرف المصدر القديم لهذه

(٣) يزعم الفرس أنه نبى ، ولد حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد ، وقد وضع دينا ليس بجديد كل الجدة ، بل أرسى أصوله على أسس من الديانة الفارسية القديمة ، ومات حوالى سنة ٥٨٣ ق م . وكتابه الذى يزعم أنه أوحى إليه به يسمى : أفستا ، أو أبستاق كما يسميه المسعودى فى مروجه ، وزرادشت ممن يدينون بأصلين ، أحدهما : أصل الخير ، ويسميه « أهورا مزدا » والآخر : أصل الشر ، ويسميه « أهرمن » ويزعم زرادشت أن بين الأصلين نزاعا دائما ، بيد أن الخير سيهزم الشر فى النهاية ، لذا كانت نزعته تفاؤلية ، غير مبالغ فى دعوته إلى الزهد ، بل أباح التمتع بالطيبات ، وفى ديانته ما يوحى بأنه كان يؤمن بالبعث والجزاء على تصور وتصوير خرافيين ، ويرى بعض الباحثين أن زرادشت كان موحدا يؤمن بأن مافى العالم من خير وشر أثران للاله الواحد . انظر الملل والنحل ، ومروج الذهب ج ١ ، والكامل لابن الأثير ج ١ ، وتاريخ ابن خلدون ج ١ .

(٤) القائلون بوحدة الوجود

(٥) ذكر الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل أن لفظ الزنديق ليس عربيا ، وذكر عن أبى حاتم أنه فارسى معرب « زندكرد » أى عمل الحياة ، ثم ذكر كلاما طويلا يظهرنا على مدى مابين أئمة اللغة وغيرهم من اختلاف بين فى تحديد مفهوم =

متعارف أهل عصرنا ، وقد يتوهم بناء على عدم الشعور بمعنى الحلول والاتحاد ، أن الوجودية حلولية ، أو اتحادية ، وليس كذلك ؛ إذ الحلول والاتحاد إنما يكون بين موجودين متغايرين فى الأصل ، والوجودية يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فلا مغايرة بينهما ، ولا اثنينية ، فلا يتصور هٰهنا الاتحاد والحلول ،

= هذه الكلمة .. والحق أنه ليس فى الشرع ولا فى اللغة تحديد جامع مانع لمفهومها والحق أن الزنديق لفظ غامض مشترك ، لم يطلق بمعنى واحد فى كل عصر ، ولا على قوم بخصوصهم ، بل تعددت معانيه ، واختلفت إطلاقاته ، فنراه أطلق على كل من اعتنق دينا فارسيا كالمانويين والزرادشتيين والمزدكيين والديصانيين ، أعنى على كل تنوى فارسى ، ونراه أطلق على كل ملحد ، وكل مبتدع ، وكل ماجن من الشعراء وغيرهم . قال بشار يهجو ابن أبى العوجاء

لا تصلى ، ولا تصوم ، فإن صمـ ـت ، فبعض النهار صوما دقيقا

لا تبالى إذا أصبت من الخمـ ـر عتيقا ألا تكون عتيقا

ليت شعرى غداة حليت فى الجنـ ـد حنيفا حليت ، أم زنديقا

وقال أبو نواس : تيه مغن ، وظرف زنديق . قال الصولى « وإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يدع شيئا ، ولا يمتنع عما يدعى إليه ، فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شىء وقلة خلافه » والتأمل فى تاريخ الكلمة يلحظ أنها أطلقت أول ما أطلقت على تنوية الفرس ، وعلى من أعداهم الفرس بتنويتهم من العرب . وهذا يجعلنا نؤمن بالتطور فى تاريخ هذه الكلمة ، نؤمن بأنه قصد بها أولا كل تنوى فارس ، ثم توسع بعد هذا فى مفهومها ، فتعددت تبعا لهذا التوسع إطلاقاتها ، فإنك لتجد صلة قوية بين كل من أطلق عليهم هذا اللفظ بعد ، وبين الثنويين : إما فى دين ، وإما فى خلق ، وإما فى نزعات المشاعر والأحاسيس . والتصوف ـ بدراسة دقيقة لتاريخه ـ ماهو إلا امتداد لهذه المؤامرات التى قام بها الزنادقة الأول ، إفساد العقائد ، فيفسد المسلمون ، فلا تكون لهم دولة ولا جامعة ، بيد أن الشيطان أوحى إلى أوليائه تسميتها صوفية ! ! يا للمجوسية تتراءى للمسلمين فى وشاح من الربانية ، وشفوف من الروحانية العليا فى الإسلام ، ويا للمسلمين بينهم كتاب الله ، ويخدعهم هذا الزيف المجوسى ! ! انظر أمالى المرتضى ج ١ ، شفاء الغليل للخفاجى ، ضحى الإسلام ، من تاريخ الإلحاد للدكتور بدوى

بل زندقة أخرى أنجس منهما باطلة ببديهة العقل ؛ إذ القائلون بهما يجعلون الله تعالى أمراً اعتباريا لا وجود له فى الخارج » .

بعض مصطلحات الصوفية

وقال[(١)] « إن الملاحدة عبروا عن ضلالتهم بعبارات العارفين بالله[(٢)]، يتسترون بها فى زندقتهم ، فينبغى الحذر من ذلك ، فأرادوا بالفناء نفى حقائق الأشياء ، وجعلوها خيالا وسرابا على ما هو مذهب السوفسطائية[(٣)] ، و بالبقاء ملاحظة الوجود المطلق ، و بالوحدة المطلقة كون ماسوى الوجود من الأشياء خيالا وسرابا، وكون وجود جميع الأشياء — حتى وجود الخبائث والقاذورات[(٤)] — إلها ، وذلك

---

(١) أى علاء الدين البخارى

(٢) التسمية بالعارف بدعة صوفية ، تخفى وراءها كيدا خفيا للشريعة ، إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة ، معرفة أن الحق عين الخلق . أما الغاية الحقة لكل مسلم ، فهى الإيمان الصحيح مع التوحيد الخالص ، مع التقوى ، وكم من عارف صوفى دينه أساطير ، ودعوته مجوسية

(٣) مشتق من الكلمة اليونانية « سوفيا » أى الحكمة ، والسوفيست هو الحكيم ، وبه لقب رجال هذه المدرسة أنفسهم ، ولكنها تطورت معهم ، وتغير مدلولها بهم ، حتى صارت تدل على المغالطة والتشكيك والمماراة . والصيغة العامة لمذهبهم الفكرى إنكار الحقيقة المطلقة ، والجزم باستحالة الحكم العام ، فالحقائق عندهم اعتبارية كلها ، ومقياس الحقيقة هو الإحساس الفردى ، فما يراه شخص ما حقا ، فهو حق ، وإن كان غيره يراه موغلا فى تيه الباطل . وأشهر زعماء هذه المدرسة التى عاشت قبل سقراط « پروتاجوراس ، وجورجياس » أما عقيدتهم فى الإلهية فيوضحها قول الأول « لا أستطيع أن أعلم إذا كان الآلهة موجودين ، أم غير موجودين » ونرى شبها واضحا بين السفسطائية والصوفية فى المنهج وفى النتائج فالأولون يرون الإحساس الفردى مصدر المعرفة ومقياسها ، والآخرون يرون الذوق الفردى ، وكلاهما يدين بأن الحقائق اعتبارية

(٤) نسبة هذا إلى الصوفية ثابتة صادقة

غير ما أراده العارفون ، فإنهم أرادوا بها معانى يصدقها الشرع [١]، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردها الشرع فهى زندقة ، وأنه ليس فى أسرار المعرفة شىء يناقض ظاهر الشرع ، بل باطن الشريعة يتم بظاهره ، وسره يكمل صريحه [٥٥] ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هى عليه [٢] ، نظروا إلى الألفاظ الواردة فى الشرع ، فما وافق ما شاهدوه قرروه ، وماخالف أولوه بما يطابق الشرع ، كالآيات المتشابهة [٣] ، ولا يستبعد وقوع المتشابه فى الكشف ابتلاء

---

(١) مافى الشرع تلك الزمزمات الكهنوتية التى يزعم البخارى أنها من حقائق العارفين ، فما فى القرآن ، ولا فى السنة ، ولا فى قول صحابى ، أو تابعى ، أو مؤمن ما يسمى : الفناء ، البقاء ، الوحدة المطلقة ، فناء الفناء . مافى الشرع مطلقا أثارة من هذه بدلائلها الصوفية ، اللهم إلا إذا شاءوا وصف القرآن بأنه خلى من المعارف الإيمانية الحقة ، أو الرسول والصحابة والتابعين بأنهم غير عارفين . هنالك فى الإسلام مرتبة عليا هى الإحسان : وهى «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » فلم يبغض الصوفية هذه المرتبة ؟ !

(٢) هذا بهتان صوفى ، فالذى يعلم ويدرك أسرار الأمور على ما هى عليه هو الله رب العالمين وحده ، بيد أن المس الصوفى يجرى على لسان العلاء البخارى تهاويل الخرافة والأسطورة

(٣) فى قوله بما يطابق الشرع تلبيس ، فالتأويل إنما ابتدعه أصحابه ، ليجعلوا النقل مطابقا للعقل ، إذ القاعدة عندهم : العقل أصل النقل ، والعقل حاكم على النقل ، فما لم يرتضى واحد من المؤولة بعضا من الكتاب والسنة ، أول هذا الذى لم يرتضه ، أو بتعبير أدق : جرده من معانيه الأصلية الصحيحة ، ووضع له معانى من عنده ، حتى يطابق — فى زعمه — ما يحكم به العقل ! ! ولكن عقل من ؟ ! هذا ما نطلب الجواب عنه من المؤولة ، وستظل علامة الاستفهام هذه أمام العقل دون أن يحير عنها جوابا ، ثم إنه لم يدن بالتأويل سوى من سموهم خلفا ، أما الصحابة والتابعون والسلف الصالحون ، فلم ير واحد منهم فى آيات الصفات وأحاديثها ما يرعش طمأنينة الإيمان واليقين الثابت فى الأعماق المشرقة من قلبه ، ولم يصفها أحد منهم بأنها من المتشابه ، ولم يؤول أحد منهم شيئا منها مطلقا ، =

لقلوب العارفين [١] ، كما أن وقوع المتشابه فى الشرع ابتلاء لقلوب الراسخين ، فأراد بالبقاء التخلق بالأخلاق الإلهية ، والتنصُّل عن كدورات الصفات البشرية والفناء عندهم عبارة عن اطمحلال الكائنات فى نظرهم مع وجودها ، وعن الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم ، وكذا الوحدة المطلقة عبارة عن مشاهدة الله — لا غير — بين الموجودات لاطمحلالها مع تحققها ووجودها عند ظهور أنوار التجليات ، كاطمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس فى النهار ، فإن كان العارف فى هذه الحال يرى نفسه ، فذلك هو الفناء فى التوحيد ، وهو مرتبة الخواص ، وهو مشوب بكدورة وقصور ، وإن غاب مع ذلك عن مشاهدة نفسه

= وأمشاج من الزور مازعمه البخارى هنا ، ألا تراه يدين بأن الشريعة ، لايحكم عليها حتى بالعقل ، بل بما يغيم على النفس من خواطر الأوهام ، ويدين على الفكر من غيوم الأهواء ؟ ! يدين بأن الكشف — وهو ألعن أسطورة ابتدعها الصوفية لمحاربة الكتاب والسنة — هو مقياس حقائق الشرع ، تقاس بأوهامه يقين الوحى الإلهى ، وقيمه السماوية المقدسة . وأن الكشف هو الذى يحدد لكل حقيقة شرعية مفهومها وغايتها ، أو ما أراده الله منها وبها ؟ ! وهكذا يأبى الخبل الصوفى إلا أن ينطق علاء الدين بهوسه وخرافاته

(١) يعرف الصوفية الكشف بأنه الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعانى الغيبية ، والأمور الحقيقية وجودا وشهودا ، والله سبحانه هو القائل « قل : لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » ، والبخارى — وهو يرد على الصوفية ، ليبطل ما يدينون به من الوحدة — يتهاوى فى نفس الحمأة ، هذا لأنه صوفى ، لا يحب أن ينسى — وهو يرد على غيره من الصوفية — تصوفه هو ، لا ينسى طريقته التى يود أن يصرف الناس إليها وحدها . ولكن حسبنا منه — وهو أكبر صوفى فى عصره — اعترافه الصريح ، وحكمه البين على ابن عربى وابن الفارض بأنهما خارجان عن حقيقة الإسلام ، والأول شيخهم الأكبر ، وكبريتهم الأحمر ، والآخر سلطان عاشقيهم ! !

وعن أحواله الظاهرة والباطنة وعن ذلك الفناء ـ بحيث لا يشاهد شيئا غير الله [(١)] كما لا يشاهد فى النهار من الكواكب غير الشمس ـ فذلك هو فناء الفناء فى التوحيد ، وهو درجة خواص الخواص ، فيصير لهم معنى قوله تعالى (٢٧ : ٨٨ كل شىء هالك إلا وجهه) ذوقا وحالا ، كما أن حظ غيرهم من المؤمنين منه يكون علماً وإيماناً ، فالذوق نَيْلُ عين تلك الحال بالحصول الاتصافى ، والعلم معرفة ذلك بالبرهان ، ومأخذه القياس بأن ينظر إلى اطمحلال تلك الكواكب عند إشراق الشمس ، فيقاس به اطمحلال وجود الكائنات عند إشراق أنوار التجليات ، والإيمانُ قبولُه بالتسامع والإذعان له ، ولا يخالف هذا قولهم : إن الطريق إلى المعلوم بالكشف ، إنما هو العيان ، دون البرهان ، لأن المراد منا إقامة البرهان ، على تحقق الكشف ، لا على إثبات المعلوم ، فقد عرفت أن معنى الوحدة المطلقة عند العارفين [(٢)] بعيد عما يريد به الكفرة الوجودية من الفلاسفة ، ومن تبعهم ممن يدعى الإسلام ؛ ليتمكن من هدمه عند الضعفاء .

---

(١) هذه هى وحدة الشهود ، وهى النبحة الأولى من وحدة الوجود ، بل هى المدخل إليها ، وسترى البخارى — رغم تكفيره للقائلين بوحدة الوجود — يدور حولها ، ويتسرب فى خفية إليها . ولكنه جبان الشطح ، مكير الخيال والتصوير .

(٢) مافى الرسل جميعا ، ولا فى الأنبياء عامتهم ، ولا فى الأولياء الصادقين من هو أعرف بحق الربوبية والإلهية من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فيهم من أحد أدى هذا الحق كما أداه ، فما جاءنا عنه صلى الله عليه وسلم خرافة الوحدة المطلقة الصوفية ، أو أنه وصل إلى حال لم يشاهد فيها شيئا غير الذات الإلهيـة . والصوفيـة يعنون بالشهود معاينة الذات ، وفناء الكائنات جميعها فى هذا الشهود حتى فى الليلة التى تجلى الله فيها على عبده بأعظم نعمه ، وأراه فيها من آياته الكبرى ليلة الإسراء والمعراج ، قال صلى الله عليه وسلم لما سئل : هل رأى ربه : نور . أنى أراه ؟ ! ، وفيها كان يشهد غير الله : الأنبياء ، وجبريل ، والجنة ، والبيت المعمور وسدرة المنتهى ، وغير ذلك ، وسمى لنا كل شىء باسمه ، فأين منه البيان عن شهود =

أسطورة الكشف

ويروجون تلك السفسطة بإحالتها على الكشف ، ويتفيهقون بأن مرتبة

= الذات فنيت فيها الكائنات؟! ولكن لعل البخارى وأضرابه يفترون أنهم يصلون إلى ما لم يستطع أن يصل إليه خير البشرية وخاتم النبيين ! ! ثم إنه صلى الله عليه وسلم أخبرنا خبر صدق وحق أن أحدا لن يرى ربه حتى يموت . وكان صلى الله عليه وسلم يتجاوب قلبه الطهور المشرق بنور الإيمان الأسمى مع كل حق عليه ، فيؤديه أتم وأكمل وأوفى أداء ، حق الله سبحانه ، حق النفس ، حق الحياة ، حق الأهل والولد ، فياترى هل لم يبلغ الرسول الأعظم فى الدين والمعرفة مرتبة البخارى وأحلاس الصوفية ؟ فما أبان لنا عن البقاء ، والفناء وفناء الفناء والوحدة وما فى عمله ولا قوله ما يحدد مفاهيم هذه الأساطير الصوفية . والله سبحانه يذكر لنا أن خليله إبراهيم رأى — منة من الله — ملكوت السموات والأرض ، فأين البيان من الخليل عن الفناء وفناء الفناء والوحدة المطلقة ؟ ! وداود عليه السلام فى تسابيحه كانت الطير تؤوب معه، والجبال سخرها الله له يسبحن معه بالعشى والإشراق فما جاءنا عنه أنه كان فى فناء ، أو فناء فناء ، أو شهود ذات فنيت فيها الكائنات ، بل كان مع ذلك فى الحديد يعمل . وربنا العليم بذات الصدور يثنى على خير رسله فى أسمى مقاماتهم بأنهم عباده المخلصون المتقون المؤمنون الأوابون، لا الذين يشهدون الذات فنيت فيها الكائنات ! ويثنى على الملائكة بأنهم عباد مكرمون ، لا الذائقون حال الوحدة المطلقة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن الإحسان — أسمى مراتب الإخلاص فى العبودية « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » والبخارى وأضرابه يقولون أسمى مرتبة : أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات ! ! وحقيقة التوحيد أن تعبد الله وحده ، وأن لا تعبده إلا بما شرعه ، ولكن البخارى يقول : أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات ، وقد أجهد الصوفى البخارى نفسه فى الرد على باطل الصوفية حتى لهثت أنفاسه . فما بلغ إلا تأييد باطل كان يتمنى الصوفية مثل قلم البخارى للدفاع عنه ، ولو أنه لجأ إلى الكتاب والسنة لاستطاع بحجة واحدة منهما أن يأتى بنيانهم من القواعد ، بل لو لجأ إلى العقل مؤمنا لدك على الطاغوت هيكله، ولدمر أصنامه . ولكنه صوفى ! !

الكشف وراء طور العقل ، وأنت خبير بأن مرتبة الكشف نيلُ ما ليس له العقل ينال ، لاَ نَيْلُ ما هو ببديهة العقل محال ، وذلك أن الله تعالى خلق العباد و بين لهم سبيل الرشاد ، وزينهم بالعقل نوراً يهتدون به إلى معرفته ، وحجة توصلهم إلى محجته بالاستدلال على وجود الصانع بالمصنوعات (١) ، والنظر فيما يجوز و يستحيل [٥٦] عليه من الأفعال والصفات ، وأن إرسال الرسل من أفعاله الجائزة ، وأنه قادر على تعريف صدقهم بالمعجزة ، وعند ذلك ينتهى تصرف العقل (٢) ؛لعدم استقلاله بمعرفة المعاد ، و بما يحصِّل السعادة والشقاوة هنالك للعباد ، و إنما يستقل بمعرفة الله تعالى (٣) ، وصدق الرسول ، ثم يعزل نفسه ، و يتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم مايقول ، فى أحكام الدنيا والآخرة بالقبول (٤) ، إذ لا ينطق

---

(١) لم لا يقال : الخالق بالمخلوقات ؟ !

(٢) الله سبحانه هو العليم الخبير حقا بما يجب لربوبيته وإلهيته . وقد بين لنا عز شأنه تفضلا منه ورحمة هذا فى كتابه الحكيم أجلى وأتم وأكمل بيان . فما يجوز لامرىء الزعم بأن للعقل التصرف فى إثبات ما يجب وما يجوز وما يستحيل على الله سبحانه ، والمؤمن الحق هو من يؤمن صادقا بكل ما وصف الله به نفسه إثباتا ونفيا . فيثبت خاشعا ما أثبت الله سبحانه لنفسه . وينفى منزها ما نفاه عنها جل وعلا . هو من يوحد الله توحيدا قوليا . وعمليا وعلميا واعتقاديا فى الربوبية والإلهية بما ورد فى الكتاب والسنة .

(٣) فرية فلسفية ، وإفك صوفى ، فالعقل حينما استقل بمعرفة الله سماه سبحانه ووصفه بما لا يحب الله أن يسمى أو أن يوصف به ، أثبت له ما أوجب الله نفيه ، ونفى عنه ما أوجب الله إثباته ، نفى عنه كونه خالقا مدبرا يعلم كل خافية ، وأثبت له ما عربد من الشهوة ، وما ضل من العاطفة ، فسماه عاشقا ولاذا وملتذا ، ألا فليؤمن العقل دائما بأنه دائما فى قبضة من خلقه ، وأنه الفقير دائما إلى الغنى الخلاق العليم الخبير

(٤) بل يجب عليه قبل هذا أن يتلقى مؤمنا مخلصا ما جاء فى الكتاب والسنة عن صفات الله وأسمائه ، دون لمسة من ريب تدفعه إلى التأويل ، أو همسة من فكر تلوذ به إلى التعطيل ، أو تجاوب مع الحس يهيم به فى التجسيم أو التمثيل

بما يحيل العقل بالبديهة والبرهان ؛ لامتناع ثبوت ما تحكم حجة الله عليه بالبطلان فلا مجال فى مورد الشرع ، ولا فى طور الولاية والكشف لما يحكم العقل عليه بأنه محال ، بل يجب أن يكون كل منهما فى حيز الإمكان والاحتمال ، غير أن الشرع يَرِدُ بما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وبالكشف يظهر ما ليس له العقل ينال [(١)] لأن الطريق إليه الكشف والعيان ؛ دون بديهة العقل والبرهان، لكن إذا عُرِض عليه لا يحكم عليه بالبطلان ، لكونه فى حيز الإمكان ، ولا ينبغى متوهم أن ما يتستر به الوجودية من دعوى الكشف من قبيل ما ليس له العقل ينال ، بل هو مستحيل وللعقل فى إبطاله تمكن ومجال ؛ إذ الطريق إليه التصور ثم التصديق بالبطلال ، وذلك وظيفة العقل بالبديهة أو البرهان ، وأما الأمور الممكنة الكسبية ، فيجعلها العقل فى حظيرة الإمكان ، ولا يحكم عليها بالبطلان ثم إن ما يناله الكشف ، ولا يناله العقل الممكنُ الذى الطريق إليه العيان [(٢)] ، دون البرهان ، لا المحال الممتنع الوجود فى الأعيان ؛ إذ الكشف لا يجعل الممتنع متصفا بالإمكان، موجوداً فى الأعيان ؛ لأن قلب الحقائق بَيِّن الامتناع والبطلان فلو تخايل حصول المحال بالكشف ككون الوجود المطلق واحداً شخصياً ، وموجوداً خارجياً ، وكون الواحد الشخصى منبسطاً فى المظاهر ، متكرراً عليها

---

(١) جعل من الشرع قسما لا يناله العقل ، بل الكشف ، فمن قال هـذا ؟ وسيزعم أن الطريق إليه كذلك معاينة الذات ؟ فمن أين جاء بهذا ؟ وهل فى مقدور كل مسلم الكشف والمعاينة ؟ يجيبون هم بأن هـذا لخواص الخواص ! ! وهـذا يستلزم أن الخواص والعوام لا يمكن أن يصلوا إلى معرفة أهم حقائق الشرع ! ! ثم ما هـذا الذى لا يظهر إلا بالكشف ؟ إن كان هو عين ما فى الشريعة ، فما للكشف فائدة إذاً . وإن كان غير ما فيها ، قالوا بجواز عبادة الله بغير ما شرعه الله ، وتلك هى الطاعة الكبرى ، فما صنع البخارى شيئا سوى أن فر إلى ما فر منه ، وحارب ما يحارب هو من أجله ! !

(٢) يريد الصوفية بها معاينة الذات الإلهية ، ومشاهدة أسرار الربوبية والإلهية

بلا مخالطته، متكثراً مع النواظر بلا انقسام، فذلك شعوذة الخيال، وخديعة الشيطان
وقال بعد ذلك : « إنهم صرَّحوا بأن التَّكَثُّر فى الموجودات ليس بتكثر
وجوداتها، بل تَكَثُّر الإضافات والتَّعَيُّنات » ثم قال : « فقالوا : معنى قولنا :
الواجب موجود، أنه[١] وجود، ومعنى قولنا : الإنسان، أو الفرس موجود،
أنه ذو وجود، بمعنى أن له نسبة إلى الوجود، لا أنه متصف بالوجود، على ما هو
معنى الوجود لغة وعرفاً وشرعاً ؛ احترازا عن شفاعة التصريح بكون الواجب صفة
الممكن، وأنت خبير بأن جواز الإطلاق فرع صحة الاشتقاق، ولو سلم فما ذكروا
فى بيان معناه فى الواجب والممكن ليس معناه، لا لغة، ولا عرفا، ولا شرعا
ومنشأ الغلط فيما يكشفه الشرع بما يقصر عنه العقل، وما يدعيه هؤلاء مما يُحيله
[٥٧] عدم التفرقة بين ما أحاله العقل كهذه المذكورات، و بين ما لا يناله العقل
كاطمحلال وجود الكائنات عند سطوع أنوار التجليات، وإنما ينال ذلك
بجذبة الإلهية[٢]، أو رياضة فى متابعة الحضرة النبوية فى الوظائف العلمية والعملية

---

(١) فى الأصل : موجوداته، بدل : موجود أنه .

(٢) عجيب أن يجعل البخارى هذا مما لا ينال إلا بجذبة، فالمؤمن الحق يدرك باللمحة الهافية من الفكر والوجدان والشعور، أن بين وجود الله، ووجود العالم فرق ما بين رب السموات والأرض، وبين عبد خلق من طين، بيد أن البخارى يريد بالاطمحلال عند التجلى فناء وجود السوى، فلا يشهد العارف ثم إلا وجوداً واحدا هو الواجب ؛ أو المطلق، يعنى يرى الكثير واحدا، والظاهر عين المظاهر فإن يك هذا، فقد هوى فى غيابة صوفية، إذ ينفى الوحدة من جهة، ويثبتها من جهة أخرى، فالصوفية يريدون بالتجلى ما ينكشف للقلب من أنوار الغيوب، أو ظهور الذات فى عين المظاهر، وفى الأول ادعاء معرفة الغيب وقول على الله بغير علم وفى الآخر الإقرار بوحدة الوجود، فأيهما يريد البخارى ؟! ثم ما هذه الجذبة ؟ ما سبيلها ؟ ما دليلها ؟ ما مثالها فى الماضى المؤمن ؟ لا يقال : سبيلها العبادة، فإنه جعل العبادة قسما آخر غير الجذبة، وليس فى الكتاب ولا فى السنة عليها دليل، وما سمعنا عن صحابى أو تابعى، أو مؤمن صادق أنه نال هذه الجذبة !!

والنيل هو الحصول الاتصافى ، والعلم هو الحصول الإدراكى ، ثم إن كُلاً مما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وماليس له العقل ينال ، لما كان مستوقفا على الإعلام والإرشاد من رب العالمين ، بعث الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لبيان الأول ، وهو علم الشريعة صريحا ، والإشارة إلى الثانى ، وهو علم الحقيقة رمزاً وتلويحا[١] ، كما يلوح من القرآن المجيد (٢٨ : ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) إلى درجة الفناء فى الفناء فى التوحيد » .

---

(١) يدين البخارى كغيره من الصوفية أن الدين حقيقة وشريعة ، وأن الأولى غير الأخرى ، بل أسمى منها وأفضل ، وأن الشريعة لا تتضمن الحقيقة ، وأن البيان عنها فى القرآن جلى صريح . أما عن الحقيقة ، فرمز وتلويح !! وبذا أركس البخارى فيما أركس فيه الصوفية . الله سبحانه يصف كتابه بأنه بيان للناس ، ويمن علينا بأنه بعث فى الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، والبخارى يزعم أن القرآن أشار إلى علم الحقيقة عن طريق الرمز والتلويح ، وما كل الناس يفهمون الدلالة الرمزية ، أوالتلويحية ، وما كل أمى يفهمها ، وهذا يستلزم طامتين ، الأولى : اتهام القرآن بالعجز فى البيان عن الحقيقة ، فلم يستطع الإفصاح عنها إلا عن طريق الرمز والتلويح ، وهما أغمض وأعجز أنواع الدلالات ، الأخرى : اتهام الأكثرية الغالبة من هذه الأمة بأنها لاتعلم الحقيقة من دينها الحق ، ولايعبدون الله على بصيرة من الحق ، بل ينسحب هذا الاتهام على الصحابة أجمعين ، وإذ ما كانوا فلاسفة لاصوفيين ، فإن قيل : كانوا يعرفون علم الحقيقة فى زعم الصوفية ، قلت : أين الدليل ؟ أجاء عن أحد منهم افتراء أن الدين حقيقة وشريعة مغايرا بين القسمين ؟. أتكلم واحد منهم عن الفناء ، وفناء الفناء ، والوحدة المطلقة ، وهذه هى معارف علم الحقيقة عند الصوفية ؟ بل أقول : إن فى قول البخارى ومن دان دينه من الصوفية اتهاماً للرسول ببهتانين ، أولهما : كتمان علم الحقيقة فى الدين ، أو الجانب الأسمى منه ، إذ لم يرد فيما بلغ إلينا عن الله هذا العلم الذى يدعيه البخارى : علم الفناء ، وفناء الفناء ، ومعاينة الذات !! وآخرهما : أنه كان صلى الله عليه وسلم لايعلم الحقيقة ، ولم يهتد إلى ما اهتدى إليه البخارى وغيره . واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بوهم من هذا =

انتهى ما نقلته من رسالة الشيخ علاء الدين البخارى ، لكنى تصرفت فيه بالتقديم والتأخير ، وقد وضح بذلك محالهم ، وتبين به ضلالهم (١) والله الموفق .

عَوْدٌ إلى من كفروا ابن عربى

وعن الحافظ تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المكى فى كتابه : تحذير النبيه والغبى من الافتتان بابن عربى ، أنه قال ـ وقد سئل عنه وعن شىء من كلامه ـ :

= كفر خبيث ، وقد اتهمه الصوفية فعلا بالأول: أى الكتمان، اسمع لابن عجيبة فى شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندرى يقول : « وأما واضع هذا العلم — يعنى التصوف — فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحى والإلهام ، فنزل جبريل أولا بالشريعة ، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضا دون بعض » ص ٥ جـ ١ ط ١٣٣١هـ. وفى هذا حجة على دين الصوفية مقت للشريعة ، واتهام صريح للرسول بأنه لم يبلغ بعض ما أنزل إليه ، وبأنه هوى مع الهوى فخص به بعضاً ، وحاشا الرسول الكريم .

(١) علاء الدين البخارى رجل أشرب قلبه وفكره التصوف ، وقد خدع البقاعى بهذره الصوفى ، فكل ماهول به البخارى فى الرد على الصوفية لا ينابذ لهم باطلا . بل يواليه ويمالئه . نعم صرح الرجل فى قوة وشجاعة وجلاء بتكفير ابن عربى وأحلاسه ، بيد أن ماحسبه أدلة تدمغهم بالزندقة هى فى حقيقتها أساطير صوفية ، أو هى بالذات عناكبهم التى يصيدون بها العقول الذبابية . وهذا يثبت ما قلته من قبل ، وهو أن كل من به مس من الصوفية إنما يطوى النفس على أمشاج وثنية . وإن تراءى بتكفير غيره من لدانه وأقرانه . قارن بين مارد به البخارى الصوفى ، وبين مارد به الإمام ابن تيمية ، لتدرك البون الشاسع بين الرجلين ، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالبخارى صوفى يرد بتصوفه على تصوف غيره ؛ كى يؤمن الناس به هو ، وبما يدعو إليه من التصوف ، وابن تيمية يدمغ الباطل بما دمغه به الحق من الكتاب والسنة ، بل وببراهين العقل الذى جعل هدى القرآن مناره ، ولم يلوثه دنس صوفى ، ابتغاء مرضاة الله ، والجلاد المستلئم فى الجهاد فى سبيل الله . وهذا هو دائما فرق ما بين المؤمن والصوفى .

شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمى التونسى عالم إفريقية ، فقال ما معناه : إن من نُسِب إليه هذا الكلام لايشك مسلم منصف فى فسقه وضلاله وزندقته » انتهى . ومنهم شيخنا العلامة إمام القراء شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الجزرى الدمشقى نزيل بلاد الروم ثم العجم ، قال : « ومما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف [والنهى عن المنكر] أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهّر من كتب المذكور (١) وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغى أن يؤول ، فإنه (٢) غلط من قائله . إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فُتِح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن فى الأرض كافر » ومنهم العلامة نادرة زمانه علما وعملا بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل (٣) اليمنى الحسينى نسبا و بلدا ، وصنف فى ابن عربى وابن الفارض كتاباً كبيرا (٤) نافعاً جداً ، وذكر فيه أنه كان فى اليمن شخص من أكابر أتباعه ، يقال له الكرمانى ، حصلت به فى اليمن فتن كبيرة ، وحصل بينه و بين ابن المقرى خطوب ، وصنف فى الرد على ابن المقرى كتابا قال فيه عن نفسه ، وأهل مذهبه مالفظه : «إناحيث قلنا : المخلوق، فمرادنا الخالق ، وحيث قلنا : الحجر ، فمرادنا الله » انتهى .

---

(١) يعنى : ابن عربى، واقرأ نص فتوى الجزرى فى ص ٤٩٥ من العلم الشامخ للعلامة المقبلى .

(٢) أى : القول بالتأويل لكلام الصوفية .

(٣) ولد سنة ٧٧٩هـ تقريبا ، وتوفى سنة ٨٥٥ هـ. وهو من كبار علماء اليمن فى عصره .

(٤) سماه : كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين ، وله كتاب آخر سماه : بيان حكم الشلح والنص على مروق ابن عربى وابن الفارض وأتباعهما من الملحدين . انظر الضوء اللامع للسخاوى .

من مكر الصوفية

ومن مكر هذه الطائفة ، كما شرعه لهم شيخهم [١] من أن الدعوة إلى الله مكر أن يُخَيِّلوا [٢] كلٌّ من ظنوا أنه مال عنهم بأنه يصاب فى نفسه ، أو ماله [٣] ، ويقولون : ما تكلَّم أحد فيهم إلا أصيب ، ويباهتون [٥٨] بأشياء هى كذب ظاهر . ولا عليهم ـ وأكثر الناس صبيان العقول ، مَرْضى الأفكار ، تجد أحدهم إذا سمع هذا نفَرَ منك نفرة النعام الشارد ، ثم يكون أحسنهم خلالا الذى يقول : التسليم أسلم !! ولا يتأمل أن الشك فى الكفر بعد البيان كفرٌ ، وهو مع كونه [٤] كذباً بمن أنكر عليهم من أكابر العلماء الذين لا يحصون كثرة ، وماتوا على أحسن الأحوال ـ تَشَبُّهٌ باليهود فى قولهم فى الإسلام لما مات أبو أمامة أسعد

---

(١) يعنى : ابن عربى .

(٢) صوابها : إلى كل ، أو لكل . فى الذكر (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى)

(٣) كاد لى لئيم فضيع لى ما يسمى : « مسوغات التعيين فى وزارة المعارف » فتنادى بعض الصوفية : ياللكرامة ، ويال انتقام أوليائنا الرهيب !! فقلت: ياسبحان الله !! لا يتورع القوم حتى من اتهام أوليائهم أنهم لصوص بغاة ، يحاربون الناس فى أرزاقهم !! .

(٤) لعلها : كذب ، ولو أن الأمر كان تكذيباً للعلماء فحسب لهانت الجريمة ، ولكنه تكذيب لله ولرسوله ، وتقوى لغير الله ، ورهب من زنادقة ، فما يطيق أمثال هؤلاء ـ رغم إخراج الكفر لهم لسانه من كتب الصوفية ـ النطق بكلمة حق يرضون بها الله سبحانه . سل اليوم كبار الأحبار ، عبيد المتن والحاشية ، عن فصوص ابن عربى ، وتائية ابن الفارض ، وطبقات الشعرانى . سلهم ثم أنصت للجواب الذليل . ستسمع من يقول عن ابن عربى : الشيخ الأكبر ، وعن ابن الفارض : سلطان العاشقين ، وعن الشعرانى : الهيكل الصمدانى ! وستسمع من يقول ـ ممن يزلزل الريب يقينهم ، وتغشى الوثنية معتقداتهم : يسلم لهم حالهم ، فالتسليم أسلم ! . هذا مايجيده الأحبار من أساليب الدفاع عن دين الله .

ابن زرارة[1] الأنصارى رضى الله عنه فإنهم شرعوا يقولون تخييلا لبعض الضعفاء : لو كان نبيا ما مات صاحبه . فكان النبي صلى الله عليه وسلم [يقول] : « بئس الميت أبو أمامة ليهود ! ! يقولون : كذا ، ووالله ما أملك لنفسى ولا لصاحبى شيئاً[2] » وتَسَنَّن[3] بالكفرة فى قولهم . (١١ : ٧٧ وما نراك اتبعك إلا الذين [هم] أرازلنا) ، (١٩ : ٧٣ - ٧٥ قال الذين كفروا للذين آمنوا : أىُّ الفريقين خير مقاما وأحسن نَدِيًّا . وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ هم أحسن أثاثا ورئيا . قل : من كان فى الضلالة ، فليمدد له الرحمن مدا) ونحو ذلك من الآيات ، ومتى مال الإنسان نحو تخييلهم ، كان كمن قال الله تعالى فيه : (٣٢ : ١١ ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به [وإن صابته فتنة انقلب على وجهه ، خَسِرَ الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين]) .

من آيات ثبات الإيمان فى القلب

مع أن الكتاب والسنة ناطقان بأن علامة صحة الإسلام فى القلب المصائب[4] قال الله تعالى : (٢٩ : ١ ، ٢ الٓمٓ . أحسب الناسُ أن يُترَكوا ، أن يقولوا : آمنا ، وهم لا يفتنون) الآيتين ، وقال الله تعالى : (١٢ : ٢١٤ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثلُ الذين خلوا من قبلكم . مَسَّتْهم البأساء والضراء ،

---

(١) من أول الأنصار إسلاماً ، ويقال : إنه أول من بايع ليلة العقبة ، وكان نقيب قبيلته بنى النجار ، وأول من صلى الجمعة بالمدينة فى هزمة من حرة بنى بياض ، يقال له : نقيع الخضمات ، وكانوا أربعين رجلا . مات أسعد رضى الله عنه - والمسجد يبنى - فى السنة الأولى من الهجرة فى شوال قبل بدر « أسد الغابة ، والإصابة »

(٢) هذا لفظه فى سيرة ابن هشام . أما فى أسد الغابة « بئس الميتة ليهود !! يقولون : أفلا دفع عن صاحبه ؟ وما أملك له ، ولا لنفسى شيئاً »

(٣) معطوفة على قوله قبل : تشبه باليهود .

(٤) يعنى الصبر عليها .

وزُلْزِلوا) الآية . إلى غير ذلك من آيات الكتاب الناطق بالصواب . وقال شخص للنبي : « إنى أحبك ، قال : فأعد للبلاء تِجفافا[١] » وقال صلى الله عليه وسلم : « من يُرِد الله به خيراً يُصِبْ منه[٢] » ، « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى المرء على قدر دينه[٣] » إلى أمثال ذلك ، وهو كثير جداً ، وأعجب من ذلك أن البيعة على الإسلام كانت – ليلة العقبة – على الصبر على المصائب ، فإن العباس بن نضلة[٤] رضى الله عنهم قال لقومه قبل المبايعة يثبتهم على البيعة : « إن كنتم ترون أنه إذا نَهَكَت[٥] أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله – إن فعلتم خِزْى الدنيا والآخرة ، قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه[٦] » على هذا كانت

---

(١) التجفاف : آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه الحرب ، وجفف الفرس : ألبسه إياه « القاموس والنهاية » .

(٢) رواه البخارى ومالك .

(٣) من حديث رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم وابن أبى الدنيا . ولم لانفهم فى الحديث معنى آخر ، هو أن أفضل الناس أشدهم بلاء فى سبيل الله ، من قولهم : أبلى فلان فى الحرب بلاء حسنا ، إذا أظهر بأسه حتى بلاه الناس وخبروه ؟! أو يراد به ما يصيبهم من الناس من بلاء لاستلامهم فى الدعوة إلى الله ، والجهاد فى سبيله . أقول : هذا لأنه ثبت فى أذهان الناس أن الإيمان الصحيح صنو المصائب ، وأن الله الله يدخر الرزايا للمخلصين من عباده .

(٤) أنصارى خزرجى ، شهد العقبة ، وقيل : العقبتين ، بل قيل : كان مع النفر الستة الذين لقوا رسول الله ، فأسلموا قبل جميع الأنصار ، خرج عباس رضى الله عنه إلى مكة ، وأقام مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى هاجر إلى المدينة ، فكان أنصارياً مهاجرياً . قتل فى أحد ، ولم يشهد بدرا « أسد الغابة ، الإصابة »

(٥) يقال : نهكته الحمى ، أضنته وهزلته ، وجهدته ، ونهكت الناقة حلبا : إذا لم تبق فى ضرعها لبنا « القاموس والنهاية » .

(٦) ص ٢٧٧ جـ١ سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ط ١٩١٤

المبايعة ، وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمَنْشَط والمَـكرَه [١] . ولقد شرع لنا [٥٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ، وتركنا على بيضاء نقية ، ليلها كنهارها [٢] ، ولم يتغير دينه بعده ، ولم يتبدل ، ولم يزدد إلا شدة . وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الدين بدأ غريباً ، وأنه سيعود كما بدأ ، وقال : « فياطوبى للغرباء [٣] » فلا يهتمَ الإنسان بقلة الموافق ، فإن الله معه ، ومن كان الله معه ، كان كثيراً ، ولا بكثرة المخالف المشاقِق ، فإنهم أعداء الله ، فليس معهم ومن لم يكن الله معه ، كان قليلا (٣٩ : ٣٦ ، ٣٧ أليس الله بكافٍ عبـدَه ؟ ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله ، فما له من هاد ، ومن يهد الله فما له من مُضِلٍّ ، أليس الله بعزيز ذى انتقام ؟) .

هوان الدين عند الأكثرية

وممايبنغى أن يكون نصب العين معياراً يعرف به هوان الدين عند أكثر الناس ، وهو أن أحدهم لو كان مُشْرِفاً على الموت من الجوع ، ووجد

---

(١) من حديث نصه : عن عبادة بن الصامت « بايعنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسروالمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لانخاف فى الله لومة لائم» الصحيحان ، الموطأ ، النسائى . المنشط : الأمر الذى ينشط له ، ويخفف إليه ، الأثرة : الاستيثار بالشىء والانفراد به .

(٢) من حديث رواه ابن ماجة : «وايم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها » .

(٣) نص الحديث : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعودكما بدأ ، فيا طوبى للغرباء» مسلم عن أبى هريرة ، والنسائى عن ابن مسعود ، وابن ماجة عنهما وعن أنس ، وطوبى : فرح وقرة عين كما فسرها ابن عباس .

طعاما شهيا ، فقال له أحد : إنه مسموم لم يقرب به بعد ذلك ، ثم لا يبالى بقول هؤلاء العلماء [١] الذين هم القدوة فى الدين [٢] أن كلام هؤلاء الاتحادية سم حاسم للدين من أصله ، ذابح للإيمان بسيفه ونصله ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون .

من هم الأولياء ؟

هذه نبذة من ذم أهل الحق له [٣] ، وهم الأولياء حقيقة ؛ لما شاع لهم من الأنوار التى ملأت الأقطار بمصنفاتهم التى أحيوا بها الدين ، وأيدوا سنة سيد المرسلين ، فقد قال الشيخ محيى الدين النووى [٤] فى مقدمة شرح المهذب « فصل فى النهى الأكيد ، والوعد الشديد لمن يؤذى ، أو يبغض الفقهاء ، والمتفقهين » . وروى الخطيب البغدادى [٥] عن الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما أنهما قالا : « إن لم يكن الفقهاء [٦] أولياء لله ، فليس لله ولى » وعن ابن عباس رضى الله

---

(١) بل لا يبالى بالقرآن والسنة ، وفيهما الفيصل الحق بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والهدى والضلال .

(٢) القدوة والاسوة : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) لابن عربى .

(٤) يحيي بن شرف . ولد سنة ٦٣١ . ومات سنة ٦٧٦ هـ . وكان واسع المعرفة بالحديث والفقه واللغة .

(٥) أحمد بن على بن أبي ثابت أبو بكر الإمام الحافظ المصنف المؤرخ . ولد سنة ٣٩٢ هـ . وتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، وقد ترك قرابة مائة مصنف .

(٦) هم الذين يعتصمون فى فقههم بالكتاب والسنة ، ويدعون الناس إلى الاعتصام بهما والعمل بما فيهما ، لا أولئك الذين صفع لهم فقههم الرأى المفتون ، أو يدعون الناس إلى اتخاذ كتبهم أربابا من دون الله ، ويدينون بمذهب فلان . فمثل هؤلاء أولياء الشيطان ، ثم الله سبحانه بين خصائص الولى فى قوله : « الذين آمنوا ، وكانوا يتقون » وبينها رسوله الكريم بقوله : « إن أولياء الله المصلون ، ومن يقيم الصلوات الخمس التى كتبها الله على عباده ، ومن يؤدى زكاة ماله طيبة بها =

عنهما[١] : «من آذى فقيها ، فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد آذى الله عز وجل» انتهى . ومن نابذ كلامهم ، فقد عاداهم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب[٢]» ومن رد أقوالهم[٣] لأجل توهّم أن من حكموا بكفره ولى لشهرة باطلة ، وكلام مُزَوَّق يراد به الإضلال والغرور ، فَمَنْ كَمَنْ[٤] أصابه داء ، فوصف له الأطباء العارفون دواء ، فقال له عامى : لا تسمع منهم وخذ هذا فقد قال لى فلان وفلان — وعد جماعة مثله — : أنه نافع ، فاعتمد على مُجَرِّب ، ولا تعتمد على طبيب . وأمثال هذا من الخرافات ، فقبل كلامه ، لكونه قريب الطبع من طبعه ، فأعطاه سمًّا ، فتحسَّاه ، فهلك إلى لعنة الله ، فإنه لا عبرة بشهرة أصلا إلا شهرة كانت بين أهل العلم [٦٠] الموثوق بهم ، لأن الاستفاضة والشهرة من العامة ، لا يوثق بها ، وقد يكون أصلها التلبيس ، وأما التواتر فلا يفيد العلم ، إذا لم ينتبه إلى معلوم محسوس ، وأما من مدحه ، فهو أحد رجلين كما مضى عن الفاسى وغيره : رجلٍ بلغه زهده وانقطاعه عن الناس ، ولم يبلغه مافى كلامه من المصائب فالجرح[٥] مُقدَّم على ثنائه ، أو رجلٍ كان يعتقده فى الباطن ، فهو يناضل

= نفسه ، ومن يصوم رمضان ، ويحتسب صومه ، ويجتنب الكبائر ...» الحديث . رواه أبو داود والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وابن مردويه كلهم عن عبيد بن عمير الليثى

(١) فى الأصل : عنه

(٢) البخارى وأحمد والطبرانى وأبو يعلى

(٣) هذا إذا كانت حقا مشرقا من النورين : الكتاب والسنة ، لا كأقوال علاء الدين البخارى ، فقد رد أساطيرهم بأساطيره

(٤) أى من فعل هذا فهو كمن أصابه داء الخ

(٥) فى الأصل : فالحرح

عن نفسه ، فلا عبرة به[1] .

رأى ابن أيوب فى الحلاج وابن عربى

وحدثنى الفاضل جمال الدين عبد الله بن الشيخ القدوة زاهد زمانه ، والمشار إليه بالصلاح والمعارف والورع ، وحفظ اللسان فى أوانه بدمشق الشيخ على بن أيوب[2] : أنَّ أباه ـ الشيخ عليا المذكور ـ كان يجلس فى الجامع مُطرقا يقيم إحدى رجليه هيئة المستوفز ، ويضع ذقنه على ركبته ، فلا يُكلَّم لهيئته ، فإذا رفع رأسه ، عُلم أنه أذن فى الكلام ، فسأله من أراد عما شاء ، ففعل ذلك يوما ، فلما رفع رأسه ، سأله شخص عن ابن عربى هذا ، فأطرق زمانا طويلا ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه كفر كفرا ، ما وافق فيه كفرَ ملة من الملل ، بل خرق بكفره إجماع الملل[3] ، وزاد عليهم . قال الشيخ جمال الدين : فحكيت ذلك لبعض من يشار إليه بالعلم والميل إلى ابن عربى ، فقال : والله لو سمع ابن عربى هذا الكلام لقال : ما عرفنى أحد غير هذا الرجل . قال : وسئل والدى أيضا عن الحلاج ، فقال : لاشك أن الحجاج قتل من العلماء خلائق يتعسر حصرهم ، وشتت شملهم

---

(١) الحكم على ابن عربى بما حكم الله به على من ألهوا عيسى ، وعبدوا الأوثان وغيرهم ليس فى حاجة إلى كل هذا ، فكتابه الفصوص ثابت النسبة إليه ثبوت لعن الله لأبى لهب ، والفصوص ـ ردغة كفر ، وحمأة زندقة . وما ينفع ابن عربى أن يشهد له ملايين الصوفية بأنه الربانى الأعظم ، فشهادة كتبه عليه شهادة الحق والصدق ، فليشهد الصوفية له بأنه وأنه ، فكذلك الصديد ، لا يشهد له بأنه طعام طيب سوى الميكروب الذى يحيا به وفيه ! !

(٢) الإمام الفقيه البارع المتقن المحدث بقية السلف ـ كما يقول الذهبى . ولد سنة ٦٦٦ هـ وتوفى سنة ٧٤٨ هـ

(٣) هذا يدل على فهم دقيق غاية الدقة لمعتقد ابن عربى ، فإنه كفر بكل كفر ثم أضاف إليه كفره ، ثم جعل من هذا كله دينا للصوفية

وأبادهم ، وقتل سعيد بن جبير[١] ، وأهل الأرض محتـاجون إلى علمه ، وخلعه العلماء وخرجوا عليه ، وقاتلوه ، ومع هذا كله لم يقل أحد منهم : إنه كافر ، بل قالوا : إنه من عصاة المسلمين ، لا تحل امرأته لذلك . والحلاج ما تعرض لأحد من أهل العلم بأذى فى دنياه ، وأجمع جميع أهل زمانه منهم على كفره، واستباحة دمه ، فلو كان العلماء يقولون بالهوى ، لقالوا فى الحجـاج الذى ما ترك نوعاً من الأذى حتى رماهم به ، فثبت أنهم لايقولون بالهوى ، فوجب على الناس اتباعهم[٢] وقبول كلامهم» وهذا غاية فى البيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

. . .

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الضابط المتقن المتفنن أستاذ المفسرين نادرة المحدثين ، برهان دين العالمين ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى ، نزيل القاهرة المحروسة : فرغت من مسودة هذا الـكتاب بحمد الهادى للصواب فى شوال سنة أربع وستين وثمانمائة . والحمد لله وحده .

. . .

وفُرِغ من نسخ هذه النسخة المباركة فى وقت العصر من يوم الأربعاء من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة .

---

(١) أحد أعلام التابعين ، كان مع عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبدالملك بن مروان ، فلما قتل ابن الأشعث ، فر سعيد إلى مكة ، فظفر به الحجاج ، فقتله فى شعبـان سنة ٩٥ هـ كما فى الوفيات ، أو ٩٤ سنة كما فى مروج الذهب والـكامل لابن الأثير

(٢) إنما الواجب اتباع الـكتاب والسنة ، وتأييد كل داع إلى الله بالحق . وما أركس الناس فى فتنة الضلالة سوى اتخاذهم القرآن مهجورا ، وكتب الناس أربابا من دون الله ! !

تحذير العباد من أهل العناد

ببدعة الاتحـــاد

للشيخ الإمام العالم العلامة ، الحافظ المحقق الرحلة ، ناصر السنة
قامع البدعة ، محيي العدل ، برهان الملة والدين

إبراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى

لطف الله بهم أجمعين

آمين

وأيذوهم ، وقتل سعيد بن جبير(١) ، وأهل الأرض محتاجون إلى علمه ، وخلعوا الخلفاء وضربوا عليه ، وقاتلوه ، ومع هذا كله لم يقل أحد منهم : إنه كافر ، بل قالوا : إنه من عصاة المسلمين ، لا تحل امرأته لذلك . والحلاج ما تعرض لأحد من أهل العلم بأذى في دنياه ، وأجمع جميع أهل زمانه منهم على كفره ، واستباحة دمه ، فلو كان العلماء يقولون بالهوى ، لقالوا في الحجاج الذي ما ترك نوعاً من الأذى حتى رماهم به ، ثبت أنهم لا يقولون بالهوى ، فوجب على الناس اتباعهم(٢) وقبول كلامهم ، وهذا غاية البيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الشيخ الإمام [illegible] بقية المجتهدين ، [illegible] أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي ، نزيل القاهرة المحروسة : فرغت من مسودة هذا [illegible] في شوال سنة أربع وستين وثمانمائة . والحمد لله وحده .

وفرغ من نسخ هذه النسخة المباركة في وقت العصر من يوم الأربعاء من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة .

---

(١) أحد أعلام التابعين ، كان مع عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل ابن الأشعث ، فر سعيد إلى مكة ، فظفر به الحجاج ، فقتله في شعبان سنة ٩٥ هـ كما في الوفيات ، أو ٩٤ سنة كما في مروج الذهب والكامل لابن الأثير .

(٢) إنما الواجب اتباع الكتاب والسنة ، وتأييد كل داع إلى الله بالحق . وما أكثر الناس في فتنة الضلالة سوى اتخاذهم القرآن مهجوراً ، وكتب الناس أرباباً من دون الله !!

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الهادّ، لأركان الجبابرة الشِّداد، القامع لأهل الإلحاد، بسيوف السُّنَّةِ الحِداد. وأشهد أن لا إله إلا الله المفضل[1] الهاد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده [ورسوله[2]] الداعى لسائر العباد، إلى سبيل الرشاد. صلى الله عليه، وعلى آله الخيرة الأمجاد، وصحابته الأبطال الأنجاد، وسلم تسليما يغلب التعداد، ويبقى على مر الآباد.

وبعد: فهذه رسالة سميتها: «تحذير العباد من أهل العناد، ببدعة الاتحاد أنفذتها إلى العُبَّاد فى جميع البلاد، الراغبين فى الاستعداد ليوم المعاد، بموالاة أهل الوداد، وملاواة[3] الأشقياء الأضداد، الضالين بنحلة الاتحاد، أرجو أن تكون ضامنة للاسعاد يوم التناد، فقلت: اعلموا أيها الإخوان الذين هم على البر أعوان، حفظكم الله، ورعاكم، وصانكم من كل سوء، وحماكم - أنه لا يقدم على الأمر بالمعروف [والنهى عن المنكر[4]] إلا من جعل نفسه هدفا للحتوف[5] وتجرع من مر الكلام ما هُوَ أَمَرُّ من السهام، فإن الناهى عن المنكر، يعانى الهوان الأكبر، بمعاداة كل شيطان من الإنس والجان، يقوم عليه الجيلان، ويرشقه بسهام الأذى القبيلان، شياطين الإنس ظاهراً بالمقال والفعال، وشياطين [الجن[6]] باطناً بما يوحون إليهم من الضلال.

---

(١) لعلها المضل، فهكذا وردت فى أول رسالته الأولى

(٢، ٤، ٦) كلها ساقطة من الأصل، والسياق يوجبها

(٣) يقال: لاوت الحية الحية ملاواة: إذا التوت عليها

(٥) جمع حتف وهو الهلاك، وقيل: هى مصدر بمعنى الحتف، وهو قضاء الموت «أساس البلاغة للزمخشرى»

آيات سلّى الله بها نبيه

ولصعوبة المقام ، وما فيه من الأخطار والآلام ، سلّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى : (١٥ : ٩٧ـ٩٩ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك ، وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال الله تعالى : (٦ : ٣٣ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال تعالى : (٦ : ١٠٨ كذلك زينا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى : (٦ : ١١١ـ١١٣ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون . وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم ، وما يفترون . ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) وقال تعالى : (٦ : ١٢١ـ١٢٣ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون . أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك [٦٣] زُيِّن للكافرين ما كانوا يعملون . وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ؛ ليمكروا فيها ، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) إلى غير ذلك من الآيات والدلالات الواضحات ، ففى الأنبياء الذين هم أشرف الخلق عليهم أفضل الصلاة والسلام مَسْلاَةٌ لأتباعهم ، واعتبار بأحوالهم ، واعتصام ، وما أتى أحدٌ قط أحداً[١] بمخالفة هواه إلا ساءه[٢] وأذاه ، إلا من عصم الله : (٢ : ٨٧ أفكلما جاءكم

---

(١) فى الأصل : أحد بالرفع . وهو خطأ

(٢) فى الأصل : ساه

رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقاً تقتلون) وهؤلاء الذين اتسموا بسِمة الاتحاد ، وقد ألفهم الطغام[١] من الأنام ؛ لما غرَّروهم به من إظهار التصوف ، ليأخذوهم من المأمن ، وما دروا أن الصوفيـة أشد الناس تحذيرا منهم ، وتنفيرا للعباد عنهم .

الرأى فى سلف الصوفية

فإن المحققين منهم والمحققين[٢] بنوا طريقهم على الاقتداء بالـكتاب والسنة[٣] ، كما نقل القاضى عياض فى أوائل القسم الثانى من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الحسن[٤] رحمه الله أنه قال : « إن أقواماً قالوا : يارسول[٥] الله ، إنا نحب الله ، فأنزل الله تعالى : (٣ : ٣١ قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وعنه أنه قال : « عمل قليل فى سُنّةٍ خيرٌ من عمل كثير فى بدعة » وعن أبى عثمان الحيرى[٦] أنه قال : « من أمَّر على نفسه السنة قولا وفعلا نطق بالحـكمة ، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة » ، وقال سهل بن عبد الله التسترى[٧] : « أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية فى جميع

---

(١) الأوغاد من الناس ، مفرده طغامة ، وهو يتطغم على الناس : يتجاهل عليهم « أساس البلاغة »

(٢) كذا بالأصل : ولعل الثانية زائدة ، أو لعلها : المتحققين

(٣) كتب الصوفية سلفهم وخلفهم تشهد عليهم بنقيض هذه الدعوى الـكذوب وقد سبق بيان هذا

(٤) يعنى : البصرى . ولم يك صوفيا

(٥) فى الأصل : برسول . وهى كما أثبتها فى الشفاء

(٦) هو سعيد بن إسماعيل بن منصور . توفى سنة ٢٩٨ هـ

(٧) توفى سنة ٢٧٣ هـ

الأعمال[١] » وفى كتب القوم كالرسالة والعوارف[٢] من ذلك شىء كثير ، والشهادة على من قال : الحقيقة خلاف الشريعة بالزندقة[٣] ، وأن الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم[٤] ، قاله الجنيد[٥] ، وقال أبو عثمان الحيرى : خلاف السنة فى الظاهر علامة رياء فى الباطن ، وقال النورى[٦] : من ادعى حالا يخرجه من حد العلم الشرعى ، فلا تقربن منه ، وقال الخراز : كل باطن يخالفه ظاهر ، فهو باطل ، وقال القشيرى : حكم الوقت فيما ليس لله فيه أمر ، إذ التضييع لما أمرت به ، والإحالة على التقدير ، وعدم المبالاة بما يحصل من التقصير – خُروجٌ عن الدين[٧] ، وقال السهروردى فى قوم تسموا

---

(١) انظر ص ٧ جـ ٢ الشفاء ، وإذا كان هذا صحيحا ، فلم يوجبون الاقتداء بالشيوخ وحدهم ؟ ولم يأكلون السحت من صناديق نذور الأصنام ؟ ولم يقصدون بالصلاة فى مساجدهم وجود الهامدين فى الأضرحة ؟ !

(٢) الرسالة لعبد الكريم بن هوازن القشيرى . ولد سنة ٣٧٦ وتوفى سنة ٤٦٥ هـ . والعوارف لأبى حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى ولد سنة ٥٣٩ وتوفى سنة ٦٣٢ هـ

(٣) إن من يقسم الدين إلى حقيقة وشريعة لا يقترف هذا إلا وهو يتصور المغايرة بين الإثنين ، ويؤمن بهذه الغيرية ، وكتب القوم جميعها طافحة بهذا مفضلة الحقيقة على الشريعة ، وإلا . فما فائدة التقسيم عندهم ؟

(٤) انظر ص ١٩ من الرسالة للقشيرى

(٥) يسمونه سيد الطائفة . توفى سنة ٢٩٧ هـ وكما نقل عنه القشيرى هذا ، فقد نقل عنه أنه سئل عن العارف فقال : من نطق عن سرك وأنت ساكت ! ! والله وحده هو الذى يعلم ما تكن الصدور

(٦) أحمد بن محمد أبو الحسين . مات سنة ٢٩٥ هـ

(٧) ولكن اسمع للقشيرى يقول فى رسالته ص ٣١ : « الكيس من كان بحكم وقته . إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة » ألا ترى القشيرى هنا يؤكد المغايرة بين الشريعة والحقيقة ، وأن العارف فى المحو ترفع عنه تكاليف الشريعة ؟

بالملامتية[١] : «إنهم – فى غرور – يزعمون أن الارتسام بالشريعة رتبة العوام ، وهذا عين الإلحاد ، وكل حقيقة ردتها الشريعة فهى زندقة[٢]» وكذا قال الشيخ [٦٤] عبد القادر الكيلانى ، وقال القشيرى : « من كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ [صحيح[٣]] مصحوباً ، ومن كان مُحِقاً فى حاله ، كان محفوظا فى سكره ، والعبد[٤] فى [حال[٥]] سكره يشاهد الحال ، وفى حال صحوه يشاهد[٦] العلم ، إلا أنه فى حال سكره محفوظ ، لا بتكلفه ، وفى حال صحوه متحفظ بتصرفه ، ومن شرط الولى أن يكون محفوظا ، كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما » : وإنما نقلت هذه النبذة الماضية من الشفاء[٧] ، ليعلم أن طريق

---

(١) اقرأ عنهم كتاب الدكتور عفيفى : الملامتية

(٢) ص ٥٧ عوارف المعارف للسهروردى

(٣) ، (٥) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الرسالة للقشيرى

(٤) فى الأصل : وهو . والتصحيح من رسالة القشيرى

(٦) فى الأصل : بشرط ، والتصحيح من رسالة القشيرى

(٧) نقل المؤلف هذه النصوص ليقيم الحجة على الصوفية بشهادة أئمتهم ، ولكن ما ينبغى أن تغرنا بالحق هذه النصوص ، فإنما هى وجه إسلامى لقلب مجوسى ، يحتدم حنقا على الكتاب والسنة ، فالقشيرى الذى يتراءى بتمجيد السنة هو الذى زعم فى رسالته أن قبر معروف الكرخى يستشفى به ، ونقل قول الكرخى للسرى للسقطى : « يا سرى . إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بى » ويكفى هذا لإخراج المرء من زمرة المسلمين . ويقول السهروردى فى عوارفه ص ١٥٨ « وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ، ومتمسك أرباب الصدق » فأين الجمعة والجماعة والجهاد فى سبيل الله ؟ ثم يدعو السهروردى دعوة ما نوية صرفة فينسب إلى الرسول زورا أنه أباح العزوبة لأمته بعد المائتين ، ويقول : سمعنا عن الجيلى أن بعض الصالحين قال له : لم تزوجت ؟ فقال : ما تزوجت حتى قال لى رسول الله ، فقال له : الرسول يأمر بالرخص ، وطريق القوم : التزم بالعزيمة » يلتزم طريق القوم ، ولا يلتزم أمر الرسول !! فهل تشم نفحة من السنة ؟ لا بل=

الفقهاء هي طريق الصوفية[١] ، هذا ما بني عليه الصوفية أمرهم ، وأما هؤلاء الذين تشبهوا بهم ، ونبه العلماء — حتى الصوفية — على أنهم ليسوا منهم ، ودلَّسوا على الناس ، ولبسوا أحوالهم ، ليقطعوا الطريق على أهل الله ، وهم يظهرون أنهم منهم .

منابذة الصوفية للعقل والشرع

فأول ما بنوا عليه أمرهم ترك العقل[٢] الذى بنى الله أمر هذا الوجود على حكمه بشرط استناده إلى النقل الذى أنزل به كتبه : وأرسل به رسله عليهم الصلاة والسلام ، لئلا يزل العقل بما يغلبه من الفتور والشهوات والحظوظ ، وجعل العقل حاكما[٣] لا يعزل بوجه من الوجوه فى وقت من الأوقات فى ملة من الملل وضموا إلى ذلك[٤] الداهية الدهياء ، وهى ترك ما عطَّر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الكون بمدحه ، وملأ الوجود بذكر مناقبه وفضائله ، وهو العلم والشرع

= يحموم المانوية الصرفة الداعية إلى القضاء على النوع الإنسانى ، وإبادة الجنس البشرى كله . وهذا يؤكد لك قوة الصلة ، بين مجوسية مانى وبين التصوف

(١) شتان شتان ما طريق الصوفية ، وطريق الفقهاء ، والصوفية أنفسهم يقرون بهذا ، ويزعمون أن طريقهم هو الحقيقة لا الشريعة ، ومتمسك الفقهاء هى الشريعة ، والصوفية يرون المستمسك بالشريعة محجوبا عن الحقيقة ، ثم ما لابن حنبل يأبى أن يسير فى جنازة الحارث المحاسبى ؟! إنه اشتم من كلامه نتن رائحة التصوف؟!

(٢) مقياس الحقيقة ومصدر المعرفة عند الصوفية هو الذوق ، وهذا سر ترديدهم لأسطورتهم : من ذاق عرف ، أما العقل فيكفرون به ، ويرونه حجابا يستر الحقيقة ، كل هذا ليغروا من حكم العقل عليهم بالأفن والضلال

(٣) ما للعقل أن يحكم على الحقائق الشرعية ، والقيم الدينية إلا بحكم الكتاب والسنة ، لا كما يزعم الفلاسفة وغيرهم من علماء الكلام والأصول : وهو أن العقل أصل النقل وحاكم عليه

(٤) أى إلى تركهم للعقل

وحذروا من اتباع شىء من ذلك غاية التحذير ، فكانوا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، وذلك بَيِّنٌ جداً فى فصوص ابن عربى ، ونظم تائية ابن الفارض اللذين قصد بهما هدم الشريعة ، وكل منهما[1] ثابت عمن نُسِب إليه عند أهله ثبوتا رافعا للريب والتائية متصلة بابن الفارض بالآحاد والتواتر .

موقف العلماء من ابن عربى وابن الفارض

وقد كفرهما العلماء بسبب ما نُقل من حالهما ، وما صَدَّق ذلك من كلامهما . أما ابن عربى ، فالمتكلمون فيه كثير جداً ، وكان له علم كثير فى فنون كثيرة ، وله خداع كبير غَرَّ به خلقا ، فأثنى عليه لأجل ذلك ناس من المؤرخين[2] مِمّن

---

(١) يعنى : الفصوص والتائية الكبرى

(٢) كم سجل الهوى فى التاريخ البطولة للرعديد ، والقدسية للداعر ، والعدالة للطاغية ، والجماعة الإنسانية التى تتعدد ، وتتباين فيها المقاييس الدينية والخلقية والاجتماعية تختلف على نفسها فى تقدير قيم الحقائق والأشياء ، وبالتالى فيمن تنسب إليهم هذه القيم إثباتا أو نفيا ، لذا أمر الله سبحانه أن يجعل المسلمون كتاب الله وسنة نبيه حكما بينهم ، يحتكمون إليها كلما شجر بينهم خلاف ، حتى يقوموا حقائق الأشياء بالحق والعدل ، ويحكموا فى أقضيتهم بالحق والعدل ، فلا يبدد الخلاف وحدتهم ، ولا يذهب بهم الهوى شيعا وأحزابا ، وقد حدد الكتاب والسنة مفهوم التوحيد والشرك ، ومفهوم الإيمان والكفر ، بل والخير والشر ، وضرب الله سبحانه لنا أمثالا ممن حكم عليهم بواحد منها . فبجانب نوح عليه السلام ذكر ابنه وبجانب إبراهيم عليه السلام ذكر أباه آزر ، وبجانب موسى وهرون عليهما السلام ذكر الله فرعون وهامان وقارون ، وبجانب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أبا لهب بالاسم ، وغيره بالصفة ، وبجانب مريم وامرأة فرعون ذكر امرأة نوح وامرة لوط . ذكر الأولون فى مقام الثناء عليهم ، وإسباغ الرضى والرحمة ، وذكر الآخرون فى مقام الذم وصب الغضب واللعنة عليهم ، مع ذكر أسباب الثناء وأسباب الذم ، لتكون لنا بالصالحين نعم القدوة ، فنسعى سعيهم ما استطعنا ، وفى الطالحين العظة =

خفى عليهم أمره، أطبق العلماء على تكفيره وصار أمراً إجماعيا. وأما ابن الفارض فأمره أسهل ، وذلك أنه لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحاله ثناء عليه بدالة ، ولا ولاية ، ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية ، ولا مدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدة واحدة على كثرة شعره ، فدل ذلك على سوء طويته ، ونُقِل القدح فيه نقلا قطعيا عن محبيه ومبغضيه ، فقد قال شراح تائية التابعون لطريقته والمنتقدون عليه من أهل السنة : إن أهل زمانه كلهم من أهل الشريعة ، وأرباب الطريقة رموه بالفسق والإباحة والزندقة [٦٥] على الإجمال .

المكفرون لابن الفارض

وأما التفصيل والتعيين ، فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالما ، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا ، فمن أهل عصره سلطان العلما عز الدين [ابن] عبد السلام الشافعى ، والحافظ الفقيه الأصول تقى الدين ابن الصلاح الشافعى ، والإمام الفقيه المحدث الصوفى قطب الدين القسطلانى الشافعى ، والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلى (١) وشرح التائية ، وبين

= والعبرة ، فنحذر مما أركسوا فيه ، وبسببه لعنهم الله وطردهم من رحمته . وبهذه المقاييس القرآنية يجب أن نؤمن ، وبها يجب أن نقيس كل ما يعرض علينا من أمور الدين والحياة ، فلا نفهم فى التوحيد إلا ما بينه الله سبحانه به ، وكذلك الشرك وغيرهما . ولا يخدعنا عن الحق الجلى من كتاب الله كهان ولا أحبار ، ولا رهبان ، وعلى هداية الحق ننقد التصوف ، دون أن نعير التفاتنا إلى ثناء المثنين ، أو ذم الذامين ، ما دمنا نحمل المشعل الوهاج من القرآن يكشف لنا ما خفى من أمر التصوف . فما يهم بعده ثناء الملايين على ابن عربى وابن الفارض ، وكيف ، ونحن نعرف قصة فرعون وقصة الوثنية ، ونعرف بم حكم الله على الجميع !؟ فكل من نجده فى دينه منتسبا إلى الفرعونية أو الوثنية ، حكمنا عليه بحكم الله ، وإن ضج الملايين من الصوفية ! !

(١) من أئمة الفقه والأصول ، ولى نيابة القضاء بالقاهرة . ولد سنة ٦٠٣ وتوفى سنة ٦٩٥ هـ

عواره فيها بيتاً بيتاً - وأبو على عمر بن خليل السكونى المالـكى ، والشيخ جمال الدين بن الحاجب المالـكى .

وممن يليهم قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد الصوفى الشافعى ، وقاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأغر الشافعى ، وقاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعى ، والشرف عيسى الزواوى المالـكى ، والسعد الحارثى الحنبلى، والإمام أبو حيان الشافعى ، وأبو أمامة ابن النقاش الشافعى ، والحافظ شمس الدين الموصلى الشافعى ، وشيخ الإسلام تقى الدين السبكى الشافعى ، وشيخ الفقهاء الزين[١] الـكتنانى الشافعى ، والشيخ تقى الدين ابن تيمية الحنبلى .

وممن يليهم الـكمال جعفر الأدفوى[٢] الشافعى - ونقل ذم التائية عن العلماء - والبرهان إبراهيم السفاقسى المالـكى ، والشهاب أحمد بن أبى حجلة الحنفى ، والحافظ شمس الدين الذهبى الشافعى ، والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعى .

وممن يليهم العلامة شمس الدين محمد العيزرى[٣] الشافعى ، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى الشافعى ، وعلامة زمانه علاء الدين محمد البخارى الحنفى الصوفى - وكفَّر بعض من قال بحضرته : إن ذلك يُؤَوَّل[٤] ، وما أنـكر عليه أحد ممن كان حاضره من العلماء تـكفيره له ، ولا غيرهم من أهل زمانه من مذهب من المذاهب ، وما وسع المـكفِّر إلا البراءة من الاتحادية ، ومذهبهم .

وممن يليهم قاضى القضاة ولى الدين العراقى ، وقاضى القضاة حافظ عصره

---

(١) فى الأصل : الدين

(٢) ولد سنة ٦٨٥ ، أو سنة ٦٧٥ هـ ، وتوفى سنة ٧٤٨ هـ

(٣) ولد بالقدس سنة ٧٢٤ ، وتوفى سنة ٨٠٨ هـ ومن شيوخه ابن قيم

(٤) من قال بهذا هو شمس الدين البساطى كما ذكر المؤلف من قبل

شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعى ، وقاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى وقاضى القضاة شمس الدين البساطى المالكى ، وعلامة اليمن بدر الدين حسين ابن الأهدل الشريف الشافعى الصوفى ، كما شهد بهذا النقل عنهم نحو عشرين كتاباً من مصنفاتهم ، ومصنفات غيرهم من العلماء ، وهى شرح التائية لابن حمدان ، وديباجة ديوان ابن الفارض ، ولحن العوام لابن خليل ، وتفسير أبى حيان البحر والنهر والفرقان لابن تيمية[1] ، وقصيدة السفاقسى التى يقول فيها :

وكالششترى القونوى ابن فارض

فلا بردّ الله ثراهم ، ولا أسقى

والقونوى الذى ذكره . صدرُ الدين [٦٦] صاحب ابن عربى ، وكتاب ابن أبى حجلة ، والميزان ولسانه لابن حجر ، والتاريخ لابن كثير بخطه ، وناصحة الموحدين للعلاء البخارى ، والفتاوى المكية للعراقى ، وتاريخ العينى وشرح التائية للبساطى ، وكشف الغطاء لابن الأهدل . فهذه ستة عشر كتابا وقصيدة شهدت بكفره من بضع وعشرين عالما ، هم أعيان كل عصر .

موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض

وممن كفره قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى ، وقاضى القضاة محقق زمانه شمس الدين القاياتى ، ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسى الشافعى والعلامة علاء الدين القلقشندى الشافعى ، والشيخ يحيى العجيسى المالكى والعلامة

(١) لا يكاد يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من نقد الصوفية ، وبيان عوارهم ويلاحظ أن البقاعى لم ينقل عن ابن تيمية سوى النذر اليسير ، بل الذى لا يكشف تمام الكشف عن العبقرية المحلقة للامام الجليل فى نقده للتصوف بالعقل والنقل ، وهذا يثير الدهشة من جانب البقاعى ، أما نحن فيسرنا هذا حتى لا توضع خصومة ابن تيمية للتصوف موضع التهمة من الصوفية فى هذا الكتاب

شمس الدين البلاطنيسى الشافعى شيخ الشاميين فى وقته ، وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندى الحنفى ابن صاحب الهداية ، والعلامة الصوفى كمال الدين ابن إمام الـكاملية الشافعى ، والعلامة شهاب الدين ابن قر الشافعى ، والعلامة أبو القاسم النويرى المالـكى ، كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم .

فهؤلاء أعيان العلماء فى عصر ابن الفارض ، وفى كل عصر أتى بعـده طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا ؛ وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة التى هى عمدة الإسلام [1] ، فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة على من قال بكفره ، أما من لم ندركه فبشهادة الـكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائليها . وأما من أدركناه فبشهادة الـكتب فى بعضهم ، وشهادة الثقاة فى باقيهم [2] ، هـذا إلى ما شهدت به شروح التائية كما يأتى .

تواتر نسبة ابن الفارض إلى الـكفر

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الـكفر متواترة تواتراً معنويا . وقد علم بهذا عذر من كفَّره ، لو لم يكن له سند غير هذا ، فـكيف وقد تأيد هذا بما فى كلامه وكلام ابن عربى من الطامات التى منها منابذة العقل والشرع كما مضى ؟ .

---

(١) يسير المؤلف مع القافلة الشرود فيرى فى المذاهب الأربعة عمدة الإسلام ، وينسى الـكتاب والسنة اللذين أمرنا الله سبحانه أن نرد إليهما كل شىء ، ولو رددنا أمر الصوفية إلى بعض شيوخ هذه المذاهب — لا الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم — لوجدناهم يصححون له زندقته ، أما الـكتاب الـكريم فقد حـكم الله فيه بالـكفر على القائل : الله هو المسيح ، وابن عربى يقول : الله عين كل شىء

(٢) إن من يقرأ نصف بيت من تائية ابن الفارض ، كقوله مثلا : فى دارت الأفلاك . أو : وفى الصحو بعد المحو لم أك غيرها . أو : وما زلت إياها . من يقرأ شيئا من هذا لا يتردد فى الحـكم على ابن الفارض أنه رجل انسلخ عن الإسلام . يحـكم بهذا المسلم ، بل غير المسلم ممن يقارنون بين التوحيـد فى القرآن ، وبين الوحدة عند ابن الفارض . فما بالك ، وقد حـكم عليه كل أولئك العلماء ؟ !

الضلال عند الصوفية خير من الهدى

أما مافى الفصوص من ذلك ، فقد قال فى الفص النوحى فى أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام ، التحريف الذى يكفر الإنسان بأدنى شىء فيه[١] : « (٧١ : ٢٤ وقد ضلوا كثيراً) أى حَيَّروهم فى تعداد الواحد (ولا تزد الظالمين) المصطفين الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة (إلا ضلالا) إلا حيرة ، فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب ، فلا يبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه ، صاحب خيال إليه غايته ، وله « من » و « إلى » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له ، فيحكم عليه « إلى » فله الوجود الأتم ، وهو المؤتى جوامع الكَلِم والحكم » وقال : (٧١ : ٢٢ ومكروا مكراً كبارا) لأن الدعوة إلى الله مَكْرٌ بالمدعُوِّ ، لأنه ما عدم من البداية ، فيُدْعى إلى الغاية ، ادعوا إلى الله ، فهذا [٦٧] عين المكر[٢] » .

رب ابن الفارض أنثى

وأما مافى التائية من ذلك فقال فيها مخاطباً لله تعالى ـ كما أجمع عليه شراحه ـ بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها وهى نحو سبعمائة[٣] بيت ، ولو خاطب أحد من أهل الزمان غيرَه بمثل ذلك[٤] قاتَلَه ، لكن الناس لا يحلمون إلا عند حقوق مولاهم سبحانه ، وأما فى حقوقهم ، فهم فى غاية الحدة والمشاححة[٥] ، والله الهادى .

---

(١) فى هامش الأصل : لعله : منه

(٢) سبق نقل هذا عن ابن عربى وتعليق عليه

(٣) بل تقارب الثمانمائة

(٤) أى : بمثل غزله الماجن فى الذات الإلهية

(٥) مثال ذلك حنق الصوفية على كل من يذود عن الكتاب والسنة ، ومن =

تفضيل الزنديق نفسه على الرسل

قال :

وحزنى ما يعقوبُ بَثَّ أَقَلَّه

وكلُّ بلا أيوب بعضُ بليتى

فضله الشارع على من ذكر فى البيت كما هو ظاهر العبارة وعلَّل ذلك بقوله « لقوة استعداده ، فسار فى خطوة واحدة مالا يستطيعه غيره إلا فى أزمنة طوال» وقال القاضى عياض فى أواخر الشفاء : « من قال : صبرت كصبر أيوب ، إن درئ عنه القتل لم يسلم من عظيم النكال » وأقول : فكيف إذا فضَّل نفسَه ، وكذب نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس بلاء الأنبياء[1] » ؟ !

الخلاعة سنة ابن الفارض

قال :

وخلع عذارى فيك فَرْضِى وإن أبى اقترا

بى قومى ، والخلاعة سنتى

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى

فأبدوا قِلَى واستحسنوا فيك جفوتى

وأهلىَ فى دين الهوى أهلُه ، وقد

رضوا لىَ عارى واستطابوا فضيحتى

فمن شاء ، فليغضب سواك ، فلا أذى

إذا رضيت عنى كِرَام عشيرتى

= يحكم على طواغيتهم بحكم الله ، ثم تمجيدهم لما يشتم به ابن عربى الله رب العالمين ، وهتافهم الساجد لوثنيته الباغية

(١) سبق ذكره ، وتخريجه ومعناه

ذللتُ بها فى الحى حتى وجدتنى
وأدنى منالٍ عنـدهم فوق همتى
وأخملنى وَهْنا خضوعى لهم ، فـلم
يرونى — هوانا[١] بى — محلا لخدمتى
ومن درجاتِ العز أمسيتُ مُخْلِدًا
إلى دركات الذل من بعـد نخوتى
فلا باب لى يُغشى ، ولا جاه يُرْتجى
ولا جار لى يُحمى لفقـد حَمِيَّتى
كأن لم أكن فيهم خطيراً ، ولم أزل
لديهم حقيراً فى رخائى وشـدتى
لحالى بها حَالٍ[٢] بعقلٍ مُدَلَّهٍ[٣]
وصحـةِ مجهود ، وعز مـذلة
أسرَّت تمَـنِّى وَصْلَها النفسُ حيث لا
رقيب حِجًا سِرًّا لِسِرِّى وخصت
يغالط بعض عنـه بعضى صيانة[٤]
ومَيْـنِى فى إخفـائه صـدق لهجتى

أجمع شراح التائية على أن المراد بالأبيات التسعة الأولى : أن طريقه هتك أستار الحرمة ، والخرق فى بعض النواميس الإلهية ، وتخليته الناس مع ربهم من غير أمرٍ بمعروف ، ولا نَهْيٍ عن منكر ، ورضاه بكل ما يقع منهم لشهوده الأفعال

(١) فى الأصل : هو اناتى

(٢) أى : متزين

(٣) فى الأصل : لعقل مدلة ، والتصويب من الديوان

(٤) فى الأصل : صبابة ، ويقصد ببعضه الأول : نفسه ، وبالآخر : عقله

كلها الواحد[١] الحقيقى الظاهر فى صور الكثرات ، وعدم الالتفات إلى المُتَرَسِّمين من الزُّهَّاد والعُبَّاد ، وكسر نواميسهم[٢] ، والرد عليهم وعدم التقييد بظواهر العلوم والاعتقادات ، فحملهم ذلك على أن رموه بالفسق والبدعة والكفر والإباحة والزندقة والخروج عن طريقهم ، فذل بين حى أهل الشريعة والطريقة وأجمعوا[٣] على أن المراد من الثلاثة [٦٨] الأخرى أن نفسه أَسَرَّت تمَنِّى الوصلَ ، وتَحَقُّقَها بحقيقته حتى غاب عنها رقيبُ العقل ؛ خوفاً من اطلاعه على ذلك ، فيغلب عليه حكم التنزيه ، فيقوم بالمنع والتشنيع ، فيقول[٤] : ما للراب ورب الأرباب ، وأنه بالغ فى الإخفاء خوفاً من أن يتنبه العقل[٥] ، فيقوم يشنع وينكر ، فصار كل واحد من الصفات يغالط الآخر ، وكذبه فى هذا صدق لهجته .

وقال بعد ذلك بكثير :

ولا استيقظت عين الرقيب ، ولم تزل
علىَّ بها فى الحب عينى رقيبتى

قال التلمسانى : « يعنى لما سكرت روحى ، ونامت عين الرقيب — وهو الشرع والعقل — أقمت عينى رقيبة علىَّ ، لرعاية آداب حضرة المحبوبة » .

ذمه للرسل وللشرائع

وقال فى ذم الشرع أيضاً .

---

(١) لعله سقط قبلها : من ، أو : فعل ، أو : صادرة عن

(٢) فى الأصل : نواميسم

(٣) أى : شراح التائية

(٤) أى : العقل

(٥) هذا إقرار صريح بأن نتائج التصوف تجافى العقل ، فإذا كان دينهم يجانب الشرع والعقل . فماذا بقى ؟

منحتك عِلماً إن تُرِدْ كَشْفَه فَرِدْ

سَبيلىَ ، واشْرَعْ فى اتباع شريعتى

فَمَنْبَعُ صَدَاء[1] من شرابٍ نقيعُه[2]

لَدَىَّ ، فدعنى من سرابٍ بقيعة

ودونك بحرا خضته ، وقف الأُولى

بساحله صَوْناً لموضع حُرْمَتى

قال الشراح : « إن معنى ذلك أنه منع أتباعه علما كماء صَدَّاء ، وهو ماء يُضرَب به المثلُ فى الغزارة والعذوبة ، ونهى عن متابعة غيره من علماء الظاهر من الأصوليين والفلاسفة والفقهاء ، وغيرهم من أهل العلوم الفكرية ، فإنها تغر السامع ، وهى كسراب بقيعة ليست شيئاً ، وأنه خاض بحر التوحيد ، وأخرج منه ما لم ينله أحدٌ من السابقين من الأنبياء والأولياء لوقوفهم فى ساحل ذلك البحر لأجل حفظ حرمته[3] » ثم خادعوا[4] بأن قالوا : « قال هذا على لسان الحضرة المحمدية[5] ؛ إذ كمال التوحيد مختص بمقام جمعه ، والكمل والتابعين إياه » انتهى .

وقد وقع من شرحه بذلك — مع الحيدة عما لا محيد عنه — فى الكفر من

---

(١) فى الديوان : صدا بالقصر لضرورة الشعر ، وهى صداء بالمد وتشديد الدال

(٢) فى الأصل : نقيعة

(٣) أى : حرمة ابن الفارض

(٤) أى : شراح التائية

(٥) ظن المؤلف أنهم يقصدون بالحضرة المحمدية محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهذا غير صحيح ، فالصوفية يريدون بالحضرة المحمدية الذات الإلهية مع التعين الأول ، ومن باطنها يزعمون أنهم يستمدون الفيوضات الإلهية مباشرة ، فمعنى قول الشراح إذاً : إنه قال هذا على لسان الله سبحانه . والدليل قولهم : مختص بكمال جمعه : أى أنه هو الذات الكاملة التى جمعت بين الحق والخلق فى أكمل ماهية

جهة أخرى ، وهى أنه يلزم منه تفضيل أتباع النبى صلى الله عليه وسلم على الأنبياء الماضين عليهم السلام[1]

يفضل أتباعه على الرسل ، وزندقته على شرعة الله

ومن نمطه — لكونه لا ينفك عن كفر — قوله عقبه :

وأصغرُ أتْباعى على عين قلبه
عرائسُ أبكارِ المعارف زُفَّتِ

فإن سِيل[2] عن معنى أتي بغرائب
من الفهم جلَّت ، أو عن الوهم دقَّت

فإنه لا يصح على لسانه ، ولا لسان غيره[3] .

ثم قال فى ذم الشرع والعلم :

ولأنك ممن طيَّشته دروسُه
بحيث استقلَّت عقلَه واستفزت

فَثَمَّ وراء النقل علم يَدِقُّ عن
مدارك غايات العقولِ السليمة

تلقيتهُ منى ، وعنى أخذتهُ
ونفسى كانت من عطائى[4] مُمِدَّتى

---

(١) بل تفضيل نفسه على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى فرض صحة زعمهم أنه يتكلم بلسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه يكون بهذا قد تعمد الكذب على رسول الله ، فهو صلى الله عليه وسلم ما قال هذا الشعر الصوفى ، وجزاء متعمد الكذب على الرسول الكريم معروف

(٢) أى : سئل

(٣) أى . ولا لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ردا على زعمهم أنه يتكلم بلسان الحضرة المحمدية

(٤) فى الأصل : بالعطاء . والتصويب من الديوان . وابن الفارض يختار كلمتى الإعطاء والإمداد عن عمد آثم يدلك على مبلغ اعتقاده فى أنه هو الله . إذ الله سبحانه هو الذى يقول عن نفسه تعالى « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك »

قالوا فى معناه : « لا يستخفنك كثرة دروس العلوم النقلية ، فوراءها علم مكنونٌ أخذتُ ظاهره من حسى ، و باطنه من عقلى ، وسِرَّه من روحى ، ومكنونه من سرى من حيث أن كل واحد منها عينى وذاتى . ولا وصف ، ولا نعْتَ زائد عَلَيَّ حاكم بمغايرتى ، وغيريتى إياها ، فكنتُ المعطِى ، وكنتُ المعطَى ، وكنتُ المُمِدَّ ، وكنتُ المُسْتَمِدَّ ، والفاعلَ والقابلَ[(١)] » .

هذا أمرهم [٦٩] فى الانسلاخ من العقل .

الصلة بين التصوف والنصرانية

وقد شهد عليهم العلماء بذلك . قال العلامة قاضى القضاة شمس الدين البساطى فى أول كتاب له فى أصول الدين فى المسألة السادسة من الكتاب الثانى فى أنه سبحانه ليس متحداً بشىء : « واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة فى العقول سرت فى جماعة من المسلمين ، نشأوا فى الابتداء على الزهد والعبادة ــ إلى أن قال ــ ولهم فى ذلك ــ أى الاتحاد بالمعنى الذى قالته النصارى ــ كلمات يعسُر تأويلُها ، بل منها مالايقبل التأويل ، ولهم فى التأويل خَلْطٌ وخَبْطٌ كلما أرادوا أن يقربوا من المعقول ، ازدادوا بُعْدًا ، حتى أنَّهم استنبطوا قضية حلَّت لهم الراحةَ ، وقنعوا فى مغالطة الضرورة بهـا بالمغيب ، وهى أن ماهم فيه ، ويزعمونه وراء طَوْرِ العقل ، وأنه بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم محجوبٌ مطرود عن الأسرار الإلهية» وهكذا قال الشيخ سعد الدين فى شرح المقاصد ، والشريف فى شرح المواقف[(٢)] .

ادعاؤه الربوبية

ولما تمهد له فى زعمه[(٣)] ادعى أنه الله ؛ عِناداً لقوله تعالى : (٥ : ١٧ لقد كفر

---

(١) لو قرأت بإزاء هذا قول الله (إياك نعبد ، وإياك نستعين) لحكمت على هذا الرجل بآية واحدة بأنه خارج عن الإسلام

(٢) سبق ذكر نصى العضد والسعد

(٣) أى : فى زعم ابن الفارض

الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (١٩ : ٦٥ هل تعلم له سَمِيًّا) ولأمر (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتاله لكل من سَمَّى شيئاً غير الله إلها ، فقال شعر :

فَبِي دارت الأفلاكُ فاعجب لقطبها الـ مُحيطِ بها ، والقطبُ (٢) مركز نقطتى

---

(١) معطوفة على قوله قبل : لقوله تعالى

(٢) زيادة على ما ذكرته قبل عن القطب عند الصوفية أقول هنا : القطب عندهم نوعان . قطب قديم أو معنوي ، وقطب حادث أو حسى . فإن كان بالنسبة إلى مافى عالم الشهادة من الخلق ، فهو القطب الحادث أو الحسى ، وهذا يستخلف بدلا منه عند موته أقرب الأبدال منه ، إذ كان هو قبل القطبية بدلا ، ثم استخلفه القطب الذى كان قبله عند موته ، وإن كان بالنسبة إلى مافى عالم الغيب والشهادة من تعينات الوجود المطلق ، فهو القطب القديم ، أو المعنوى . لا يستخلف عنه بدلا ، ولا يقوم أحد من الخلائق مقامه ، إذ هو قطب الأقطاب المتعاقبة فى عالم الشهادة ، فلا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر ، أى ليس قبله قبل ، ولا بعده بعد . والقطب القديم هذا هو الروح المصطفوى ، أو الحقيقة المحمدية ، أو هو الله — وسبحان رب العالمين — حين عرف نفسه فى أول صورة تعين فيها ، وسماها الحقيقة المحمدية ، ومن خصائص هذا القطب القديم وجود كل الأفلاك بوجوده ، ودورانها به ، وحوله ، وإحاطة علمه وقدرته بأقطارها ، وسمو رتبته وشرفه عن ذرى رتبتها وسنام شرفها . وهنا يزعم ابن الفارض أنه هو هذا القطب القديم ، يعنى قطب الأقطاب ، يعنى أنه الله سبحانه ! ! يزعم أن علمه محيط بكل شيء ، وأن قدرته تصرف لمشيئته كل شيء ، وأنه فوق كل شيء بالشرف والرتبة ، وأنت — ولا ريب — على ذكر من أن الله سبحانه هو وحده الذى يحيط علمه بكل مافى عالم الغيب والشهادة وغير هذا مما لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى وحده . وأنت — ولا ريب — مدرك من قول ابن الفارض أنه ينسب كل هذه الصفات الإلهية لنفسه ، فهل يجوز أن يعتريك وهم فى أن ابن الفارض يقرر أنه هو الله ذاتا وصفة وعلما وقدرة ، أعنى له الربوبية والإلهية «انظر ص ١٠٣ ج ٢ كشف الوجوه الغر ، لعبد الرازق =

فمن قال، أو من طال، أو صال إنما يَمُنُّ بإمــدادى له برقيقة
وما سار فوق الماء، أو طار فى الهوا أو اخترق النيران إلا بهمتى
وعَنِّىَ من أمددته برقيقــةٍ تصرَّف[1] عن مجموعة فى دقيقة
وَمِنِّىَ لو قامت بِمَيْتٍ لطيفة لَرَدَّت إليه نفسُه ، وأعيدت
ولا تَحْسَبَنَّ الأمرَ عَنِّىَ خارجا فما سادَ إلا داخلٌ فى عبودتى
فلا حَيَّ إلا عن حياتى حياتُه وطَوْعُ مُرادى كُلُّ نفسٍ مُرِيدَة[2]
[ولولاى لم يوجد وجود، ولم يكن شهود ، ولم تُعْهَدْ عهود بِذِمَّةِ][3]
ولا قائل إلا بلفظى مُحَدِّث ولا ناظِرٌ إلا بنــاظر مقلتى
هذا لا يصح كونه عنه ، ولا عن الله[4] !!

زعمه أن صفات الله عين صفاته

ويقول أيضـا أن الله يتحد به ، بحيث يصير الذاتان ذاتا واحدة ، فمن ذلك قوله :

ولا مُنْصِتٌ بسمعى إلا سامع ولا باطشٌ إلا بأَزْلى وشِدَّتى
ولا ناطق غيرى ، ولا ناظِرٌ ، ولا سميعٌ سِوَائى[5] من جميع الخليقة

القاشانى المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض ط ١٣١٠ ﻫ المطبعة الخيرية» فعنه بخاصة كتبت ما كتبت عن القطب ، وإن كان لنا شىء فالأسلوب وحده . كل هذا لنقطع على الصوفية سبيل ادعاء أن ما نقول مفترى عليهم ، فلا والله ما نأخذ ما نكتبه عنهم إلا من كتب آلهتهم ! !

(١) فى الأصل : فى

(٢) فى الأصل : أبية . والتصويب من الديوان

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبته عن الديوان

(٤) هذا رد على زعم شراح التائية أن ابن الفارض يتكلم بلسان الحضرة الإلهية

(٥) فى الأصل : سواى . وهى فى الديوان كما أثبتها

وهأنا أُبْدِى فى اتحادِىَ مَبْدَئى وأُنْهِى انتهائى فى تواضُعِ رِفعتى

جَلَتْ فى تَجَلِّيها الوجودَ لناظرى ففى كل مَرْئِىٍّ أراها برؤية

وأُشْهِدْتُ غَيْبِى إذ بدت فَوَجَدْتنى هنالك إيَّاها بِجَلْوَة خَلْوَتى

فَوَصْفِى ـ إذ لم تَدْعُ باثنين ـ وصفها وهيئتها ـ إذ واحد نحن ـ هيئتى (١)

(١) زعم الزنديق قبل أنه قطب الأقطاب ، وأن له وحده القدرة المهيمنة ، والعلم المحيط بما فى عالمى الغيب والشهادة ، وفى هذه الأبيات يوغل أيضا فى التزندق إيغالا فاجرا ، فيزعم أنه السيد لـكل سيد ، وأنه مفيض الحيـاة والوجود ، وأنه المهيمن على إرادة كل مريد ، فلولاه ما وجد موجود ، ولا خلق كائن ، ولا أخذ العهد على الآدمية أن تعبد الله ، ولا دعا إلى الله — بالحق — نبي أو رسول . لأنه الآخذ لهذا العهد على عبيده ، المرسل للرسل ، المانح المعطى كل كائن وجوده وحياته ، ولما كان ابن الفارض يدين بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، وأنه ـ أى ابن الفارض ـ هو الله ، فقد هوى هنا فى هـذه الأبيات مع الزندقة إلى غورها السحيق ، إذ يزعم أن ما تلفظه الشفاه هو فى الحقيقة ألفاظ الله ، وأن ما تسمعه الآذان ، وتراه العيون ، عين ما يسمع الله ويرى ، بل الآذان والعيون هى فى حقيقتها آذان الله وعيونه ـ وتعالى الله عما يشركون ، مشيرا فى لآمة ماكرة إلى الحديث القدسى « كنت سمعه..الخ » ملمحا بهذه الإشارة إلى أن السنة تؤيد بهتان مجوسيته . وقد سبق الرد على ما يدندن به الصوفية حول هذا الحديث . . كل هذا يهرف به مخبول الزندقة ، ليؤكد لك عشرات المرات أنه هو الله ، ورغم جـلاء الـكفر الآثم فى شعره ، فإنا ما زلنا نسمع من الأحبار أن ابن الفارض سلطان العاشقين ، فى حين أن كفر ابن الفارض أشد جحودا ، وأخبث وسيلة وغاية من كفر الشيطان ، فإبليس فى لحظة تحدى العبودية الآبقة للربوبية المهيمنة ، لم يذهله التحدى عن عزة الله ، وأنه سبحانه هو الأعظم الأكبر ، فلم يقسم بغير عزة الله (٣٨ : ٨٢ قال : فبعزتك ، لأغوينهم أجمعين) وإبليس فى لحظـة الجحود والعناد لم يزعم لنفسه القدرة الشاملة ، ولا التصرف الـكامل ، فقال : (إلا عبادك منهم المخلصين) وإبليس فى لحظة التخايل بالـكبر المقيت ، لم يزعم لنفسه أنه غنى عن الله ، ولا أن حياته طوع إرادته هو ، فدعا الله سبحانه دعاء المفتقر إلى من يؤمن بأنه غنى =

فإن دُعيتُ كنتُ المجيب وإن أكن
مُنادَى أجابتْ من دعاني ، ولبَّتِ

[٧٠] وإن نطقتْ كنتُ المناجي ، كذاك إن
قصصتُ حديثـا إنمـا هي قصَّتِ

فقد رُفِعَت تاء المخاطب بيننا[١] | وفي رفعها عن فُرْقَةِ الفَرْقِ[٢] رفعتي
فإن لم يُجوِّز رؤية اثنين واحدا | حِجاك ، ولم يُثْبِتْ لبعد تَثَبُّتِ
سأجلو إشاراتٍ عليك خَفيّةً | بها ، كعباراتٍ لديك جَليَّةِ
وأثبتُ بالْبُرْهان قولي . ضاربا | مِثالَ مُحقِّقٍ ، والحقيقة عمدتي
بمتبوعةٍ ينبيك في الصَّرْع غيرُها | على فمِها في مَسِّها حين جُنَّتْ[٣]
ومن لغةٍ تبدو بغير لسانها | عليـه براهينُ الأدلَّةِ صحَّت
وفي العلم حقًّا أنَّ مُبْدِي غريبَ ما | سمعتَ سواها ، وهي في الحسِّ أبدت

أن ينظره الله إلى يوم البعث . (١٥ : ٣٦ قال : رب فأنظرني إلى يوم يبعثون) فتأمل في كفر إبليس وكفر ابن الفارض ، وثمت تقول مع الحق : وأين من كفر الزنديق كفر إبليس ؟ ! !

(١) الخطاب يستلزم الإثنينية ، إذ يقتضى وجود مخاطب ، ومخاطب . لذا ينفى ابن الفارض الخطاب ، ليثبت من وراء نفيه ، أنه ما ثم غيره حتى يخاطبه ، وإنما هناك ذات واحدة ، هي الذات الإلهية المتعينة في صورة ابن الفارض ، أو لعله يريد أن تاء المخاطب ــ وهي مفتوحة ــ تحولت إلى تاء المتكلم وهي مضمومة ، فبدل أن يقول : أنت خلقت ، أصبح يقول : أنا خلقت

(٢) الفرق عند الصوفية : « شهود قيام الخلق بالحق ، ورؤية الوحـدة في الـكثرة ، والـكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر » جامع الأصول في الأولياء . فالفرق لا يزال مشوبا بالغيرية ، لذا يزعم ابن الفارض أنه تسامى عن هذه المرتبة التي يشعر فيها السالك أن ثمت بينه وبين الله سبحانه وجها ما من وجوه الغيرية ، وأنه في أفق يوقن فيه وتحقق منه أنه هو عين الذات الإلهية

(٣) سبق هذا البيت وتعليقي عليه

قال الإمام شمس الدين البساطى فى شرح هذه الأبيات : « ومن ظَنَّ هذا برهانا ، فجنونُه أعظمُ من جنون المتبوعة » وقال قبل ذلك :

زعمه أن الله سبحانه يصلى له

ولا غرو أن صلى الأنام إلىَّ أن — ثوت بفؤادى ، وهى قبلة قِبلَتى

لهـا صلواتى بالمقام أقيمهـا — وأشهد فيها أنها لى صَلَّت

كلانا مُصَلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى — حقيقته بالجمع[1] فى كلِّ سجدة

وما كان لى صلّى سوايَ[2] ولم تكن — صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة

ثم قال بعد ذلك :

وفارق ضَلالَ الفرقِ فالجمعُ ، مُنْتِجٌ — هُدَى فُرْقَةٍ بالاتحاد تحدت

---

(١) الجمع عند الصوفية : « شهود الحق بلا خلق ، أو الإشارة إلى حق بلا خلق ، وهو ما يسمى : وحدة الشهود » غير أن ابن الفارض يعنى به هنا ما هو أشد كفرا ، إذ يزعم أنه حين يسجد ، فالساجد والمسجود له حقيقة واحدة هى الحق فى صورة خلق ، يعنى الإله باعتبار الإطلاق ، والإله باعتبار التعين فى صورة ابن الفارض

(٢) فيما قبله عبر بقوله : كلانا مصل وكلا . والضمير الذى بهما يشعران بأنه ثم اثنان يؤديان الصلاة ، — وإن كان قد عقبه بما ينفى الإثنينية المفهومة من « كلانا » وهو قوله « واحد ساجد » . غير أنه لم يكتف بهذا فى نفى الإثنينية ، فنظم هذا البيت « وما كان لى صلى سواى . . الخ » توكيدا لنفى ما نفاه من قبل ، وتوكيدا لمعنى الوحدة بينه وبين الله سبحانه ، ومعنى قوله : احذر أن تفهم أن المصلى غير من صلى له ، فإنما هما حقيقة واحـدة تخدع غير العـارف بتجليها فى مظهرين غيبى وشهودى ، أو مصلى له ومصل ، المصلى أنا ، والمصلى له أنا ! ! غير أنى أقول للزنديق وعبيده : ما زال ثم غير . هو مكان الصلاة ، فلا يثبت لك نفى الغيرية والإثنينية .

رب الصوفية فى صور العاشقات

وصَرِّح بإطلاق الجمال ، ولا تقل   بتقييده مَيْلاً لزخرف زينة
بها قَيْسُ لُبنى[(١)] هام، بل كل عاشق   كمجنون ليلى[(٢)] أو كُثَيِّرِ[(٣)] عَزَّة
فـكل صبا منهم إلى وصف لبسها   بصورة حسن لاح فى حسن صورة
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر   فظنوا سواها ، وهى فيها[(٤)] تجلت
ففى النشأة الأولى تراءت لآدم   بمظهر حَوَّا[(٥)] قبل حكم الأمومة
فهام بها كيما يصير بهـا أبا   ويظهر بالزوجين سِرُّ البنوة

انظر إلى هذا التجاسر مع الـكفر على صَفِيِّ الله آدم عليه السلام فى وصفه

---

(١) فى الأصل ليـلى ، وقيس المذكور هو ابن ذريح أحد مشاهير العشاق . ما زال يشبب بلبنى بنت الحباب الـكعبية ، ويسعى سعيه حتى تزوج بها ، ثم طلقها ثم تزوجها وكانا فى أيام معاوية « عن تزيين الأسواق للأنطاكى »

(٢) المجنون هو عامر بن ملوح بن مزاحم ، وصاحبته ليلى بنت مهدى بن سعد سلبه عشق ليلى رشده . وكانا فى أيام مروان ومن شعره فيها :

أرانى إذا صليت يممت نحوها   بوجهى وإن كان المصلى ورائيا
وما بى إشراك ولـكن حبها   وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

(٣) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعة الأسود بن عامر كنيته أبو صخر الشاعر المشهور ، كان رافضيا شديد التعصب لآل أبى طالب . توفى سنة ١٥٠ هـ وصاحبته عزة بنت جميل بن حفص بن إياس ، ومن شعره فيها :

الله يعـلم لو أردت زيـادة   فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم   يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها   خروا لعزة ركعـا وسجودا
والميت ينشر أن تمس عظامه   مسا ، ويخلد أن يراك خلودا

(٤) فى الأصل : فيهم ، والتصويب من الديوان ، فالضمير يعود على المظاهر

(٥) يفترى أن الذات الإلهية تعينت لآدم فى صورة حواء

بالهيام بالذات الأقدمين[١] كما لا يخفى ولما لا يخفى :

وما برحت تبـدو وتخفى لعلة	على حسب الأوقات فى كل حِقبة
وتظهر لِلعُشَّاقِ فى كل مظهر	من اللَّبْس فى أشكالِ حسن بديعة
ففى مَرَّةٍ لُبْنَى ، وأخرى بثينةٌ	وأونةً تُدْعى بِعَزَّةِ . عَزَّةِ
وَلَسْنَ سواها،لا،ولا كُنَّ غيرها[٢]	وما إن لها فى حُسْنِها من شريكةِ
كذاك بحكم الاتحاد ، لحسنها	كما لى بَدَتْ فى غيرها ، وتَزَيَّتْ
بَدَوْتُ لها فى كل صَبٍّ مُتَيَّمٍ	بأىِّ بديع حسنه ، وبِأَيَّتِ
وليسوا بغيرى فى الهوى لِتَقَدُّمٍ	عَلَىَّ بسبقٍ فى الليالى القـديمةِ
وما القوم غيرى فى هواى ، وإنما	ظهرت بهم لِلَبْسٍ فى كُلِّ هَيْئَةِ

---

(١) فى الـكلام خلل فلعله سقط منه شىء ، ويعجب المؤلف من جسـارة ابن الفارض على آدم ، وليس بعجيب هذا من رجل قال قبل ذلك : إن الله هو جسد حواء ! ! وسبحان الله رب العالمين

(٢) يفترى الزنديق أن لبنى وبثينة وعزة وليلى ما هن إلا الذات الإلهية تعينت فى صور هؤلاء الغوانى العاشقات ، وأن قيسا وجميلا وكثيرا وعامرا عشاق أولئك النسوة، ماهم إلا الذات الإلهية تعينت فى صور هؤلاء العشاق ، فمن خصائص الإله الصوفى أنه يتجلى فى صورة رجل عاشق ، وفى صورة امرأة هـلوك عاشقة ، وأنه حين يعشق فإنما يعشق نفسه ، فهو العاشق والعشق والمعشوق . وابن الفارض يختار لفظ العشق عن عمد تثيره الغزيرة الملتهبة ، فالعشق كما يعرفه صاحب القاموس « إفراط الحب ، ويكون فى عفاف وفى دعارة ، أو عمى الحس عن إدراك عيوبه أو مرض وسواس يجلبـه إلى نفسه بتسليط فـكره على استحسان بعض الصور » والصوفية المعـاصرة تعيب علينا الإيمان بصفات الله كما هى فى الـكتاب والسنة ، وترجف بنا باغية فى كل ناد أننا نجسم الله ! ! ومعاذ الله أن ننسب إليه إلا ما نسب هو سبحانه إلى نفسه . ألا فلينظروا إلى ربهم الذى صنعته زندقة ابن الفارض ، إنه يصوره شهوة عارمة النزوات ، وبهذا لقبوه بسلطان العاشقين ! !

ففى مَرّتٍ قيساً ، وأخرى كُثَيِّراً وآونة أبدو جميـــل بثُينة[١]

[٧١] تجلَّيْتُ فيهم ظاهراً، واحتجبت با طنًا بهم ُ، فاعجب لِكَشفٍ بِسُترة[٢]

وهُنَّ ، وَهُمْ[٣] — لا وَهْنَ وَهُم — مظاهر لنـــا[٤] بتجلينا بِحُبٍّ ، و نَضْرة

فـكل فتى حُبٍّ أنا هُوَ ، وهىَ حِ بُّ كُلِّ فتى، والكلُّ أسماء لبسة

أسامٍ بها كنتُ المسمّى حقيقةً وكنتُ لىَ البادى بِنفْسٍ تَخَفَّتِ

وما زلتُ إياها ، وإيَّاىَ لم تزَلْ ولا فَرْقَ، بل ذاتى لِذاتى أَحَبَّتِ[٥]

وليس معى فى ٱلْمُلْكِ شىء سواى وٱلْ مَعِيَّـةُ لم تخطـر على أَلْمَعِيَّتى

---

(١) تكنى أم عبد الملك ، وصاحبها جميـل بن عبد الله بن معمر بن صباح وكلاهما من بنى عذرة ، قبيلة اشتهرت بالجمال والحب والعفة فيه ،حتى قيـل : هوى عذرى . وجميل مضرب المثل فى صدق الصبابة وعفة الحب ، كان وصاحبته فى عهد عبد الملك بن مروان

(٢) دائما يذكر ابن الفارض عن نفسه باعتباره أحد تعينات الذات الإلهية أنه يتجلى فى صور رجال عاشقين ، أما حين يتحدث عن الذات مطلقا فيزعم أنها تتجلى فى صور نساء عاشقات وما من شك فى أنه يريد بهذا تفضيل نفسه على كل تعينات الإله الصوفى ، إذ الرجل قيم على المرأة

(٣) العشيقات والعشاق الذين ذكروا قبل ، والذين هم رمز عن الوجود المتعين

(٤) أى للذات الإلهية باعتبارها وجودا خاليا من التعين ، ولها باعتبارها خلفا ممى ابن الفارض .

(٥) هـذا وما قبله يؤكد أن ابن الفـارض ممن يدينون بوحـدة الوجود ، لا بالاتحاد . ألا تراه يؤكد أن مظاهر الوجود المختلفة هى عين الذات ، وأن الذات منذ أحبت أن تتعين وهى تتجلى فى صور الوجود ، وأن هذه الحقيقة — حقيقة تعين الحق فى صور الخلق — لا يطيف بها وهم من الأوهام ؟ !

فهذا ظاهر فى إرادة الاتحاد[(١)] بحيث أن الذاتين تكونان ذاتا واحدة ، لا شبهة فيه أصلا .

ثباته على اعتقاد الوحدة

ثم قال فى إثباته[(٢)] ، ونفى الحلول :

رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُدَّتى

وعُدْتُ بنُسْكى بعد هَتْكى ، وعدت من خلاعة بسطى ، لانقباضٍ بعفتى

وصمتُ نهارى رَغبةً فى مثوبة وأحييت ليلى رهْبةً من عقوبةِ

وعَمَّرتُ أوقاتى بوِرْدٍ لِوَارِدٍ وصُمْتُ لسَمْتٍ، واعتكافٍ لحُرْمة

وبنت عن الأوطان هجران قاطع مواصلة الأحباب ، واخترت عُزلتى

ودقّقتُ فكرى فى الحلال تورُّعاً وراعيتُ فى إصلاح قُوتى ، وقُوَّتى

وأنفقتُ من يُسْرٍ[(٣)] القناعة راضياً من العيش فى الدنيا بِأَيْسَرِ بُلغةِ

وهذبتُ نفسى بالرياضة ، ذاهباً إلى كشف ماحُجْبُ العوائدِ غطّتِ

وجَرّدْت فى التجريد عزمى تزَهُّداً وآثرتُ فى نُسْكى استجابةَ دعوتى

متى حِلتُ عن قولى : أنا هىَ ، أو أقل وحاشا لِمثْلى أنها فِىّ حلَّتِ

جميع هذه الأفعال التى هى محاسن الشريعة جعلها نقائض ، ودعا على نفسه بها[(٤)] ، إن ادعى الحلولَ ، أو حالَ عن دعوى الاتحاد .

---

(١) الصور اللفظية لابن الفارض تشعر بهذا ، أما معانيه وشرحه فى القصيدة لمعتقده فيؤكدان إيمانه بالوحدة

(٢) أى : فى إثبات الاتحاد ، والحق أنها وغيرها فى إثبات الوحدة

(٣) فى الأصل : سر، والتصويب من الديوان

(٤) يدعو ابن الفارض على نفسه بالعودة إلى مرتبة العبودية المصلية الصائمة =

استدلاله على زندقته

ثم قال بعد هذا بكثير فى أواخر القصيدة ، دالا على مذهبه فيما زعم :

وجاء حديث فى اتحادِىَ ثابت رِوَايته فى النقلِ غَيْرُ ضعيفة
يُشِيرُ بِحُبِّ الحقِّ بعد[1] تقرُّبِ إليـه بِنفلٍ ، أو أداء فريضة
ومَوْضعُ تنبيـه الإشارة ظاهِرٌ بكُنْتُ له سمعا كنورِ الظَّهِيرة

قال شارحه : « إن الحبَّ ميل باطنىٌّ أثَرُهُ رفعُ امتياز المحب والمحبوب ، ورفعُ مابينهما[2] ، والمحب عين الحضرة الإلهٰية ، والمحبوب ظهور كماله الذاتى والأسمائى ، ولن يصح لقبول هـذا الظهور المحبوب منصة إلا الحقيقة الإنسانية صورةً ومعنى ؛ لكمال جَمْعيّتها ، وتتميمها دائرة الأزلية والأبدية ، والحديث المشير بهذا الاتحاد : لايزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعاً و بصراً و يداً ولساناً ورجلا[3] وعبارة التلمسانى فى مقدمة شرحه : نَصٌّ

= الذاكرة ، المنطوية على أحزانها فى كهف الزهد وغيابة الحرمان ، يدعو بهذا على نفسه إن تحول يوما عما يدين به ، وهو أنه هو الله سبحانه ، أو كما يقول : متى حلت عن قولى : أنا هى ! ! وجواب « متى » يدل عليه ما سبق من أول قوله : رجعت لأعمال العبادة . . . الخ

(١) فى الأصل : عند . وهى كما أثبتها فى الديوان

(٢) أى : رفع كل ما بينهما من فروق ذاتية وصفاتية ، حتى تصير الذاتان ذاتا واحدة هى الحق متلبسا . بصورة خلقية قال الجنيد: ويسمونه سيد الطائفة ــ ويزعم من لا يستبطن خبيئة التصوف : أن تصوف الجنيد أقباس من السنة ، « سمعت السرى السقطى يقول : لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا » بهذا يؤمن الجنيد وخاله السرى السقطى ، والقشيرى ناقل هذا فى رسالته فى باب الحب ، فتأمل متى بدأ التصوف يتعث زندقته ! ! فالجنيد والسقطى من رجال القرن الثالث الهجرى . وكلاهما يؤمن أن غاية الحب صيرورة العبد ربا ، حتى يقول الرب للعبد ، والعبد للرب : يا أنا ! !

(٣) روى الحديث باختصار مخل. وليس فى الحديث ذكر كلمة : لسان. وقد =

فى المراد ، وهى : « فالسمع والبصر ، وغيرهما من الصفات فى أى موصوف كان هو الله حقيقة » وسيأتى كلام القشيرى [٧٢] والسهروردى : أن هذا زندقة ، وساق ابن الفارض بعد الأبيات الماضية ما زعم أنه يدل على دعواه الاتحاد وأنه إذا دل على ذلك انتفى الحلول ، فقال :

ولستُ على غيبٍ أحيلُك . لا ، ولا على مستحيل موجبٍ سلبَ حِليتى

وكيف ، وباسم الحق ظلّ تحققى تكون أراجيف الضلالِ مخيفتى ؟

وها دِحيَةٌ [١] وافى الأمينُ [٢] نبيَّنا بصورته فى بدء وَحْيِ النبوّة

= سبق الحديث وبيان سنده والرد على ما استنبطه منه الزنادقة . وأنقل لك هنا طرفا مما شرح به ابن قيم الحديث لترى كيف يفهم المؤمنون ، ويهرف بالزندقة الصوفيون « وخص فى الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر ، فإن هذه آلات الإدراك وآلات الفعل ، والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة والكراهة ، ويجلبان إليه الحب والبغض ، فتستعمل اليد والرجل ، فإذا كان سمع العبد بالله وبصره به كان محفوظا فى آلات إدراكه ، فكان محفوظا فى حبه وبغضه ، فحفظه فى بطشه ومشيه ، فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق ، وانقلبت المخاوف فى حقه أمانا ، فبالله يهون كل صعب ، ويسهل كل عسير ، ويقرب كل بعيد ، وبالله تزول الأحزان والهموم والغموم ، فلا هم مع الله ، ولا غم مع الله ، ولا حزن مع الله . ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه فى محابه ، حصلت موافقة الرب لعبده فى حوائجه ومطالبه ، فقال : « ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » أى كما وافقنى فى مرادى بامتثال أوامرى والتقرب إلى بمحابى ، فأنا أوافقه فى رغبته ورهبته فيما يسألنى أن أفعل به ، ويستعيذنى أن يناله مكروه » اقرأ الشرح كاملا فى الجواب الكافى لابن قيم ط السنة المحمدية ص ٢٠٢ وما بعدها

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ، صحابى مشهور . أول مشاهده الخندق ، وقيل : أحد . كان مضرب المثل فى حسن الصورة ، حتى كان جبريل ينزل بصورته . عاش رضى الله عنه إلى خلافة معاوية « أسد الغابة ، الإصابة ، الاستيعاب » .

(٢) جبريل عليه السلام

أجبريل قل لى : كان دحية إذ بدا — لمهدى الهدى فى هيئة بشرية
وفى علمه عن حاضريه مزية — بماهية (١) المرئى من غير مرية
يرى ملكا يوحى إليه ، وغيره — يرى رجلا يرعى لديه لصحبة
ولى من أصح الرؤيتين إشارة — تنزه عن رأى الحلول عقيدتى

يدين بتلبس الله بصورة خلقه

قالوا : « إن المراد — كما هو ظاهر جدا — أن جبريل عليه السلام ظهر فى صورة دحية من غير حلول فيه ، ولأجل ظهوره كذلك ادعى أن الله تعالى تجلى بصورة الناظم ، لم يدع حلوله (٢) فيه »

---

(١) ماهية الشىء : حقيقته التى تقال فى جواب : ما هو ؟

(٢) مع كفره البين بقياس شأن الله على شأن عبده جبريل ، وحكمه بوقوع تلبس الخالق بصور الخلق ، قياسا على ما وقع لجبريل ، إذ تلبس بصورة دحية .

أقول : مع كفره بهذا ، فالحديث ناطق بالحق يهدم مابنى ابن الفارض ومحانيثه عليه من باطل ، فهو لا يثبت إلا ظهور جبريل بصورة دحية ، فلم يكن ثم — إذاً — ذاتان اتحدت إحداها بالأخرى ، أو صورتان لحقيقة واحدة ، وإنما كان ثم غيران منفصلان تمام الانفصال ، ليسا متحدين ، لا فى ذات ، ولا فى صفة ، ولا فى فعل بل ولا فى ماهية أو هوية ، ولكل منهما خصائصه ، ومقوماته وحياته التى لا تشبه الأخرى فى أدنى شىء ، أو تقاربها ، كان ثم الحقيقة الملكية ، وكان ثم الحقيقة الآدمية . وهذا نقيض ما يدين به ابن الفارض ، إذ يدين بالوحدة التامة بينه وبين الله فى الهوية والماهية والذات والصفة ، يؤمن بأن هذه الكائنات التى لا تتناهى هى عين الذات الإلهية . وأنت — ولا ريب — قد آمنت بأن الحديث حجة عليه لا له . ثانيا : فصل الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو سيد العارفين ، كما يوقنون — بحكمه عن بينة بين جبريل ، وبين دحية ، وهذا الفصل يقتضى أن ذات جبريل غير ذات دحية ، أعنى يستلزم الغيرية الحقيقية . وابن الفارض يدين بعدم الغيرية ، وينكرها بتاتا . ثالثا : حينما ظهر جبريل بصورة دحية كان ثم أغيار كثيرون حقيقيون غيره . هم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكان ثم المكان . =

قال البساطى : لكن دعوى تَجَلِّى الله بصورةٍ ما مُكَفِّرٌ بها [١] شرعا بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به ، وإن لم يكن حلولا »

ثم قال ، دالا على أن ما قاله بزعمه فى الكتاب والسنة :

وفى الذِّكْرِ [٢] ذِكْرُ اللَّبْسِ ليس بِمُنْكَرٍ

ولم أَعْدُ عن حُكْمَىْ كتابٍ وسنة

وشرحه الشراح كُلهم بقوله تعالى فى الكتاب العزيز (٢٨: ٣٠ نُودِيَ من شاطىء الوادي الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة : أن ياموسى، إنى أنا الله [٣])

= والصوفية يدينون بأنه ما ثم غير من الأغيار ، وإنما الكل عندهم عين الذات .

رابعا : حينما ظهرت الملائكة لإبراهيم الخليل عليه السلام ظنهم رجالا ـ والعارف الحق عندهم من لا تخدعه الصورة عن الحقيقة ـ فقدم لهم طعاما ، فلم ينالوا منه شيئا ، وهذا دليل على أن الملائكة — رغم ظهورهم فى صور بشرية — ظلت على خصائصها الملكية ، ولم تنزل على حكم البشرية ، فتأكل وتشرب ، فى حين يدين الصوفية بأن الله سبحانه عين الماهية والهوية من كل موجود ، وله خصائصه الحيوانية ، أو الإنسانية ، أو الجمادية ، فيأكل ويشرب ويتزوج وغير ذلك

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح « والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه » لكن الصوفية — يعبر عنها ابن الفارض وابن عربى وغيرهما — تدين بأن ذات الحق عين الخلق فيجوز عليها كل ما يجوز عليهم ، فهى حقيقة القاتل من فاعل القتل ، وشارب الخمر من شاربها ، فما من فاعل يأتى بشىء ، وما من مجرم يقترف إثما إلا وهو الله حقيقة عند الصوفية ، وتعالى الله الملك الحق عما يصفون ! !

(١) سبق ذكر هذا النص وتعليق عليه

(٢) القرآن .

(٣) يفتري الزنديق أن من كلم موسى هى الشجرة ، وأنها كانت هى الله سبحانه متجليا فى صورة شجرة ، ثم يأخذ من هذا الإفك الأثيم دليلا على دعواه ، وهو تعين الله فى صور خلقية ، وتجليه فى صورة ابن الفارض ، ورغم هذا البهتان =

وقولهِ تعالى : (٨ : ١٧ وما رميتَ — إذ رميتَ — ولـكن الله رمى [(١)])

المجوسى ، فالآية تدمغهم . فإنها تثبت وجود أغيار كثيرة غير الرب الذى ظنوه شجرة . تثبت وجود موسى ، والشاطىء ، والبقعة المباركة ، وابن الفارض وخانيثه يدينون بأنه ما ثم غير أبدا ، فعندهم أن الله سبحانه عين كل شىء . وهم يزعمون هنا أن الشجرة وحدها كانت هى الله ، فما استدلوا به يناقض ما يدينون به

(١) يتخذ الصوفية — كدأبهم فى التلبيس الزنديقى — من هذه الآية دليلا على أن فعل العبد عين فعل الله ، ليثبتوا من ورائه أن ذات العبد عين ذات الله سبحانه وإليك ما يرد به الإمام ابن تيمية بهتانهم « قوله تعـالى : (وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى) لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله ، كما تظنه طائفة من الغالطين فإن ذلك لو كان صحيحا ، لـكان ينبغى أن يقال لـكل أحد حتى يقال للماشى : ما مشيت ، ولـكن الله مشى ، ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلى ونحو ذلك ، وطرد ذلك يستلزم أن يقال : وما كفرت إذ كفرت ، ولـكن الله كفر ، ويقال للـكاذب . . . ومن قال هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين . ولـكن معنى الآية : أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماهم ، ولم يكن فى قدرته أن يوصل الرمى إلى جميعهم ، فإنه إذا رماهم بالتراب ، وقال : «شاهت الوجوه» ولم يكن فى قدرته أن يوصل ذلك إليهم كلهم ، فالله تعالى أوصل ذلك الرمى إليهم بقدرته يقول : وما أوصلت إذ حذفت ولـكن الله أوصل ، فالرمى الذى أثبته ، ليس هو الرمى الذى نفاه عنه ، وهو الإيصال والتبليغ ، وأثبت له الحذف والإلقاء» باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص ٩٦ ج ١ وأقول : تثبت الآية وجود رام ، وشىء رمى ، وقوم أصيبوا بما رمى ، فعلى فرض صحة إفـكهم أن الرامى هو الله فى صورة محمد ، فمن هم أولئك الذين رماهم الله ؟ وما ذلك الشىء الذى رماهم به ؟ أهم عين الله ، أم هم غيره ؟ إن قيل بالأول لزمهم كون ربهم من عتاة الجاهلية عباد الصنم ، وأنه غلب على أمره ، وأصيب بما لم يملك له دفعا . وهذا هو إله الصوفية الذى تصنعه الأوهام والشهوات . وإن قيل بالثانى لزم وجود غير ، بل أغيار كثيرة ، وهذا نقيض مايدعونه ، وهو أن الله سبحانه عين كل شىء ، وتعالى الله عما يصفون

وقوله تعالى : (٤٨ : ١٠ يد الله فوق أيديهم [(١)]) وفى السنة حديث الإتيان فى الصورة التى تُنْكَر يوم القيامة ، ثم فى الصورة التى تُعرَف [(٢)] . ثم قال [(٣)] : « فعلم أنه تعالى يتلبّس بأى لباس صورةٍ شاء مِمّا يُعْرَف ، ومما يُنْكَر من غير حلولٍ ، فكان ظهوره بصورتى جائزا من غير حلول ، فصح بهذا دعوى اتحادى مع نفى الحلول » انتهى . وليس وراءه تصريح بالكفر . نسأل الله العافية . وقالوا فى شرح البيت الثانى [(٤)] : « إن الحق من أسماء الذات ، ومن اتصف بأسماء

---

(١) يزعم الصوفية أن قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » تؤيد بهتانهم فى الاتحاد والوحدة ، وإليك رد الإمام ابن تيمية عليهم : « (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لم يرد به أنك أنت الله ، وإنما أراد به أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه ، فمن بايعك ، فقد بايع الله ، كما أن من أطاعك فقد أطاع الله ، ومن ظن فى قوله : إن الذين يبايعونك ـ الآية : أن المراد به أن فعلك هو فعل الله ، أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته ، وجعله مثل غيره ، وذلك أنه لو كان المراد به أنى خالق لفعلك ، لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق ، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ، ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ، ومن بايع قادة الأحزاب ، فقد بايع الله ، وعلى هذا التقدير ، فالمبايع هو الله أيضا ، فيكون الله قد بايع الله ، إذ الله خالق لهذا ولهذا ، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد ، فإنه عام عندهم فى هذا وهذا ، فيكون الله قد بايع الله ، وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية ، حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو ، يقول : أأقاتل الله ؟ ! » باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص ٩٧ جـ ١ .

(٢) سبق ذكر الحديث والرد على استدلال الصوفية به على معتقدهم

(٣) أى شارح التائية

(٤) هذا البيت هو :

وكيف ، وباسم الحق ظل تحققى   تكون أراجيف الضلال مخيفتى

الذات أعلى ممن اتصف بأسماء الصفات ، وقد أخبر عن اتصافه باسم الحق - وهو الثابت بذاته ، المُثْبِتُ لغيره [1] - فلا يمكن أن يتغيَّر عما ذهب إليه » .

رأى القشيري والسهروردي

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى شرحه للأسماء الحسنى : « إن العبد لا يجوز أن يتصف بصفات ذات الحق كما زعم بعضهم : أن العبد يكون باقيـا ببقاء الحق ، سميعا بسمعه ، بصيرا ببصره [2] ، وهذا خروج عن الدين ، وانسلاخ عن الإسلام بالكلية ، وهذه البدعة أشنع من قول النصارى : إن الكلمة القديمة اتحدت بذات عيسى عليه السلام ، وهي توازى قول [٧٣] الحلولية »

وقال السهروردى فى الباب الحادي والستين من عوارفه فى الكلام على المحبة ، ما حاصله : « إن المحبة : التَّخَلُّقُ بأخلاق الله ، ومن ظن من الوصـول غير ما ذكرنا ، أو تخايل له غير هذا القدر ، فهو متعرِّضٌ لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت [3] » وقال : « علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة [4] »

وحدة الأديان عند ابن الفارض

وعلى هـذا الأصل المخبث الخبيث - وهو الاتحاد بين جميع الـكائنات ،

---

(١) من هذا الغير ؟ إن كان خلقا ، فقد أقروا بأن الحق غير الخلق ، وهذا نقيض دعواهم ، وإن كان هو الحق نفسه ، فقد أثبتوا أن ربهم يغاير نفسه ، محتاج إلى من يمنحه الثبوت والوجود ، وهذا أيضا نقيض دعواهم ، فهم ينكرون الغيرية ، ويسمونه الوجود المطلق

(٢) يعنى : مايدين به الصوفية ، وهو أن سمع الله وبصره عين سمع العبد وبصره ، إذ الحق عندهم عين الخلق

(٣) انظر ص ٣٥٣ عوارف المعارف ط العلامية ، وقد سبق لنا بيان فرق النصارى .

(٤) ص ٣٦٢ عوارف المعارف

وأنه لا غير ، ولا غيرية فى شىء من الوجود ـ فرّع صحة كل دين[١] ؛ لأن الفاعل عنده إنما هو الله ، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عداه[٢] باطل ، فصار المحامى له[٣] خاذلا لمن ينصره[٤] ، فإن من كفر ابن الفارض ساع جهده فى نصر دين الإسلام ، وتأييد النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأغلب المحامين له يعتقدون أن دين الإسلام — القائل بضلال ما عداه — هو الحقُّ ، ويسعون فى نصر من يُصَوِّب كل ملة ، ويُصَحِّح كل نِحْلة ، وهم لا يشعرون أنه قال فى تصويب جميع الأباطيل . شعر

شعره فى وحدة الأديان

وإن عبد النارَ المجوسُ ـ وما انطفت	كما جاء فى الأخبار ـ من ألف ـ حِجَّة
فما عبدوا غيرى ، وإن كان قصدهم	سوایَ ، وإن لم يعقدوا عقد نيتى
رأوا ضوءَ نورى مرة ، فتوهّمو	هُ نارا ، فضلُّوا فى الهُدى بالأشِعَّة
وإن خرّ للأحجار فى البُدِّ[٥] عاكف	فلا وجهَ[٦] للانكار بالعَصَبِيَّة
فقد عبد الدينارَ ـ معنًى ـ مُنَزَّهٌ	عن العار بالإشراك[٧] بالوثنية

---

(١) هذا قول حق ، فالصوفية آمنوا بوحدة الأديان — سماويها ووضعيها — لإيمانهم بوحدة الوجود ، فرب الصوفية عين المسلم وعين المشرك وعين المجوسى ، ولذا قالوا : الإسلام عين الشرك عين المجوسية عين البهائية ، ولذا أيضا قالوا بنفى العذاب فى الآخرة ، إذ الإله لا يمكن أن يعذب نفسه ! ! .

(٢) فى الأصل : عدا

(٣) أى : لابن الفارض

(٤) أى : لمن ينصر الإسلام

(٥) بهامش الأصل « البد » : بيت الأصنام وهو صحيح

(٦) فى الأصل : فلا تعد بالإنكار ، وهى كما فى الديوان

(٧) فى الأصل : فى الإشراك

وإن نار بالتنزيل محرابَ مسجد   فما بار بالإنجيل هيكلُ بيْعَةِ
وأسفارُ توراةِ الكليم لقومه   يُنَاجِى بها الأحبارُ فى كل ليلة
وما احتار من للشمس — عن غِرَّةٍ[1] — صبَا
وإشراقها من نور إسفارِ غُرَّتى
وقد بلَغَ الإنذارُ عنى[2] مَنْ بَغى   وقامت بى[3] الأعذارُ فى كل فِرْقَة
فما زاغت الأبصارُ من كل مِلَّةٍ   ولا راغت الأفكار فى كل نِحْلَةِ

قال شراحه : « إنه مَهَّد فى هذه الأبيات أعذار كُلِّ فرقة ، وأن كل صاحب ملةٍ ونحلة — وإن بطل سعيُه — على نصيب من الهدى ، فَعُبَّادُ النار غيرُ مؤاخذين من جميع الوجوه ، بل من وَجْهٍ دون وجه ، ولا لوم على أحد ، بل لكل واحدٍ وجهٌ ، ومحملُ خيرٍ يُحْمَل عليه ، فَكُلٌّ يعمل على شاكلته ، وكذا عابد الأصنام . قالوا : لا تُنْكِرْ عليه ، فإن أنكرت ، لم يكن إنكارك إلا تعصبا ؛ لأنك لا تنكر على الْمُقْبِل على الدنيا ، مع أنه أقوى شِرْكا من عابد الصنم — وقالوا — : كما أن القرآن نور المساجد ، فكذلك الإنجيل نور المعابد — وقالوا نحو هذا فى التوراة ، وفى عابد الشمس : إنه بإثباته عينَ الألوهية لم يكن ناقصا ، فقام له عذر من وجه من الوجوه . وذلك كاف للكريم » ولا يقول بشىء من هذا مسلم[4]

معاندته للتوحيد الحق

وقد عاند التوحيد الحق فى قوله :

---

(١) فى الأصل : غيره

(٢) ، (٣) فى الأصل : منى — به

(٤) بل لا يقول به يهودى أو نصرانى ، والبهائية على خبث معتقدهم ، ورغم أنهم امتداد للصوفية لا يقولون بهذا ، وإنما القائل به فى كل أمة هم الصوفية

ولو أنني وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ[(١)] وانْسَلَخْتُ من آيِ جمعي مُشْرِكاً بي صَنْعَتي

قالوا فى شرحه : « لو أننى أثبت وحدة الذات الحق المطلوب المحبوب ، ونفيتُ كثرةَ نِسَبِه عنه ، كما أثبتت ونفت المُنَزِّهَةُ[(٢)] ، وبعضُ الفلاسفة ، لكنتُ مائلا عن سنن الاستقامة ؛ لأنى أثبت لنفسى وغيرى وجوداً يقابل وجودَ الحق » وهذا عين الإلحاد والشرك ، فليس وراء هذا كفر ، فإن كان هذا مما يفهمه المنازِعُ[(٣)] ، كما يفهم الذابُّ عن الشارع ، فقد علم منابذته للهِ ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان لا يفهمه ، ويدعى أن له معنى حسناً ، فيكفيه أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء ، وهو أصول الدين الذى فى الزَّلَّةِ فيه ذهابُ الروح والدين ، وهو معاندٌ بمنازعته لقوله تعالى :(٣: ٦٦ هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ، (٢: ١٦٨، ١٦٩ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) ، (٧: ٣٣ قل : إنما حرّم ربِّيَ الفواحش ما ظهر منها

---

(١) يرى فى التوحيد الحق الذى جاء به الرسل جميعا عن الله أنه إلحاد ، وهذا هو دين الصوفية سلفهم وخلفهم ، ألا تسمع عواء الصوفية تحت قباب الطواغيت ، وهم يقيئون صلوات ابن بشيش التى يقول فيها : « زج بى فى بحار الأحدية ، وانشلنى من أوحال التوحيد ، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها » يرون توحيد الرسل أوحالا من الطين ، ويدعون الله أن ينشلهم منها ؟ ومتى يدعون ، والليل لما يهتك كله السحر عن مهده ! ! هذا لأن التوحيد الحق يثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، أما الصوفية فيدعون أن يكون حتى الدراويش منهم أربابا وآلهة ، وهذا معنى قولهم : « وأغرقنى فى عين بحر الوحدة » بل يريدون أن يكونوا وجودا مطلقا «وزج بى فى بحار الأحدية »

(٢) الذين ينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه ، ويثبتون له سبحانه ما أثبت لنفسه من صفات .

(٣) أى : المنازع فى كفر ابن الفارض

ومابطن ، والإثمَ والبغىَ بغير الحق ، وأن تقولوا على الله مالاتعلمون) ، (١٧: ٣٦
ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

ويكون[1] تابعاً لمجرد العصبية ، وحَمِيَّةِ الجاهلية ، مع أنك لا تجد من يحامى عنه إلا منهمكا فى الفسوق والبغى والعقوق ، أو قريبا منه ، تبعاً له فى قوله:

دعوته إلى المجون

وينبيك عن شأنى الوليد وإن نشا	بليداً بإلهامٍ كوحى وفطنة
ويعرب عن حال السماع بحاله	فيثبت للرقص انتفاءَ النقيصة
ولا تك باللاهى عن اللهو جملة	فهَزْلُ الملاهى جِدُّ نفسٍ مُجِدَّةِ
وإياك والإعراضَ عن كل صورة	مُمَوَّهةٍ ، أو حالة مستحيلة

قالوا فى شرحه : « إن الطفل يبين بحاله من الإصغاء إلى المناغى عن حال أهل السماع والرقص ، فيثبت بهذا انتفاء النقص خلافا لما قاله المحجوبون ، ولما كان سماع الطفل ورقصه بَرِيًّا عن الشهوة والرئاء[2] كان مُعْرِباً عن صحة حال سماع الواجدين ، ورقصهم[3] وهزل الملاهى جِدُّ نفس مُجِدَّة ، فلا تكن غافلا

---

(١) أى : المنازع فى كفر ابن الفارض ، وهو معطوف على قوله قبل : يخوض بالجهل

(٢) فى الأصل : الرثا

(٣) يدعو ابن الفارض — متوهج المجون — إلى إلهاب شهوات النفس ، واستثارة غرائزها الجامحة بالرقص العربيد والغناء الطافح بالشهوة ، ويلح فى هذه الدعوة الآثمة ، إذ الرقص فى دينه معارج الروح إلى أفق رحموت ملكوت الأحدية ! ! ، بل يوقن أن الرقص والغناء فيض إلهى يجب أن تتلقاه أرواح العارفين بالبهجة والنشوة ! ! وأمس كان يدعو عبد المرآة والشهوات إلى مثل هذا فيستنكر منهم هذا الإثم بعض العلماء ، وتثور بها بعض الجماعات الدينية ، بل — واعجب معى — بعض الصوفية ، غير أنهم — إذا قيل لهم : إن ابن الفارض =

عنه ، فإنه فائض من الأسماء الإلهية ، ومايفيض من الحق إلا ماهو حق لا باطل .

الباطل إله الصوفية

ولذلك قال ابن عربى « لا تنكر الباطل فى طَوْرِه، فإنه بعض ظهوراته»[١] فقد أفاد هذا أنهم يعتقدون : أن الباطل هو الله ، ولو لم يكن فى هذا إلا أنه[٢] يدعو إلى البطالة والخلاعة والضلالة ، لكان كافياً فى استهجانه [٧٥] ومنابذته للدين .

وقد نقل شيخنا حافظ العصر ابن حجر فى لسان الميزان أنه كان لهذا الناظم جَوارٍ فى البهنسة موظفات للغناء والضرب بآلات الملاهى ، وكلما ماتت واحدة منهن اشترى بدلها أخرى ، وكان يذهب إليهن فى بعض الأوقات ، فيسمعهن ، ويرقص على غنائهن ، ويرجع[٣] .

المناضل عن ابن الفارض

فالمناضل عنه مسارع إلى شكله ، ومضارع لمن كان فعله كفعله ، كما قال على

= شيطان هؤلاء ، وداعيتهم إلى التلطخ بهذه الردغة — أقلقوا مضاجع الليل بالاستغفار أن ذكر سلطان العاشقين أمامهم بسوء ! ! فى حين أن دعوته أدهى شرا مما يدعو إليه المجان عبيد الغوانى ، فهو يصور الرقص تنفث به المرأة سم الجريمة ، والغناء تتجاوب معه أحط الغرائز ، والعشق يرويه دم الأعراض ، يصور كل هذه الموبقات على أنها سبحات الإشراق الأسمى ، وفيض إلهى يصل العارف بالملأ الأعلى يجعل اقتراف ذلك الإثم مظاهر تبتل ، ومحراب تأله وتعبد ، على حين يصفها المجان بأنها علائم حضارة ، ودلائل مدنية !! فأى الدعوتين أطغى شرا ، وأخبث كفرا ؟!

(١) أى : بعض تعينات الإله الصوفى

(٢) يعنى : ابن الفارض

(٣) ذكر الحافظ فى اللسان : أنه نقل هذا عن كتاب التوحيد للشيخ عبد القادر القوصى .

رضى الله عنه بعد قدومه الكوفة بثلاثة أيام : « قد عرفنا خياركم من شراركم ، قالوا : كيف ؟ ومالك عندنا إلا ثلاثة أيام ! قال : كان معنا خيار وشرار ، فانضم خيارنا إلى خياركم ، وشِرارنا إلى شراركم » وحديث : « الأرواح جنود مُجَنَّدة[١] » الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أعدلُ شاهد لذلك ويتعين على كل مسلم إنكار ما أنكره الشرع من مثل هذا .

قوله يوجب إراقة دمه

وقد اعترف هو أن ماقاله موجب لإراقة الدم ، وأنه قاله فى الصحو والإفاقة لا فى السكر والجذبة ، فقال :

وَثَمَّ أمورٌ تَمَّ لى كشف سِتْرِها ... بِصَحْوِ مُفِيقٍ عن سواى تَغَطَّتِ

بها لم يَبُحْ من لم يبح دمه وفى الإ ... شارة معنى ما العبارة حَدَّت

قالوا فى شرحه : « أى انكشفت لى أمور وأسرار بواسطة الصحو الذى حصل لى بعد السكر والإفاقة ، وهى متغطية عن غيرى من المحجوبين ، ولم يظهر تلك الأسرار إلا من أباح دمَه للمحجوبين[٢] ، فإنهم يقتلون العارفين الذين باحوا بأسرار التوحيد[٣] » وصَرّح بأن مايقوله حقيقة لا مجاز ، فقال :

عليها مَجازِىٌّ سلامى ، فإنما[٤] ... حقيقته : مِنِّى عَلَىَّ تحيتى

---

(١) نص الحديث : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ولم يروه الشيخان — كما ذكر — عن أبى هريرة ، وإنما رواه عنه مسلم وأبو داود ، أما البخارى ، فرواه عن عائشة رضى الله عنها

(٢) يعنى : المعتصمين بكتاب الله ، والمستمسكين بظواهر الشريعة المؤمنين بالله وحده ربا ، وبالخلق عبيدا لله رب العالمين

(٣) أسرار التوحيد عندهم : اعتقاد أن الله سبحانه عين خلقه ، وعن هذه المرتبة يقول الغزالى : إنها سر ، وإفشاء سر الربوبية كفر ! !

(٤) فى الأصل : لإنما ، وهى فى الديوان كما أثبتها

قال الشراح : « أى على حضرة المحبوبة سلامى فى قولى : التحيات إلى آخره ـ مجاز لأنها عينى ، لا غيرى ، فحقيقة السلام منى ، وإلىّ » وقد مَثَّلُوا كون التَّشَخُّصَ مجازياً ، والإطلاقَ حقيقياً بأن الروح الْكُلى الذى هو الإله عندهم كالبحر ، والأشخاص الناشئة منه مثل البخار الصاعد من صورته البخارية ثم فى صورة السحابية ، ثم يرجع إلى الماء ، ويختلط بالبحر ، فيصير إياه ، وهو بخار وسحاب حقيقة ، وتلك الصورة العارضة مجاز[1] !!

فأين هذا الانهماكُ فى اللذة قولا وفعلا ، والانقياد للهوى عقداً وحلا ، من رتبة الولاية التى يدعيها المتعصبون له ، التى من شرطها الإعراض عن الانهماك فى اللذات الدنيوية ومن رتبة الولاية التى يدعيها هو ؟!.

---

(١) مراده من هذا : إثبات أن المغايرة بين الحق والخلق مغايرة وهمية ، أو إسمية ، أو صورية ، ويشبهها بالمغايرة بين الماء المطلق ، وبينه فى حال تعينه بصورة بخارية ، أو سحابية . فالكل حقيقة واحدة ، هى الماء ، ولكنها تعينت مرة فى صورة بخار ، وأخرى فى صورة سحاب ، وكذلك الذات الإلهية عندهم ، فإنها هى وذوات الخلق واحد فى الحقيقة ، كثير بالاعتبار ، فهوية الحق قبل التعين تسمى وجودا مطلقا ، أو حقا ، ثم سميت خلقا بعد التعين. فهما واحد فى الحقيقة ، غيران بالنسب والإضافات . يقول التلمسانى :

البحر لا شك عندى فى توحده وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب سارى العين فى العدد

وأقول : هذا المثل حجة على الصوفية ، فالماء لا يصير بخارا من نفسه ، بل بتأثير شىء آخر خارج عنه يخالفه في حقيقته : هو الحرارة ، وكذلك فى صيرورته سحابا ، فالمؤثر فى هذه الصيرورة شىء غير الماء يخالفه فى الحقيقة ، فالمثل إذاً يثبت وجود غيرين هما غير الماء حقيقية وصورة . والصوفية ينكرون الغيرية والكثرة ، والمثل كما رأيت يثبتهما ، ويثبت أيضا أن الماء فى صيروراته يخضع لمؤثر خارجى ، وهذا يستلزم كون رب الصوفية يتأثر بغير حقيقى خارجى . فما ذلك المؤثر ، أو من هو ؟

ومن هنا تعلم أنهم[1] لا أرضوه ، ولا أرضوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحداً من المؤمنين ، فإنه هو لا يرضى إلا أن يكون خليعا ، وهم يقولون : متقيِّد ، وهو يقول : إن ما قاله مبيح للدم ، وهم يقولون : لا يبيحه ، وهو يقول : إنه عاقل صاح ، وهم يقولون : مجنون [٧٦] سكران ، وهو يقول : إن ماقاله : حقيقة ، وهم يقولون : مجازا[2] ، ولا يقدرون على تخريجه على المجاز وهو لا يرضى إلا أن يكون هو الله ، وينهى عن ذكره بِغَيْر .

لماذا يزجر عن تكنيته بكنية ، أو تلقيبه بلقب

وَأَلْغِ الْكُنَى عنى ولاتلغُ أَلْكَنا[3] بها ، فهى من آثار صيغة صَنْعَتِى[4]

وعن لقبى بالعارف ارجع فإن ترى التَّـ

ـنَابُذَ بالألقـاب فى الذِّكْرِ تُمْقَتِ

قال شراحها : « أى أسقط الكُنَى عنى ، ولا تستعمل اللغو فى إطلاقها على حال كونك عَيِيًّا[5] عن الكلام فى تعريف مقامى ، فإنها من آثار مصنوعاتى ، إذ الإنسان صاغها ، وهو من جملة مصنوعاتى التى أوجدتها ، وارجع عن إطلاقك علىَّ اسم العارف ؛ لاتحادى بذات من لا يُطْلَق عليه هذا الإسم » .

فلم يدع جهدا فى زجرهم عن تسميته بالعارف ، ولم يَدَعْ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لَبْسًا فى أمرهم بتكفيره ، وهم[6] يعصون كُلاًّ من الأمرين ،

---

(١) يعنى : شارح التائية

(٢) الحق أن أكثر الشراح للتائية يدينون بأن قول ابن الفارض فى الاتحاد والوحدة حقيقى ، لا مجازى . والقائلون بالمجاز قلة من منافقى الصوفية خشية على السحت الذى يأكلون به مال اليتامى والأيامى

(٣) يقصد : الإنسان

(٤) لا تلغ : لا تكلم باللغو . والألكن : الثقيل اللسان فى التكلم

(٥) فى الأصل : عيبا

(٦) أى : أتباع ابن الفارض

ولا يرجعون عن شىء من المنهيين ، فيا خسارتهم بما ضرُّوا به أنفسهم فيما لا ينفعهم ، كما قال تعالى فيمن يعبد الله على حَرْف : (٢٢ : ١٢ ، ١٣ يدعو من دون الله مالا يضره ، وما لا ينفعه ، ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لَمَن ضرُّهُ أقرب من نفعه . لبئس المولى ، ولبئس العشير)

زعمه أنه عرج إلى السماء

وادعى العروج إلى الله ، والوصول إلى مقام : أو أدنى [١] ، فقال :

عرجتُ ، وعَطَّرْتُ الوجود برجعتى ... ومِنْ أنا إياها ، إلى حيث لا إلى

قالوا فى شرحه : « عرجت من مقام : أنا إياها — وهو ابتداء الاتحاد — ومن قولهم : أنا الحق [٢] ، ولا إله إلا أنا فاعبدنى [٣] ، إلى أن وصلتُ إلى مقامٍ لا نهاية فيه ، وعطر الوجود برجوعه ، لاتصافه بصفات الرحمن [٤] ، واتحاده بذات الملك الديان »

---

(١) يقرر المؤلف ما زعمه ابن الفارض من العروج إلى السماء ، ووصوله إلى مقام «أو أدنى» المشار إليه بقوله تعالى : «فكان قاب قوسين ، أو أدنى» ويعنى به ابن الفارض : الدنو من الله ، لا من جبريل كما هو الحق . والكمشخانلى الصوفى يشرح هذا المقام فى كتابه : جامع الأصول فى الأولياء ، فيقول : « هو مقام القرب الأسمائى باعتبار التقابل بين الأسماء فى الأمر الإلهى ، المسمى : بدائرة الوجود ، كالإبداء والإعادة والعروج والفاعلية والقابلية ، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التميز والإثنينية الاعتبارية . هناك الفناء المحض ، والطمس الكلى للرسوم كلها » ومن هنا تدرك لم ادعى ابن الفارض أنه وصل إلى هذا المقام ثم رجع منه ، إذ لم يرتض حتى الإثنينية الاعتبارية ، أو بقاء التميز بينه وبين الله سبحانه بوجه ما . وكيف يرتضيه وهو يفترى أنه هو الله ذاتا وصفة وخلقا ؟ !

(٢) كفر الحلاج

(٣) قول طيفور الشهير بالبسطامى عن نفسه

(٤) يزعم أنه عاد من مقام أو أدنى — وقد ذكرت مرادهم منه — رحمانا . =

والبيت الذى بعده أشد كفراً [1] ، ثم قال :

ولى عن مُفِيض الجمع عند سلامه عَلَيَّ : بِأَوْ أَدْنَى إِشَارَة نِسْبَة

قالوا فى شرحه : « إنه لما فَنِيَ فى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم بقى به حِصَّة بمشاركته فى قبول عين السلام من حيث عين ذلك المقام ـ وهو مقام : أو أدنى ـ

= وقد اختاروا تسميته بهذا الاسم بالذات ، لأن الرحمن عندهم : «اسم الحق باعتبار الجمعية الأسمائية التى فى الحضرة الإلهية : الفائض منها الوجود وبقية الكمالات على جميع الممكنات » فهو مرادف للوجود المطلق ، وقد سبق البيت الذى نقله المؤلف عن ابن عربى من الفصوص ، والذى يقول فيه :

فكن حقا ، وكن خلقا تكن بالله رحمانا

وهكذا يتغالى الصوفية فى الزندقة حتى ليأبى الواحد منهم أن يقال عنه : إنه إله تعين فى صورة خلقية ، ولا يحب إلا أن يقال عنه : إنه هو الوجود المطلق ، أو هوية الحق قبل أن تتعين فى شىء ما ، حتى فى الحقيقة المحمدية ! !

(١) هذا البيت هو

وعن أنا ، إياى لباطن حكمة وظاهر أحكام أقيمت لدعوتى

ويريد الزنديق بهذا : أنه نال كل مراتب التوحيد ، حتى بلغ المرتبة الأخيرة منه فالأولى : فناء عين التفرقة وبقاء أثرها . وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا الحق ، أو أنا الله . ولكن هذه قضية ذات محمول وموضوع ، والحمل يستلزم الإثنينية نعم هو حمل صورى لأن المحمول عين الموضوع . ولكن اختلاف لفظيهما يوهم الغيرية . لذا يرفض الزنديق هذه المرتبة . الثانية : فناء التفرقة عينا وأثرا . وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا أنا . ولكن ما زال ثم قضية فيها محمول وموضوع ولذا يرفض الزنديق هذه المرتبة أيضا . الأخيرة : وهذه لا تسعف فيها العبارة ، ولا تومىء إليها إشارة ، وغاية ما يستطيع العارف عندهم هو أن يقول عن نفسه : أنا فحسب ، غير مدرك بإدراك ما ، ولا شاعر بشعور ما : أن هنالك ما يمكن أن يحمل عليه ، أو يوضع له ، إذ ما ثم غير ولا سوى . هذا هو مراد الزنديق . غير أنه يزعم أنه رضى وتنزل إلى مرتبة التعين فى الخلق ، ليبرز مكنون قدرته ، وإمكانيات وجوده المطلق الأول

فإنه جَلَّ جناب هذا المقام من أن يَطَّلِع عليه إلا واحدٌ بعد واحد ، فالواحد السابق هو صلى الله عليه وسلم ، والواحد اللاَّحِق به : [١] أنا إن شاء الله تعالى من جهة غرقى فى لُجَيَّته » انتهى .

وقال عياض فى أواخر الشفاء : وكذلك – أى يكفر – من ادَّعى مجالسة الله تعالى ، والعروج إليه ، ومكالمته ، أو حلوله فى أحد الأشخاص ، كقول بعض المتصوِّفة [٢] » .

لا شىء على من يكفر ابن الفارض

وأما من أنكر عليه لأمثال ما رأيته من الألفاظ الصريحة بالنص فى الكفر ، فلا شىء عليه بإجماع المسلمين بقاعدة من كَفَّر مسلما مُتَأَوِّلاً ، فلا أضل ممن ترك طريقا مضمون السلامة ، واتبع طريقا أخف أحواله أنه مظنون العطب والملامة [٧٧] . ودَرْءُ المفاسد أولى من جلب المصالح ، على تقدير تسليم أن يكون لهم فيما هم فيه مصلحة ، وليس فيه — والله — مصلحة بوجه ، فقد اعترف كل من يحامى له أن ظاهرَ كلامِه منابذٌ للكتاب والسنَّة ، وإلا لما احتاجوا إلى ادعاء تأويله ، مع أن الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ما سلك فَجًّا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه [٣] – قد أنكر التأويل لغير كلام المعصوم [٤] ، ومنع منه رضى الله عنه ، وأرضاه ، وأهلك كل

---

(١) يعنى : ابن الفارض لأنه يتكلم بلسانه

(٢) ص ٢٩٨ ج ٢ الشفاء ط تركيا

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه بين البخارى ومسلم ، وفيه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر : «إيها يا ابن الخطاب !! والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك» والفج : الطريق الواسع ، أو المكان المنخرق بين الجبلين

(٤) بل ما ثبت عن عمر ، ولا عن غيره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان =

من خالفه ، وأرداه ، و بسيف الشرع قتله وأخزاه ، فقال فيما رواه عنه البخارى في كتاب الشهادات من صحيحه : « إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحى قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر خيرا أَمِنَّاه ، وقربناه ، وليس إلينا من سريرته شىء ، والله يحاسبه فى سريرته . ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ، ولم نصدقه ، وإن قال : إن سريرته حسنة » . وقد أخذ هذا الأثرَ الصوفيةُ ، وأصَّلوا عليه طريقهم . منهم صاحب العوارف استشهد به فى عوارفه ، وجعله من أعظم معارفه ، فمن خالف الفاروق رضى الله عنه كان أخف أحواله أن يكون رافضيا خبيثا ، وأثقلها أن يكون كَفَّاراً عنيدا ، وهذا الذى سماه الفاروق رضى الله عنه : ظاهرا هو الذى يُعْرَف فى لسان المتشرعة بالصريح ، وهو ما قابل النص والكناية والتعريض ، وقد تبع الفاروق رضى الله على ذلك — بعد الصوفية — سائر العلماء ، لم يخالف منهم أحد كما نقله إمام الحرمين (١) عن الأصوليين كافة ، وتبعه الغزَّالى ، وتبعهما الناس. وقال الحافظ زين الدين العراقى أنه أجمع عليه الأمة من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح ، وكذا قال الإمام أبو عمرو ابن عبد البر (٢) فى التمهيد ، وأصّله إمامنا الشافعى رضى الله فى كتاب

= تأويلهم لشىء ما من كلام المعصوم ، وإنما كان الجميع يفهمون ما جاءهم عن الله ورسوله بمعانيه التى هى له فى لغة العرب ، لا بما اصطلحت عليه الفلسفة أو التصوف أو الكلام . فما عرف شىء من هذه الضلالات ، ولا فى عهد أصحابه . وقريب من الذكر تلك الضربات الهادية الشافية التى أنزلها عمر على رأس من جاء يسأله عن معنى الذاريات ، إذ استشعر من وراء السؤال فكرا يهمس فيه الشك

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى الجوينى من زعماء الأشاعرة . ولد سنة ٤١٩ هـ ولقب بإمام الحرمين . لأنه جاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتى . توفى سنة ٤٧٨ هـ

(٢) هو يوسف بن عبد البر بن محمد حافظ المغرب. قال عنه ابن حزم « لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله . ولد سنة ٣٦٨ هـ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ

الرسالة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنكم تختصمون إلىَّ ، ولعل أحدكم أن يكون أَلْحَنَ[(١)] بحجته ، فأقضى له » الحديث رواه الستة عن أم سلمة رضى الله عنها فى أمثال كثيرة ، وقال الأصوليون : « كافة التأويل – إن كان لغير دليل – كان لعبا ، وما يُنْسَب إلى بعض المذاهب من تأويل ما هو ظاهر فى الكفر ، فَكَذِبٌ ، أو غلطٌ منشؤه سوء الفهم ، كما بينت ذلك بيانا شافيا فى غير هذه الرسالة ، وإنما أوَّلنا كلام المعصوم[(٢)] ، لأنه لا يجوز عليه الخطأ ، وأما غيره ، فيجوز عليه الخطأ سهوا وعمدا .

المتوقف فى تكفير الصوفية

ولا يسع أحداً أن يقول : أنا واقف ، أو ساكت لا أثبت ، ولا أنفى ؛ لأن ذلك يقتضى الكفر ؛ لأن الكافر من أنكر ما عُلِم من الدين بالضرورة . ومن شكَّ فى كُفْرِ مثل هذا كَفَر [٧٨] ولهذا قال ابن المقرى فى مختصر الروضة : « من شك فى اليهود والنصارى وطائفة [ابن[(٣)]] عربى فهو كافر » .

وحكى القاضى عياض فى الباب الثانى من القسم الرابع من الشفاء : « الإجماع على كفر من لم يُكَفِّر أحدا من النصارى واليهود ، وكل من فارق

---

(١) أى : أفطن لها ، ونص الحديث : «إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه بشىء ، فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من النار » فأين من هذا الهدى والحق ضلال الصوفية وباطلهم . إذ يزعمون أن حقائق الأشياء تنكشف لهم على ما هى عليه ، وأنهم يتصرفون فى البواطن ، وأن شيوخهم يتكلمون عن سرائر دراويشهم وهم ساكتون ؟

(٢) هذا على دين من يأخذون بالتأويل ممن يجعلون العقل حاكما على النقل ، وقد سبق الرد على هذا

(٣) ليست بالأصل والسياق يوجبها

دين المسلمين ، أو وقف فى تكفيرهم ، أو شك . قال القاضى أبو بكر : لأن التوقيف والإجماع [اتفقا[١]] على كفرهم ، فمن وقف فى ذلك ، فقد كذَّب النص أو[٢] التوقيف ، أو شك [فيه[٣]] والتكذيب ، أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر[٤] » انتهى .

وقال الإمام حافظ الدين النسفى فى كتابه العمدة فى أصول الدين : « التوقف باطل ؛ لاقتضائه الشك ، والشك فيما يفترض اعتقاده كالإنكار » ومن العجب أنهم يعاندوننا ، لأننا لا نُؤَوِّل لمن يجوز عليه الزلل ، وينصرون من يتعصبون له ، وهو[٥] لا يؤول المتشابه من كلام المعصوم ، بل يجريه على ظاهره[٦] خلافا لإجماع الأمة[٧] مع تأدية ذلك إلى إبطال الشرع ، ويدَّعون

---

(١) ، (٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الشفاء

(٢) فى الأصل : و . وهى فى الشفاء كما أثبتها

(٤) ص ٢٦٧ جـ ٢ الشفاء

(٥) يعنى : ابن الفارض

(٦) كان واجبا أن يقول : بل يجريه على ما يشهد الحس له من مظاهر بالنسبة إلى الخلق ، أو على ما يشاء الهوى الصوفى ، فابن الفارض — ككل صوفى — لا يقترف هذا ، فحسب ، بل يجرد اللفظ من دلالته ومعناه فى العربية ، ويفترى له معنى يهدف به إلى مساندة زندقته ، وأحيانا يفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض كمن يفصل «لا إله» عن « إلا الله » . وأحيانا يقيس شأن الخلاق الخبير على شأن خلقه ، ويحكم على الرب بما يحكم به على العبد ، ومثاله ما افتراه من أن الله سبحانه يتلبس بصور الخلق قياسا على شأن جبريل حين ظهر بصورة دحية والأعرابى . هذا بعض ما عسخ به الصوفية وجه الحق ! !

(٧) قوله هذا يجافى الحق ، ويجانب الصواب ، فالإجماع الذى يعتد به — إن كان لا بد النص مع إجماع — هو إجماع الصحابة والتابعين . وقد أجمع هؤلاء جميعا — ومن بعدهم الأئمة المهتدون — على إجراء ما تلقوه عن الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره ، أى على ماله من دلالة ومعنى فى العربية ، إذ لا يراد بالظاهر غير هذا ، أما أن يراد بالظاهر كيفياته الحسية ، فهذا ليس من =

الإسلام ، فما أحقهم بقوله تعالى : (٤ : ٨٨ ، ٨٩ فما لكم فى المنافقين فئتين ، والله أركسهم بما كسبوا ، أتريدون أن تهدوا من أضل الله ؟ ومن يُضْلِل له ، فلن تجد له سبيلا . ودُّوا لو تكفرون كما كفروا ، فتكونون سواء) إلى هذا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلام حملة[1] شريعته من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم دَعَوْنا (٤١ : ٢٢ ومن أَحْسَنُ قولاً مِمَّن دعا إلى الله ، وعمل صالحا ، وقال : إننى من المسلمين ؟) .

الرأى فى شعر ابن الفارض

وأما المحامون له ، فإنهم داعون إلى شاعر لم يُؤْثَر عنه قط شىء غير ديوان شعر لم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فيه بقصيدة واحدة ، بل هو كُفْرٌ وضلالة وخلاعة و بطالة ، وقد علم ذم الله ، وذم رسوله صلى الله عليه وسلم للشعر والشعراء إذا كان حالهم مثل هذا ، كما قال تعالى : (٢٦ : ٢٢٤ – ٢٢٧ والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظُلِمُوا ، وسيعلم الذين ظلموا أى مُنْقَلَبٍ ينقلبون) وقال النبى صلى الله عليه وسلم – كما رواه الستة عن ابن عمر رضى الله عنهما : « لأن يمتلىءُ جوف أحدكم قيحا [حتى يَرِيَهُ[2]] خير من أن يمتلىءُ شعرا[3] » وذلك إذا انفرد بالشعر

= دين أهل الحق ، ولا من الحق فى شىء . أقول هذا لأن البقاعى يعنى بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثها ، وهذا رأى ساقط الاعتبار ، لم يدن به إلا عبيد الفلسفة ومخانيث الكلام

(١) فى الأصل : جملة ، والسياق يوجب ما أثبته

(٢) يرى من الورى ، وهو داء يفسد الجوف . وهذه الزيادة لم ترد فى رواية أبى داود . وهى كذلك ساقطة من الأصل

(٣) لم يروه الستة عن ابن عمر ، وإنما رواه البخارى عنه ، ورواه الشيخان =

كهذا الرجل ، فإنه ليس له شيء ينفع الدين أصلا ، وليس له من الشعر إلا ما عادى به الإسلام ، وأهله ، وأذاهم غاية الأذى ، وأوقع به بينهم [١] العداوة والبغضاء ؛ لأنه ملأه كفرا وخلاعة ، وصَدًّا عن الدين وشناعة ، فقد حادَّ به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى : (٥٨ : ٢٢ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حادَّ الله ورسوله [٧٩] ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتاب فى قلوبهم الإيمانَ ، وأَيَّدَهم بِرُوحٍ منه) . فنحن فى غاية السلامة ، إن شاء الله تعالى ، لما قدمت . وأما من يحامى عنه ، فهو دائر بين اعتقاد ما تضمنه كلامه ، وذلك هو الكفر المُوجِبُ للسيف فى الدنيا ، والخلود فى النار فى الأخرى ، و بين الذَّبِّ [٢] عنه مع الجهل لما قال ، وذلك موجب لموادَّة من حادَّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الموجبة لعداوتهما الجارَةِ إلى كل شقاء .

= وأبو داود والترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة . والمقصود والله أعلم : الشعر الذى يمجد الرذيلة ، ويفسد الخلق والدين ، وينابذ القيم الروحية ، ويصرف النفس عن الحق من الكتاب والسنة . أما الشعر الذى يستلهم الإيمان والحكمة ، ويصور المثل العليا ، ويمجد قيم الحق والخير والمحبة ، ويستحث النفوس على الجهاد فى سبيل الحق . هذا الشعر من هواتف النفس المؤمنة ، وليس بذى مذمة ولا مبغضة ، ودليلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر حكمة » رواه البخارى وأبو داود عن أبى بن كعب ، ورواه الترمذى عن ابن مسعود ، وأيضا ما روته عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما ، ينافح عن رسول الله ، ثم يقول: إن الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح — أو فاخر — عن رسول الله » أخرجه البخارى — واللفظ له — وأبو داود والترمذى ، كلهم عن عائشة رضى الله عنها

(١) يعنى : بين المسلمين

(٢) فى الأصل : الذنب . والسياق يوجب ما أثبت

تواتر الخبر بتكفير العلماء له

هذا مستندنا، وهو قطعى[1] من جميع وجوهه، تواترَ لنا تواترًا معنويًا نسبة العلماء له إلى الكفر، وتواتراً حقيقياً أن التائية نظمه، ونحن على القطع بأنها صريحة فى القول بالاتحاد بالذات والصفات، وما يتبع ذلك من تصويب جميع المِلَل والنِّحَل إن لم يكن نَصًّا فيه، وعلى القَطْع بأن ذلك كُفْرٌ، والقائلَ به كافر، وقد انتقيت من التائية مايقارب أر بعمائة وخمسين بيتاً شهد شراحها البررة والكفرة أن مراده منها صريح الاتحاد، وما تفرع عليه من تصويب جميع الأباطيل فى مجلد سميتُه الفارض[2].

(١) فى الأصل: قطيعى. وهو خطأ فى النحو

(٢) ورد بهامش الأصل ما يأتى: « قال المصنف رحمه الله فى كتابه: الفارض فى تكفير ابن الفارض: ثم إنه لا ينبغى الاغترار بما قاله ابن بنته فى ديباجة الديوان فإنه رجل مجهول لا تقبل روايته، ولا سيما وهو يشهد بجده، ولا سيما إذا كانت شهادته مخالفة بشهادة الأئمة بكفره، وعلى تقدير صحة ذلك لا يدل على صلاح إلا إن كان الجارى ذلك على يده متابعا للكتاب والسنة، فإن الخوارق ربما كانت لكفره امتحانا من الله لعباده، وينبغى لكل مسلم أن يجعل قصة الدجال نصب عينيه، فإنه يظهر على يديه من الخوارق شىء كثير مع علمنا بأنه أكفر الكفرة، فأى لبس بعد هذا؟ مع أنه قد كثر ضلال الضلالة بمن ظهر على يديه شبه خارقة، وقد علم أن ذلك قد يكون من الشياطين، وقد ضبط العلماء — ولله الحمد — أمر الخوارق وبينوا حقه من باطله، فمن ظهر على يده شىء من الخوارق. وكان عارفا بالله وصفاته مواظبا [على] الطاعات. مجتنبا للمعاصى. معرضا عن الانهماك فى ال[ملذات] والشهوات. فذلك ولى. والخارق كرامة. وما كان على يد مخالف للشرع فهو إهانة له بالاستدراج له، و [لا] يغتر به. هذا الدجال نشهد أنه أكفر الكفرة مع أنه تظ[هر على] يده الخوارق العظيمة. منها مسير جبال الثريد معه و و.. الأرض كذلك. ومنها تمثل الشياطين بصور أقارب من أرا[د الله] فتنته يدعونهم إلى متابعته. ومنها. أنه يقول للشمس: قفى [فتقف]. ويقول لها: سيرى =

لا عبرة بقول حفيد ابن الفارض

ولا مستند لمن ينابذنا إلا ما أثبته ابن بنتـه فى ديباجة الديوان من الزور والبهتان ، وهو نكرة لايعرف ، ولو أنه شهد على أحدهم بدينار لم تُقْبَل شهادته حتى يُعَدِّلَه العدولُ الموثوق بهم ، ولامُعَدِّلَ له ، ولا لجده ، ممن هو خبير بحالهما أصلا ، فصار المحامون له لا مُسْتَنَدَ لهم إلا سند قريش فى منابذة النبى صلى الله عليه وسلم فى التوحيـد حين قالوا : (٤٥ : ٣٢ إن نظن إلا ظنًّا ، وما نحن بمستيقنين) ، (٣٨ : ٧ ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، إنْ هذا إلا اختلاق) ، (٤٣ : ٢٢ إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مهتدون) ، (٥ : ١٠٤ وإذا قيل لهم : تعالَوْا إلى ما أنزل الله ، وإلى الرسول ، قالوا : حَسْبُنا ماوجدنا عليه آباءنا ، أوَلَوْ كان آباءهم لا يعلمون شيئاً ، ولا يهتدون ؟) ، (٧ : ٣٠ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، ويَحْسَبُون أنهم مهتدون) .

وكل من هكذا يوشك أن يقول عند سؤال الملكين فى قبره ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافق ، أو المرتاب : « هاه [هاه][1] . لا أدرى . سمعت

فتسير . ويقول للسماء : أمطرى . فتمطر . وللأرض : أنبتى : فتنبت . إلى غير ذلك ممن يضل الله به من [يشاء من] عباده ، وأعظمه إحياء ميت » انتهى من هامش الأصل : وما بين هذين [ ] ساقط من الأصل ، ورأيت السياق يوجبه فأثبته . وأقول: حديثه عن الخوارق تظهر على يد الأولياء حديث القرون التى كانت تعيش تحت سطوة التهاويل . إنما الكرامة هى أن يكون الله مع عبده المؤمن نصرا وتأييدا وحفظا .

(١) وردت مرة واحدة فى الأصل ، بيد أنها ذكرت مرتين فى الحديث الذى رواه أبوداود عن البراء بن عازب « وهاه هاه » كلمة تقال فى الضحك وفى الإيعاد ، وللتوجع . وهو أليق بمعنى الحديث كما قال المنذرى ، وحديث السؤال فى القبر أخرجه — غير أبى داود — الشيخان وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجـة وابن حبان وأبو حاتم

الناس يقولون شيئاً ، فقلته » على أنه لو ثبت مافى ديباجة الديوان لم يُفِدْ ولاية ، فإن العلماء قسموا الخوارق إلى معجزة وكرامة ، ومعونة وإهانة . وأشار إلى ذلك الإمام أبو حنيفة رضى الله عنـه فى الفقه الأكبر ، انظر إلى ماورد للدجال من الخوارق[(١)] ، وهو أكفر الكفرة .

بم يكون الإنسان ولياً ؟

إنما يفيد الولايةَ بذلُ المجهود فى متابعة النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن بذل جهده فى [٨٠] اتباع السنة ، قلنا : إنه ولى ، فإن خيل بعض المحلولين منهم أحداً ممن ظهر له الحق بقوله : التسليم أسلم !! فليقل له : هذا خلاف ما أمر به صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى الكتاب والسنة : من جهاد أعداء الله ، والبغض فى الله ، من ذلك حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه المتفق عليه فى تسليته عن التخلف عن أصحابه بمكة : « ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويُضَرَّ بك آخرون » على أن التسليم لأهل الشريعة وأهل الطريقة[(٢)] المجمع عليهم الذين رموا هذا الرجل بالكفر ، ورأسهم الفاروق رضى الله عنه بمنعه من التأويل أجدرُ بإيجاب السلامة . وقد قال الإمامان أبو حنيفة والشافعى رضى الله عنهما :

---

(١) ما سيظهر على يد الدجال أخبرنا به المعصوم ، وإنه لفتنة سيبتلى بها الله عباده ويميز بها بين المؤمن والكافر ، أما ما يزعمه هؤلاء ، فلم يروه إلا كذاب ، أو منافق ، أو صوفى ، وإنها لشعبذة يقترفها أولئك ابتغاء سلب مال أيم ، أو أرملة ، أو يتيم ! ولا ينخدع بها إلا النوكى مخابيل الأحلام

(٢) لا . بل الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، والتسليم لهما ، وتأييد كل من يذود عنهما ، ثم من أهل الطريقة ؟ ! أليسوا هم أولئك الأدعياء الكذبة الذين ابتدعوا هذه البدع الصوفية كلها ، تأييدا للمتآمرين على الإسلام من مجوس ويهود ونصارى ؟ !

« إن لم تكن الفقهاء أولياء لله ، فليس لله ولى [1] » نقله عنهما النووى فى تبيانه عن الخطيب البغدادى ، ودليله : (٣٥ : ٢٨ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء) (١٠ : ٦٢ ، ٦٣ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . الذين آمنوا ، وكانوا يتقون) . فقد أرشد الله تعالى إلى أن الولى هو العالم ، وأن العالم هو العامل بعلمه .

دفاع وادعاء

وإن قالوا : أنت تبغض الصوفية ، فقل : هـذه مباهتة . إنما أبغض من كَفّره من أجمعنا على أنهم صوفية ، مثل الجنيد ، وسَرِىّ [2] ، وأبى يزيد [3] ،

---

(١) ما من شك فى أن الإمامين الجليلين يقصدان بالفقيه : ذلك المؤمن العـالم الذى يستمد فقهه من الكتاب والسنة ، ويبذل الجهد فى سبيل دعوة المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة ، لا ذلك الذى تدفعه عصبية حمقاء إلى عبادة مذهب خاص ، ودعوة الناس إلى الاقتداء بغير رسول الله ، والتدين بكتاب غير كتاب الله سبحانه مثل هذا هو من يسميه الناس اليوم وقبل اليوم بالفقيه ، وإنه لفقيه ضلالة ، وداعية إلى اتخاذ عبيد الله أربابا من دون الله

(٢) هو سرى بن المغلس السقطى ، خال الجنيد . ومن قوله : « كل ما أنا فيه فمن بركات معروف الكرخى » توفى سنة ٢٥٧ ، فهل قائل هذه الكلمة يعتبر مسلما ؟

(٣) هو طيفور بن عيسى البسطامى المتوفى سنة ٢٦١ ومن قوله : « سبحانى ما أعظم شانى ، تالله ، إن لوائى أعظم من لواء محمد ، ولأن ترانى مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة » انظر ترجمة المناوى لأبى يزيد ولطائف المنن والأخلاق جـ ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ وعجيب من المؤلف أن يستشهد بمثل هـذا الزنديق على تكفير صوفى ، وهو زعيمهم الذى ألهمهم جرأة وقحة على جـلال الربوبية وكبرياء الإلهية ، وهو القائل أيضا : « رفعنى الله مرة بين يديه وقال : إن خلقى يحبون أن يروك ، فقلت : زينى بوحدانيتك ، وألبسنى أنانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » اللمع ص ٣٨٢

وأبى سعيد الخراز ، والأستاذ أبى القاسم القشيرى ، والشيخ عبد القادر الكيلانى والشيخ شهاب الدين عمر السهروردى صاحب العوارف ، فإن بعضهم قال : طريقنا مشبك بالكتاب والسنة ، فمن خالفهما ، فليس منا ، و بعضهم جعل أثر عمر رضى الله عنه أصلا ، و بنى عليه طريقهم ، و بعضهم قال : من قال : إن الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق ، ومن قال : إن المراد بمحبة الله تعالى ، ووصوله إليه غير كمال المتابعة للكتاب والسنة ، أو بمحبة الله غير إكرامه بحسن الثواب ـ فهو زنديق [1] ، إلى غير ذلك مما حدوه ، فتعداه من عاديتموونا بسببهم

(١) الخبير بحال الصوفية ـ سلفهم وخلفهم ـ والمتأمل فى كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت ، وهى حرب دينية ـ خفية أو مستعلنة ـ على الإسلام. هذا القشيرى الصوفى القديم « ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفى سنة ٤٦٥ » هذا هو يقول فى رسالته عنهم « ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة . وركنوا إلى اتباع الشهوات . وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال ، وتحققوا بحقائق الوصال ، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية ، واختطفوا عنهم بالكلية ، وزالت عنهم أحكام البشرية ، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية » ص ٢ ، ٣ الرسالة للقشيرى . هذه شهادة عليهم فى القرن الرابع الهجرى من رجل يعدونه المثل الأعلى للصوفية العملية المعتدلة ، وإنها لتدل على أن الصوفية من قديم تواصوا بالكيد للاسلام ، وإنا لا تخدعنا هذه الشفوف من النفاق الصوفى ، إذ هم السم الناقع يتراءى شهداً مذابا . فالقائلون بما هلل له البقاعى هم عين القائلين بما يختنق منه يحموم الزندقة ، فالقشيرى نفسه يقول فى مقدمة رسالته عن أهل الطريقة : « جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه » يفضل الصوفية على السابقين من المهاجرين والأنصار ، ثم يقول : « وجعل قلوبهم معادن أسراره ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره ، فهم الغيات للخلق » وماذا بقى لله إذا كان هؤلاء غياثا للخلق ؟! وماذا للصحابة من طوالع الأنوار ومعادن الأسرار إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك ؟ ثم يقول: « ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية =

بل أنتم بعد بغضكم للصوفية نابذتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بموالاتكم من نابذ شريعته ، ونحن نذب عنها وأنتم تناضلون عمن يهدمها من غير فائدة فى ذلك ، وتقولون : إنهم أرادوا بكلامهم الذى ظاهره قبيح غير ظاهره ، ولو قال أحد من الناس لأحدٍ منكم كلمة توهم نقصا « كالعِلْق » الذى قال أهل اللغة أن معناه : الشىء النفيس[1] — عاداه ، و إن حلف له أنه ماقصد ذمًّا ، و إن كرر ذلك كانت القاصمة ، فتحرر بذلك أن نابذتم أهل الدين من الفقهاء والصوفية[2] المجمع

= وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية » إذاً فهم عند القشيرى أعظم مقاما من خليل الله إبراهيم ، ومن محمد عليه الصلاة والسلام ؟! فتأمل فى الأستاذ القشيرى ، وفى قوله ، وفيما خلفه فى رسالته ، ثم اسمع إليه ينقل فى رسالته : « لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا ، المحبة سكر لايصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه » انظر مقدمة الرسالة و ص ١٤٦ منها . وهذه زمزمة قديمة بزندقة الاتحاد ووحدة الشهود .

(١) فى القاموس : « العلق : بالكسر » النفيس من الشىء

(٢) وضع الصوفية بجانب الفقهاء من المؤلف يوحى بأن هناك طريقان : طريق الفقهاء ، وطريق الصوفية ، ويوحى بأن الدين فقه وتصوف ، وأن الطريقين مختلفان ، وأن الفقه والتصوف متغايران . فما طريق الفقهاء ، وماطريق الصوفية ؟! وما الفقه ، وما التصوف ؟ ! إن كان أحدهما عين الآخر بطلت التسمية ، وإن كان غيره ، استلزم النقص فى أحدهما ، أعنى استلزم أن يكون أحدهما لا يمثل الشريعة الإسلامية فى كل أصولها وفروعها . والصوفية يزعمون أنهم يمثلون الجانب الروحى والحقائق الباطنة فى الإسلام ، ويدمغون الفقهاء بأنهم علماء الرسوم . فى حين يقول الفقهاء عن الصوفية : إنهم يتحللون من تكاليف الشريعة بهذه الدعوى ! ! فأى الفريقين على بينة من قوله ؟ لا بد من العودة إلى الكتاب والسنة لنحكم على قيم الأشياء بما حدد القرآن من مفاهيم لهذه القيم ، وثمت نجد أمين الله جبريل يسأل الرسول : ما الإسلام ؟ ثم : ما الإيمان ؟ ثم : ما الإحسان ؟ ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب إجابة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ، محددا هذه الحقائق العليا تحديدا جليا مشرقا ، فلنجعل قلوبنا ونياتنا وأعمالنا مظهرا لها =

عليهم بالتأويل فى جانب الله تعالى ، ومنعتم مثله فى حقكم ، فَأُفٍّ لهذا عقلا ، فكيف بالنظر إلى [٨١] الدين ؟

وجوب الكشف عن زندقة الصوفية وبيانها

وإن قالوا : لاتجرب بالإنكار عليه فى نفسك ، فليقل : وإن تركت الإنكار عليه ، كنت أيضاً مجرباً فى نفسى بمنابذة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه مسلم عنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع ، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » وفى حديث آخر لمسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل (١) » وقد صرح العلماء بأن من خاف

= فى صدق وإخلاص، ولندع تلك التفريعات، والتقسيمات ، والتسميات ، لنستمد معارفنا عن الدين من الكتاب والسنة ، فلا تستبد بنا حيرة ، ولا يعصف بنا شك ولا يستعبدنا بعض خلق الله

(١) بات المنكر عند بعض الناس هو النهى عن المنكر ، ولبعدهم عن الكتاب والسنة حالت فى أذهانهم قيم الأشياء ، فالدعوة إلى الحق عندهم رغاء بالباطل ، والاعتصام بالكتاب والسنة جمود ينافى قانون التطور ، والمحافظة على تراث الإسلام الروحى مادية صماء ، والحكم بما أنزل الله رجوع إلى وحشية القرون الوسطى ، وانتباذ لسماحة القانون الإنسانى . هذا فى ناحية قيم الخير ، أما فى ناحية الشر ، فالإلحاد حرية فكرية ، والعصبية المذهبية تقديس للأئمة ، وعبادة القبور والجيف محبة لأولياء الله ، والمجوسية قداسة روحانية ، ومعارج ربانية ، وهى الصوفية ، والتبرج المتلطخ بدماء الأعراض مدنية حديثة ، وأمس قبل ثورة الجيش على الطغيان كانت مساندة الطاغوت والسجود له ولاء واجب مقدس ! ! هذا فهم المسلمين لقيم الأشياء ، يؤازرهم فى هذا — ويا أسفاه — بعض العلماء ، أو من يسميهم الناس بهذا . ثم تعال ، وانظر إلى ما كان يحدث من قبل . حاولت بعض الحكومات فى عهد الطاغية تعديل قانون الانتخاب ! ! فماذا حدث ؟ قامت قيامة من يسمون أنفسهم بفقهاء القانون، وتنادوا بالويل والثبور ! ! فى حين كان كل رئيس حكومة =

على أحد أنه يقع فى هلكة يجب عليه إنذاره ، ولو كان فى الصلاة : (٢٩ : ٤١ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإنَّ أَوْهَن البيوت ، لَبَيْتُ العنكبوت ، لو كانوا يعلمون) .

الجاهلية فى الصوفية

على أنهم تابعون فى هذا التحريف سنة الجاهلية فى قولهم لنوح عليه السلام ما أجابهم عنه بما حكاه تعالى عنه فى قوله : (١٠ : ٧١ فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لايكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلىَّ ولا تنظرون) ثم قولهم لهود عليه السلام ، وقوله لهم ماحكاه تعالى بقوله : (١١ : ٥٤ ــ ٥٦ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال : إنى أشهد الله ، واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه ، فكيدونى جميعاً ، ثم لاتُنْظِرُون . إنى توكلت على الله ربى وربكم ،ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها . إن ربى على صراط مستقيم) ثم قولهم لإبراهيم عليه السلام كذلك : (٦ : ٨٠ ــ ٨٣ وحاجَّه قومُه . قال [١] :أتحاجُّونى فى الله،

= يعتدى فى كل لحظة على كتاب الله ، وينتهك الحرمات فى جرأة مستعلنة وقحة ، ويستعبد عباد الله للطاغية الظلوم الغشوم ، ويقدم للطاغوت قرابينه : فضيلة مذبوحة ، أو رذيلة تغرى بإثمها ، أو عرضا كان يرف حياء ، ويتألق قدسية . كان كل هذا يحدث وغيره . فما كنت ترى من الشيوخ والصوفية إلا ابتهالا إلى الله أن ينصر الطاغية ، كانوا كلما استنجد بهم الطاغوت لمساندته هبوا سراعا هبوب الوثنية إلى هبل ، يحلون له ما حرم الله ، ويرتلون بين يديه طقوس العبادة ، وعلى فمه تتلمظ الفواحش ، وعلى أنيابه مزق من الأعراض . ويقولون له : حفظك الله ذخرا يا أمير المؤمنين ! ! فيا أبطال الثورة على الطاغوت : إن أسمى ما تحققون من خير هو الجهاد فى سبيل أن يفهم الناس قيم الأشياء على حقيقتها ، فيؤمنوا بالخير خيرا ، وبالشر شرا . وثمت تجدون محكومين يتجاوبون مع الحاكمين فى صدق ومحبة ، وفى الكتاب والسنة الحق ، وهدى الدين والدنيا

(١) ساقط من الأصل

وقد هدانِ ، ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً ، وسع ربى كل شيء علما ، أفلا تتذكرون ، وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم[(١)] بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون ، وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم »

وقال كفار قريش لزنيرة الرومية رضى الله عنها لما أسلمت[(٢)] ، فعميت : « ما أعماها إلا اللات والعُزَّى فرد الله عليها بصرها ، وقالت ثقيف : « والله لايستطيع أحد أن يخرب اللات ، فلما أخربوها ، قالوا : والله ليغضبن الأساس » وقال اليهود لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه : « لو كان نبياً مامات صاحبه » إلى أمثال هذه الترهات .

دفع اعتراض

وإن قالوا ، استخفافاً لضعفاء العقول : إن هذا الرجل[(٣)] له مايزيد على مائتى سنة ميتاً ، فما للناس يقلقونه فى قبره ؟ تلك أمة قد خلت . فقل ـ بعد التأسى بفعل الله بفرعون وأضرابه[(٤)] : هذا الكلام [٨٢] لنا عليكم ، فإنه

---

(١) ساقط من الأصل

(٢) أسلمت فى أول الإسلام ، وعذبها المشركون عذابا شديدا ، فاشتراها الصديق ثم أعتقها وقد عميت ، فقال المشركون : أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما فقالت : وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ، إنما هذا من السماء ، وربى قادر على رد بصرى ، فأصبحت من الغد ، وقد رد الله بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد . « عن الإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير »

(٣) يعنى : ابن الفارض

(٤) يريد : أنه لو كان ذم الموتى مذموما مطلقا ما ذم الله فى القرآن آزر أبا إبراهيم ، وابن نوح ، وامرأته ، وامرأة لوط ، وفرعون ، وهامان ، وقارون ، =

لو كان حياً لظن أن الكلام فيه لعداوة ، أو حظ من الحظوظ الدنيوية ، وحيث انتفت التهم كلها ، كان الكلام بسبب ماخلفه من كلامه الذى أقر الذابون عنه أن ظاهره خبيث حتى احتاجوا إلى تأويله ، فلو تركوا كلامه ، تركنا الكلام فيه ، فمن غض منه ، علمنا أنه ماغض ـ مع معاداة أكثر الناس ـ إلا ذَبًّا عن حمى الشريعة خوفاً على الضعفاء من الاغترار بهذه الظواهر ، ومن حامى عنه ، كان ذلك قرينة دالة على أنه يعتقد ماظهر من كلامه ، وإن قالوا : « لاتذكروا موتاكم إلا بخير » رواه النسائى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً . قيل : حتى يكون من موتانا [(١)] ، وإن قالوا « لاتسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ماقدموا » رواه البخارى عنها أيضاً مرفوعاً . قيل : هذا إذا كان فى أمرهم شك ؛ بدليل (تبت يدا أبى لهب [(٢)]) ، ونحن لم نسبه ، بل أخبرنا بما وصفه به العلماء الذين ثبتت ولايتهم تحذيراً من كلامه [(٣)] ، واتباعاً لحديث البخارى عن أنس

= ممن حادوا الله ورسوله . أما وقد جاء فى القرآن ذلك ، فنعلم قطعا أنه يجب ذم الشرك ، وكل مشرك . وبيان حاله حتى نأمن من الفتنة به على غير الخبير بحاله . وما مثل كفر ابن الفارض وابن عربى وأمثالهما من الصوفية كفر . ومامثل خطرهما على المسلمين خطر . فلا يمنع هلاكهما من بيان حالهما ، وذم معتقدهما ، والتحذير منهما ، ومن أمثالهما . وإن كانوا فى توابيت من فضة ، وتحت قباب من ذهب ، وكان لهم ملايين الدراويش ! !

(١) أى: من المسلمين الذين لم نسمع منهم فى صراحة قول الكفر . ولم نرهم فى جلاء فعل الكفر . ولم يخلفوا وراءهم كتبا تطفح بالوثنية والزندقة . كأمثال طواغيت الصوفية . فإن كان من هؤلاء وجب على كل مسلم بيان معتقده ، وتحذير المسلمين منهم ، ودمغهم بما دمغ الله به كل فاجر كفار

(٢) يعنى: لو كان ذم الموتى مطلقا غير جائز ماذم الله فى كتابه الحكيم أبا لهب ونحن اليوم ـ وقد تقضت قرون كثيرة على هلاك أبى لهب ـ ما زلنا ، وسنظل حتى قيام الساعة نقرأ قول الله « تبت يدا أبى لهب »

(٣) أى: من كلام ابن الفارض، والمؤمن الحق ليس فى حاجة إلى شهادة عالم=

رضى الله عنه ـ رفعه ـ « مَرُّوا بجنازة فأثنوا عليها شراً ، فقال : وجبت » واتباعا لإجماع الأمة فى جرح من يستحق الجرح . هذا من فوائد قولنا ، فليذكر الخصم للدفع عنه فائدة واحدة لنفعه ، أو لنفع الدين ، أو أحد من المسلمين ! !
وإن قالوا : ما لأهل زمانه ما أنكروا عليه ؟ قيل : قد أنكروا عليه ، كما مضى بيانه ، وإن قالوا : مالهم ما قتلوه ؟ قيل : منعهم اختلاف الأغراض ، كما منع ذلك فى الباجريقى ، وكما ترى الآن من هذا التجاذب ، على أن القتل أيضاً لا يفيد قطع التعَنُّت من المتعنتين ، فقد أجمع أهل زمان الحلاج الذى هو رأس هذه الطائفة الاتحادية[1] بعد فرعون ، وهم أتباع طريقته على قتله على الزندقة ، كما نقله القاضى عياض فى آخر كتابه الشفاء الذى هو من أشهر الكتب وأعظمها ، ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيرى رأس الصوفية فى زمانه فى الرسالة عن أحد مشايخنا عمرو[2] بن عثمان المكى تكفيره للحلاج وذلك فى باب « حفظ قلوب المشايخ[3] » وقُتِل بسيف الشرع ، وأنت تجد الآن هذه الطائفة ، وأتباعهم من

= يشهد على مثل ابن الفارض بالكفر ، فشعر الصوفية وكتبهم تنزو بقبيح الوثنية المجرمة ، وتشهد عليهم أنهم فئة يبغضون الله ورسوله ويحبون القبور ، ورمم القبور ! ! وبهذه الشهادة التى لا يمكن الطعن فيها ، نحكم عليهم بما حكم الله به على إبليس وفرعون ، وعباد العجل والأوثان ، والمجرمين من قوم لوط

(١) هو حلولى وليس اتحاديا

(٢) توفى سنة ٢٩١ هـ

(٣) نص ما ذكره القشيرى « ومن المشهور أن عمرو بن عثمان المكى رأى الحسين بن منصور الحلاج يكتب شيئا ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن ، فدعا عليه ، وهجره . قال الشيوخ : إن ما حل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه » والقشيرى لم يذكر هذا انتقاصا من مقام الحلاج ، وإنما ذكره تأييدا لما يهدف إليه الصوفية ، وهو استعباد قلوب أتباعهم لأهوائهم ، ألا تراه يقرر أن الحلاج لم يحل به القتل إلا من دعاء شيخه عليه ، لا لأنه كان يعارض القرآن ، فغضب الله عليه ! ! وألا تراه يرويه فى باب « حفظ قلوب المشايخ » ؟! =

العامة ، يعتقدون فيه اعتقاداً عظيما ، وينابذون أهل الشريعة ، وذلك يدل على أنهم إنما يقولون : نُؤَوِّل تَقِيَّةً ، وخوفاً من السيوف المحمدية ، وأنهم يعتقدون الكلام على ظاهره ، فاستوى حينئذ القتل على الزندقة وعدمه (٤٠ : ٣٣ ومن يُضْلِل الله ، فما له من هاد) .

نصيحة

ولا تهتموا أيها الإخوان بكثرة كلام أتباع الشيطان ، وهجائهم لنا بالإثم والعدوان ، فهم : إنما يقولون ذلك فى الغيبة ، ولهم عليه الإثم والخيبة ، فإن الله تعالى قد ضمن النصرة ، وإن كان مع المُبْطِل الكثرة . روى [٨٣] الشيخان عن معاوية رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله ، وهم ظاهرون ، وحتى يقاتل بقيتهم الدجال » وفى رواية : « وهم بالشام » ، وقال [تعالى] : (٦ : ٨٢ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون)

= ولذا يقول فى رسالته : « من رضى عنه شيخه لا يكافأ فى حال حياته ، لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ماهو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ فى حال حياة ذلك الشيخ ، لئلا يرق له ، فإنهم مجبولون على الكرم ، فإذا مات ذلك الشيخ ، فحينئذ يجد المكافأة بعده » ويقول « من خالف شيخه لم يبق على طريقته ، ومن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لا توبة عنها ! ! » انظر ص ١٥٠ ، ١٥١ من الرسالة للقشيرى فى باب حفظ قلوب المشايخ . ولكن أرأيت إلى الأستاذ القشيرى كيف يقرر وجوب التوبة حتى على من همس فى قلبه اعتراض على شيخه ، بل يقرر أن التوبة من هذا لا تقبل ! ! ولذا يقول الشعرانى « من أشرك بشيخه شيخا آخر فكأنما أشرك بالله » يريد الصوفية سلفا وخلفا أن يكون الناس عبيد أهوائهم ونزواتهم ، ويخوفونهم بغضب العبيد ، لا غضب رب العالمين ، ويشرعون لهم ، أن الغاية من الإيمان إرضاء هوى الشيوخ ، لا إرضاء مالك الملك سبحانه ! ! !

وقال تعالى : (٦١ : ١٠ ، ١١ يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) إلى أن قال : (٦١ : ١٢ ـ ١٤ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، و بشر المؤمنين ، يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بنى إسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

وقد قلت فى حالنا وحالهم .

نصرنا سـنة المختار حقا فهاجينا لذاك[1] الأكافر
وراموا نصر شاعرهم ، فخابوا وضُلِّلَ سعيُهم فى نصر شاعر

(٣٨ : ٨٨ ولتعلمن نبأه بعد حين) ، (٨ : ٢٩ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) ، (٢٢ : ٤٠ ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز) ، (٤٠ : ٥١ ، ٥٢ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار) ، (٣٧ : ١٧١ ـ ١٨٢ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، و إن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين ، وأَبْصِرْهُم ، فسوف يُبْصِرُون . أفبعذابنا يستعجلون ، فإذا نزل بساحتهم ، فساء صباحُ المنذرين ، وتولَّ عنهم حتى حين ، وأبصرهم ، فسوف يُبْصِرُون . سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين) .

* * *

قال مُنشِؤها سيدنا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعى الشافعى نفع الله المسلمين بعلومه : إنى فرغت [من] هذه الرسالة

---

(١) لعلها : ذياك ، أو لذلكم . فبهذا يستقيم وزن البيت

فى مقدار يوم ، وكان فراغى منها ليلة الأحد ثامن عشرين شهر رجب الفرد الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة فى مسجد « دلر رجه العبد[1] » بالقاهرة والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

وفرغ من كتابتها الفقير إلى رحمة ربه ، سليمان بن عبد الرحيم فى شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة الهجرة النبوية .

* * *

[زاد الناسخ ، أو غيره بعد هذا]

وممن يقول بكفر ابن عربى غير مصنف هذه الرسالة أيضاً من العلماء الشيخ إبراهيم بن داود الآمدى[2] والشيخ أبو بكر بن قاسم الكنانى[3] والشيخ الفاضل سليمان بن يوسف الياسوفى[4] الدمشقى ، والإمام الجليل على بن عبد الله الأردبيلى[5] ، والعلامة محمد بن خليل عز الدين الحاضرى الحلبى الحنفى الفاضل محمد بن على الدكالى[6] ثم المصرى ، والشيخ الصالح موسى بن محمد الأنصارى[7] الشافعى قاضى حلب ، وكلهم ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعى عن شيخه شهاب الدين أحمد بن حجر فى تراجمهم ما فيه الكفاية من فضلهم وحذقهم ، وعلمهم ، وزهدهم وورعهم ، وإنما أردت ذكر أسمائهم ، ليعلم أن من قال بكفر

---

(١) كذا بالأصل

(٢) أسلم على يد ابن تيمية ، وكان دينا خيرا فاضلا . توفى سنة ٧٩٧ هـ

(٣) ولد سنة ٦٦٦ هـ قال عنه الذهبى : دين حسن المحاضرة

(٤) ولد سنة ٧٣٩ تقريبا ، كان شافعيا ، ثم حبب إليه الحديث ، فأقبل عليه بكليته ، وسلك طريق الاجتهاد . توفى سنة ٧٨٩ هـ معتقلا بقلعة دمشق

(٥) ولد سنة ٦٦٧ قال عنه الذهبى : حصل جملة من كتب الحديث ، وشغل فى فنون وهو عالم كبير حسن الصيانة . مات بالقاهرة سنة ٧٤٦ هـ

(٦) هو أبو أمامة ابن النقاش . وقد سبقت ترجمته

(٧) ولد سنة ٧٤٨ ، ولى قضاء حلب عن الظاهر برقوق ، وتوفى سنة ٨٠٣ هـ

هذا الضال جماعة من العلماء غير واحد ، ليحذر من مذهبه من لا يعرفه تحقيقا ، و يعلم أن جماعة من العلماء لا يتفقون على ضلالة ، وهؤلاء من المتأخرين دون من لم يذكرهم من المتقدمين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وصاحب المواقف وغيرهما ، وكذلك الشيخ الجليل أفضل المتأخرين علامة زمانه الشيخ علاء الدين البخارى ، وقد عمل فى الرد على ابن عربى غبى و بيان كفره رسالة شافعية مُسَمَّاة : « بفاضحة الملحدين ، وناصحة الموحدين » . ومن أراد البحث والرد على هذه الطائفة ، فليطالعها . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين » .

* * *

فرغت من نسخها وتحقيقها والتعليق عليها يوم الخميس ٤ من صفر سنة ١٣٧٢هـ الموافق ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ م بمدينة القاهرة والحمد لله أولا وآخراً .

وصلى الله وسلم و بارك على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

* * *

وكان الفراغ من الطبع والتصحيح بمطبعة السنة المحمدية يوم الخميس ١٨ من رجب سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ٢ من إبريل سنة ١٩٥٣ م

وصلى الله وسلم و بارك على عبد الله المصطفى ، ورسوله المجتبى : محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

ومن يقول بكفر ابن عربي [illegible] هذه الرسالة أيضاً من العلماء الشيخ

[illegible] الشيخ الفاضل

[illegible]

[illegible] الشيخ الفاضل

محمد بن علي [illegible] ثم المصري ، والشيخ الصالح موسى بن محمد الأنصاري

الشافعي [illegible] ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعي عن شيخه

[illegible] في تراجمهم ما فيه الكفاية من فضلهم وحذقهم ،

وعلمهم ، وزهدهم وورعهم ، وإنما أردت ذكر أسمائهم ، ليعلم أن من قال بكفر

* * *

---

(١) كذا في الأصل

(٢) [illegible] ابن تيمية ، وكان [illegible]

(٣) ولد سنة ٦٦٢ [illegible]

(٤) [illegible] وسلك طريق الاحتساب ، وتوفي سنة ٧٤٩ [illegible] بقلعة دمشق

(٥) ولد سنة ٧٠٢ قال عنه الذهبي : حصل جملة من كتب الحديث ، وشغل في فنون وهو عالم [illegible] حسن الصيانة . مات بالقاهرة سنة ٧٤٦ .

(٦) هو أبو أمامة ابن النقاش . وقد سبقت ترجمته

(٧) ولد سنة [illegible] وولي قضاء حلب عن القاضي [illegible] ، وتوفي سنة ٨٠٣ .

فهرست

مصرع التصوف

٣ مقدمة الكتاب
١٧ البقاعى فى سطور
١٨ خطبة الكتاب
١٩ عقيدة ابن عربى وكيده للاسلام
١٩ منهاج الصوفية فى الكيدبدعوتهم
٢٠ مثالهم فى زندقتهم
٢١ احتجاج الصوفية بقصة الخضر
٢٢ القول فى صرف الكلام عن ظاهره
٢٣ حكم من ينطق بكلمة ردة
٢٤ بيان ماهو من المقالات كفر
٣٣ الباطنية
٣٥ من هو الزنديق ؟
٣٧ إفك وبهتان ابن عربى على الرسول
٣٧ دفع هذا الافتراء
٣٨ إيمان ابن عربى بأن الله إنسان كبير
٣٩ آدم عند الصوفية
٤٠ زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق
٤١ التنزيه والتشبيه
٤٢ بم يعرّف الله عند الصوفية
٤٦ تكفير الصوفية لنوح
٤٩ الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية
٥٢ تكفير العراقى لابن عربى
٥٣ كل شىء عند الصوفية رب وإله
٥٤ الرأى فى ابن الفارض وتائيته
٥٨ تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام
٦٢ الحق عين الخلق عند الصوفية
٦٦ الوحدة المطلقة دين ابن عربى
٦٦ لا يُعتذر عن الصوفية بالتأويل
٦٧ خطر صرف الكلام عن ظاهره
٦٨ صلة الخلق بالحق عند الصوفية
٧٠ الطبيعة هى الله عندهم
٧١ دين ابن الفارض
٧٤ العبد عين الرب عند الصوفية
٧٥ النار عين الجنة عندهم
٧٦ مثل من تفسير ابن عربى للقرآن
٧٨ ردّ علاء الدين البخارى
٧٩ رأى العضد والجرجانى
٨١ رأى السعد التفتازانى
٨٣ زعم أن الحق يتلبس بصورة الخلق
٨٦ أمر ابن الفارض باتباع شريعته
٨٨ تكذيب صريح للقرآن
٨٩ إفك على الله
٩٢ تمجيد الصوفية المجرمين

٩٣ زعمهم أن هوية الحق عين أعضاء العبد وقواه
٩٤ تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود
٩٥ زعم ابن عربى أنه اجتمع بالأنبياء
٩٦ ظن الصوفية بالله سبحانه
٩٨ الكون هو رب عند الصوفية
٩٩ لم يقول الصوفية بوحدة الأديان ؟
١٠٠ الوحدة عند ابن الفارض
١٠٣ الكثرة عين الوحدة
١٠٤ فعل الرب عين فعل العبد عند الصوفية
١٠٥ ما الخلق ؟
١٠٦ زعم ابن عربى : أن التفاضل لا يستلزم التغاير
١٠٨ الضال مهتد ، والكافر مؤمن عنده
١٠٩ لن يعذب كافر عنده أيضاً
١١١ الحق عنده سار فى عناصر الطبيعة
١١١ رد العراقى على وحدة الأديان
١١٢ الشرائع أوهام عند الصوفية
١١٢ ليس لله وجود عندهم
١١٣ الداعى عين المجيب عندهم
١١٦ الحق عين كل معلوم عندهم
١٢٠ تمجيد الصوفية لعبادة العجل
١٢١ بعض ما كفر به العراقى ابن عربى
١٢٢ آيات تشهد بكفر ابن عربى
١٢٣ شرك الصوفية أخبث الشرك
١٢٤ تعليلهم لإنكار موسى على السامرى
١٢٥ الهوى رب عند الصوفية
١٢٦ وحدة الأديان عند ابن الفارض
١٢٧ الإله الصوفى مجلى صور العالم
١٢٧ حكم ابن عربى بإيمان فرعون ونجاته
١٢٩ رد هذه الفرية
١٣٠ سؤال فرعون وجواب موسى
١٣٢ فرعون عند الصوفية رب موسى وسيده
١٣٤ حكم من ينسب ربوبيته إلى فرعون
١٣٤ تحريم التأويل
١٣٥ رأى ولد العراقى فى الفصوص والتائية
١٣٧ رأى السكونى
١٤٠ أوهام الصوفية فى الحكم بإيمان فرعون
١٤١ افتراء على الرسول ﷺ
١٤٢ التثليث عند الصوفية
١٤٣ رب الصوفية امرأة

١٤٦ الأنوثة صفة الإله الصوفى
١٤٧ الإله الصوفى بين التقييد والإطلاق
١٤٩ دعاء ومباهلة
١٥٠ المكفرون لابن عربى
١٥٥ فتوى الجزرى
١٥٦ رأى أبى حيان
١٥٧ رأى التقى السبكى والفارسى والزواوى
١٥٨ رأى البكرى
١٥٩ مسألة الوعيد
١٦١ فتوى البالسى وابن النقاش
١٦٥ رأى ابن هشام وابن خلدون
١٦٨ رأى الشمس العيزرى
١٦٩ رأى ابن الخطيب والموصلى
١٧٠ رأى البساطى
١٧٤ البساطى وشرحه للتائية .
١٧٦ رأى ابن حجر والبلقينى وغيرهما
١٧٧ مقتل الحلاج
١٧٨ رأى الذهبى
١٧٩ رأى ابن تيمية وغيره من العلماء
١٨٢ رأى علاء الدين البخارى
١٨٣ تحقيق معنى الكافر والملحد والزنديق والكافر
١٨٦ بعض مصطلحات الصوفية
١٩٠ أسطورة الكشف
١٩٥ رأى الحافظ تقى الدين الفاسى
١٩٧ مكر الصوفية
١٩٨ آيات ثبات الإيمان فى القلب
٢٠٠ هوان الدين عند الأكثرية
٢٠١ من هم الأولياء ؟
٢٠٣ رأى ابن أيوب فى الحلاج وابن عربى

تحذير العباد من أهل العناد

٢٠٧ المقدمة
٢٠٨ آيات سلى الله بها نبيه
٢٠٩ الرأى فى سلف الصوفية
٢١٢ منابذة الصوفية للنقل والشرع
٢١٣ موقف العلماء من ابن عربى وابن الفارض
٢١٤ المكفرون لابن الفارض
٢١٦ موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض
٢١٧ تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر
٢١٨ الضلال عند الصوفية خير من الهدى

٢١٨ رب ابن الفارض أنثى
٢١٩ تفضيل الزنديق نفسه على الرسل
٢١٩ الخلاعة سنة ابن الفارض
٢٢١ ذمه للرسل وللشرائع
٢٢٣ تفضيله أتباعه على الرسل ، وزندقته على شرعة الله
٢٢٤ الصلة بين التصوف والنصرانية
٢٢٦ زعمه أن صفات الله عين صفاته
٢٢٩ زعمه أن الله سبحانه يصلى له
٢٣٠ رب الصوفية فى صور العاشقات
٢٣٣ ثباته على اعتقاد الوحدة
٢٣٤ استدلاله على زندقته
٢٣٦ يدين ابن الفارض بتلبس الله بصورة خلقه
٢٤٠ رأى القشيرى والسهروردى
٢٤٠ وحدة الأديان عند ابن الفارض
٢٤١ شعره فى وحدة الأديان
٢٤٢ معاندته للتوحيد الحق
٢٤٤ دعوته إلى المجون
٢٤٥ الباطل إله الصوفية
٣٤٥ حكم المناضل عن ابن الفارض
٢٤٦ قول ابن الفارض يوجب إراقة دمه
٢٤٨ زجره لمن يكنيه أو يلقبه
٢٤٩ زعمه أنه عرج إلى السماء
٢٥١ حكم من كفر ابن الفارض
٢٥٣ حكم المتوقف فى تكفير الصوفية
٢٥٥ الرأى فى شعر ابن الفارض
٢٥٧ تواتر الخبر بتكفير العلماء له
٢٥٨ نفى كلام حفيده فيما أثبته
٢٥٩ أصل الولاية الحقة
٢٦٠ دفاع وادعاء
٢٦٣ وجوب الكشف عن زندقة الصوفية و بيانها
٢٦٤ الجاهلية فى الصوفية
٢٦٥ دفع اعتراض واهٍ
٢٦٨ نصيحة البقاعى ختم بها كتابه

تصويبات

بمجرد الفراغ من نسخ الكتاب أعجلنا السفر إلى الرياض فلم نتمكن من مراجعته على الأصل ، وبعد تمام طبعه راجعناه وفى هذا الجدول نثبت صواب ما ذهلنا عنه وقت النسخ أو سقط وقت الطبع

ص	س	خطأ	صواب
١٣	٥	ويشهد الله	ويشهد
١٣	١٨	دلالة	ذات دلالة
١٣	١٩	وصع	وضعت
٢٣	٩	العلاقة	العلامة
٣٦	٦	مثاله	مثله أيضاً
٣٦	٢٣	جواسيسها	وأشباهها
٤١	٣	حكمته	حكمة
٤٩	١٣	للعة	للغة
٤٩	١٤	يوصفوا	يوصفون
٥١	١	سوعا	سواعا
٥١	١٧	كالجسد	كل الجسد
٥١	٢٢	العفناء	الفقناء
٥٣	١٩	يتريح	يتريح فى
٥٤	٢٣	زائق	ذائق
٥٥	٢١	نرد فى	نرد
٥٥	٢٤	وهو ابن	وهو أن ابن
٥٧	١٢	تقحرك مهدى	تحرك تهدى
٥٧	١٥	ولكن	لكن
٥٩	١١	سبحانك	سبحان الله
٥٩	٢١	عين الحق	عين الخلق
٦٠	٩	قول	قوم
٦٠	١٣	المنار	النار
٦٠	١٨	بهذه	بأن هذه
٦٠	٢٤	وقيما	وقاتلا
٦١	٣	نخركم	نخرجكم
٦١	٦	نعم	تعم
٦١	١٢	إذ	إذا
٦٢	٥	للمؤمنات	والمؤمنات
٦٤	٨	ويشهد فى	ويشهدنى
٦٤	١٠	صلوات	صلواتى
٦٨	٧	منه	والمعدود منه
٦٨	١٤	وصفا	وصفاته
٦٨	١٨	لاحرية	لامرية
٦٩	١٢	لاتوجد فى	لاتوجد إلا فى

ص	س	خطأ	صواب
٧٠	١	والعيون	وهو العيون
٧٠	٤	الواجد	واحد
٧٠	٩	لم يجره	لم يجر
٧١	٣	فاذكروا	فادَّكروا
٧١	١٨	الفارض	الفارضى
٧٣	٦	حوله	حولهم
٧٥	٩	غيرَه	عين
٧٥	١٢	وذاك	وذاك له
٧٦	٢	نص	فص
٧٦	٩	يزاد بعد كلمة للممكنات [حتى يظهر الظل فيكون كما بقى من الممكنات]	
٧٦	١٦	يدفعه	يدمغه
٧٧	١٤	لمَهْدى	لمُهْدى
٧٧	٢١	تدفعه	تدمغه
٧٨	١	تنزَّه	تنزّهٌ
٧٨	١٩	يهولها	يهولوا
٧٨	٢٢	ـ أيا	رأيا
٧٩	١٠	لأنها	لأنه
٧٩	٢٤	عضو	عضد
٨١	١٩	خطائر	حظائر
٨٢	١٥	نفى	نفس
٨٣	١٤	منحصر	منحصرا
٨٣	٢٢	أغد	أعد
٨٤	٤	ـ عونه	رعونة
٨٤	٢٦	القطرانى	القطوانى
٨٥	١٢	تدفع	تدمغ
٨٥	٢٧	وحب	وحسب
٨٧	٦	وإرشاداتهما	وإشاراتهما
٨٨	٤	الأهدال	الأهدل
٨٨	٧	من	ما من
٨٨	٩	فهو	فهم
٩١	١١	وهو	وهو أنه
٩١	١٥	أحد	أحدى
٩٢	١	جواز	جوازا
٩٢	١٣	الوجود	وجود الخلق
٩٢	٢٣	تجمع	تجمح
٩٣	٢٥	يقبلج	يعتلج
٩٥	الأخير	الهوى	الهودى
٩٦	١	كأشغالها	كاشفالها
٩٦	١٢	أوله	أولها
٩٦	١٨	الموالفة	الوالغة
٩٦	٢٢	يوحى	يومى

ص	س	خطأ	صواب
١٠٠	١٦	إلى	إلا
١٠٠	١٦	أحجارا	أو أحجارا
١٠١	٧	لملة	لعلة
١٠٢	٩	بها	بهذا
١٠١	١٧–١٨	وموضع	وموضوع
١٠٧	١١	تعداد	تعدد
١٠٧	١٣	المقابلات	المتقابلات
١١٣	١٣	واحد	واحدا
١١٥	٣	الصِّوت	الْمُصَوِّت
١٢٠	٤	بين	من
١٢٠	٢٢	أخذ	أحد
١٢٥	١٠	وعبد وإما	وعبد إما
١٢٥	١٨	رآه	رأى
١٢٦	٦	الذّنّاد	الزّنّار
١٢٦	١٨	إليهم	الهيم
١٢٧	٧	المعالم	العالم
١٢٨	الأخير	هن	من
١٣٠	٤	صحيحه	فى صحيحه
١٣٠	١٩	نبين لله	نبين
١٣١	٢٤	الأفق	الأفن
١٣٢	٨	العيرة	العينَ
١٣٣	٥	نقضى	تقضى

ص	س	خطأ	صواب
١٣٣	١٨	والصريح	الصريح
١٣٧	٢١	يجمل الحب	يجعل المحب
١٣٨	١٨	تفرد	تغرد
١٤١	٤	عيرة	عين
١٤١	١٢	اليقين	التعين
١٤٢	٤	التليث	التثليث
١٤٧	٢	وحكم	وختم
١٤٩	١	لا	ولا لا
١٤٩	٣	ألحدث	ألحدت
١٤٩	٤	أى	آى
١٥٤	٢	الدعاء	الدعاة
١٦٠	١٩	بغير	يفيد
١٦١	١	يزاد بعد كلمة الإجماع [والمعتمد فى ذلك النصوص وأما دعوى الإجماع]	
١٧٤	١٤	لحن ابن	لحن
١٧٥	٨	حجال	حجاك
١٧٥	٢٠	غير إله	غيراً له
١٧٧	٢٢	الحلاج	الحلاج وكذلك مر بالضم و بالفتح
١٨١	١٧	العربى ــ المتجاسر	العريبى ــ التجاسر

ص	س	خطأ	صواب
١٨٥	٩	تنوى	ثنوى « وهكذا في كل مواردها»
١٨٥	٢٢	إفساد	لإفساد
١٨٨	٢	فأراد	فأرادوا
١٨٨	٥	بين	من بين
١٩٢	٧	متوهم	أن يتوهم
١٩٢	٩	بالبطلال	بالبطلان
١٩٢	٢٢	الطاعة	الطامة
١٩٣	٦	شفاعة	شناعة
١٩٣	١٠	ماك	ما
١٩٤	١٨	وإذ ... لا	إذ ... ولا
١٩٥	١	نقتله	نقلته
١٩٨	٥	أرازلنا	أراذلنا
١٩٩	٦	عنهم	عنه
١٩٩	٨	الله	والله
١٩٩	١٧	لاستلامهم	لاستلآمهم
٢٠١	٨	والوعد	والوعيد
٢٠١	٢٠	يصفع	يصنع
٢١٠	١١	وجود	وجوه
٢١٢	٢٠	ليغروا	ليفروا
٢١٤	٣	بدالة	بعدالة
٢١٤	٥	تأنيسة	تأنيته

ص	س	خطأ	صواب
ص	س	خطأ	صواب
٣١٥	٤	الأغر	الأعز
٢٢١	٢	الذهاد	الزهاد
٢٢٢	٧	منع	منح
٢٢٣	١١	ولأنك	ولاتك
٢٢٦	٤	لرَدَّت	لرُدَّت
٢٢٦	١٣	بسمعى	إلا بسمعى
		إلا ســامع	سامع
٢٣١	٤	بغرةِ عزّة	بعزةَ عزّتِ
٢٣٢	١	مرت	مرة
٢٣٢	٦	تخضت	تَخَفَّتِ
٢٣٢	١٨	خلفا	خلقا
٢٣٣	١١	ودقَقَت	ودَقَّقت
٢٣٣	١٣	غُطَّت	غَطَّت
٢٣٤	٢٢	يقعث	ينغثُ
٢٤١	١٣	مُتَزَّه	مُنْزَه
٢٤٢	١	محرابَ	محرابُ
٢٤٨	٦	بغير	بغير وهم يخالفونه كما يشير إليه قوله
٢٥٤	٢٢	النص	مع النص
٢٥٦	٦	كتاب	كتب

